المواد المصاحبة: CD/ 1040729

المكتبة الإسلامية - الجامعة الإسلامية

الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

تفسير أبي السعود
وجهوده في الدرس البلاغي

بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في البلاغة العربية

إعداد الطالب
يوسف سلامة حسن أبو مزيد

إشراف الأستاذ الدكتور
نعمان شعبان علوان
أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني بالجامعة الإسلامية

مكتبة الجامعة الإسلامية – غزة
المجموعات الخاصة
التاريخ: 21 -06- 2004
1240887
الرقم العام:
رمز التصنيف:

1425هـ - 2004م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإسلامية - غزة
THE ISLAMIC UNIVERSITY OF GAZA

هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2004/05/22 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث يوسف سلامة حسن أبومزيد المقدمة لكلية الآداب لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب قسم اللغة العربية تخصص الأدب والبلاغة والنقد.

تفسير أبي السعود وجهوده في الدرس البلاغي

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الإثنين 12 ربيع ثاني 1425هـ الموافق 2004/5/31م الساعة 1 ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. نعمان علوان	مشرفاً ورئيساً	.....
أ.د. محمد علوان	مناقشاً داخلياً	.....
أ.د. سليمان أبوعزب	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب قسم اللغة العربية تخصص الأدب والبلاغة والنقد.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد يوسف أبوحلبية

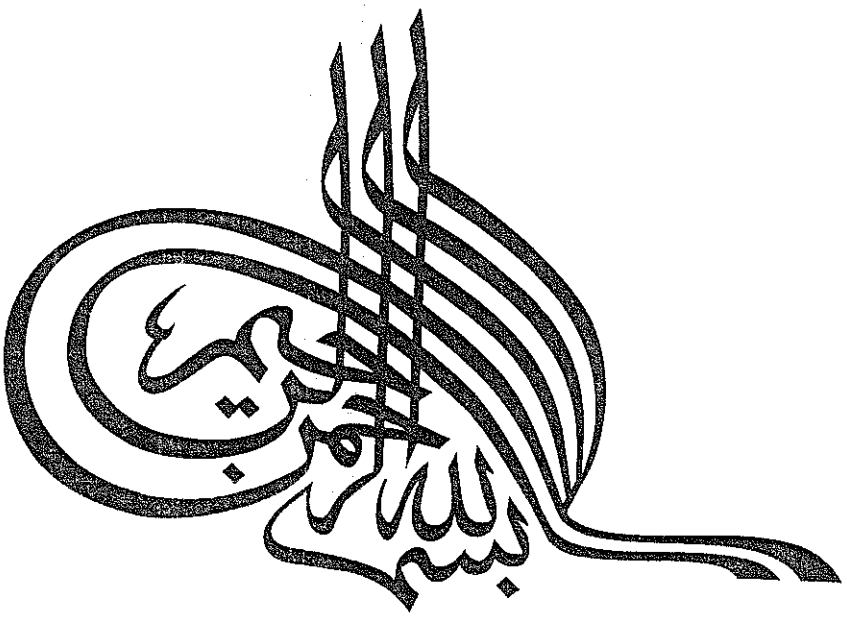
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

..... إلى التي شجعتني على إكمال الدراسة ، وكانت عونـــاً لي على إتمام البحث وتخفيف متاعبه وتهوين مصاعبه .

..... إلى زوجتي العزيزة أهدي هذا البحث مع التحية والتقدير والإعزاز .

شكر وتقدير

أوجـــه شكري وتقديري إلى الجامعة الإسلامية بغزة التي فتحت لنا أبواب الدراســـة في قسم الدراسات العليا بكلية الآداب – الجامعة الإسلامية والتي كانت أمنـــية طالمـــا كنـــــتُ أتمناها منذ سنوات مضت عندما كنتُ طالباً بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

كمـــا أقـــدم شكري وتقديري إلى أساتذتي جميعاً بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعـــة الإســـلامية والذيـــن كان لهم دور كبير في تقديم الفائدة العلمية والمساعدة المعنوية من أجل اجتياز هذه الدراسة .

كمـــا أقـــدم شكري وتقديري الخاص إلى أستاذي العزيز الأستاذ الدكتور محمد شعبان علوان والذي لم يقتصد جهداً في مساعدتي وتقديم العون لي .

كمـــا أوجـــه شـــكري وتقديـــري الخاص إلى أستاذي المباشر لهذا البحث والمشرف عليه الأستاذ الدكتور نعمان شعبان علوان الذي كان خير مرشد لي في بحثـــي هـــــذا والـــذي كان يأخـــذ بيـــد تلميذه ليوصله إلى برّ الأمان من بحر البلاغة الواسع .

كمـــا أوجـــه شكري وتقديري إلى أمناء مكتبة الجامعة الإسلامية والقائمين عليها والذين لم يبخلوا بأي مساعدة أو أي عون يستطيعونه .

كمـــا أوجـــه شكري وتقديري إلى زملائي الذين رافقوني مشوار الدراسة والذين كانوا أروع مثل للمحبة والأخوة والتعاون والمساعدة .

المقدمة

الحمد لله الذي شرّف نبيَّه بالقرآن ، وأوحى إليه بأسمى آيات البيان ، حيث قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [1] ، وقال جلّ شأنه : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [2] .

وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، الذي أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً للأنام ، فمنذ القدم عُرف العربُ بالفصاحة والبلاغة والبيان ، وجاء القرآن متحدياً لهؤلاء العرب بإعجازه وبيانه .

قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [4] .

فالقرآن ذو بيان وفصاحة وإنه معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه كما قال مفسرنا أبو السعود رحمه الله .

وقد احتلت الدراسات القرآنية مجالاً لا بأس به من علمائنا الصادقين الذين بحثوا قضية الإعجاز في القرآن الكريم ، وألف القدماء من علمائنا في هذه القضية كتباً كثيرة منها على سبيل المثال كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة ، وكتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني كما ظهرت رسائل في إعجاز القرآن مثل : (بيان إعجاز القرآن) للخطابي ، و(النكت في إعجاز القرآن) للرماني .

وقد اهتمت كتب التفسير بإظهار الإعجاز القرآني والعناية به والكشف عن معانيه وأسراره ، وأخذ المفسرون بالعناية ببيان إعجاز القرآن الكريم .

---

(1) الرحمن : آية 1 ، 2 ، 3 ، 4 .

(2) العلق : آية 3 ، 4 ، 5 .

(3) البقرة : آية 23 .

(4) النحل : آية 103 .

ومـــن هـــذه الكتب كتاب (الكشاف) للزمخشري وقد قامت حوله دراسات عـــدة ، ومـــنها أيضاً كتاب (إرشـــاد العقـــل الســـليم إلى مزايـــا القرآن الكريم) لأبي السعود الذي نحن بصدد دراسته .

أسباب اختيار البحث :

* يعتـــبر كـــتاب (إرشاد العقل السليم) لأبي السعود واحداً من كتب التفسير التي تســـتحق الدراسة من الناحية البلاغية ، فقد ظهرت جهوده جلية في مجال تطبيق الدرس البلاغي وإظهار بلاغة القرآن الكريم وبيان إعجازه .
* كـــان أبـــو الســـعود يشير إلى أكثر من مسألة بلاغية في تفسيره للآية الواحدة ويُظهر ما فيها من أسرار ومعانٍ بلاغية .
* إظهـــار الصفحة المشرقة في تراثنا لما يحتويه من شتى أصناف المعرفة ومن هذه الأصناف بلاغة القرآن وإعجازه .
* يســـاعد هذا البحث على إثراء المكتبة العربية من الناحية البلاغية وخاصة من الوجهة التي نريد دراستها وإظهارها وهي تطبيق الدرس البلاغي .

الدراسات السابقة :

فـــيما يتعلق بهذا الموضوع وهو (جهود أبي السعود في الدرس البلاغي) وذلـــك مـــن خـــلال تفســـيره فيما أظـــن أنه لـــم يسبق إلى درس هذا الكتاب دراســـــة بلاغيـــة ولم تكتب دراسة خاصة عن أبي السعود ، غير أني قد أفَدْتُ ممـــا كتـــبه الدكـــتور محمد حسين الذهبي عن أبي السعود وذلك من خلال كتابه (التفسير والمفسرون) .

وهناك دراسة غير مباشرة أضاءت لي الطريق وهي دراسة الدكتور محمد أبـــو موســـى عـــن الزمخشري في كتابه (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثـــرها في الدراسات البلاغية) فكان لهذه الدراسة فائدة كبيرة للكشف عن جهود أبي السعود في تطبيق الدرس البلاغي .

وقـــد جعلـــت تخطيط هذا البحث إلى : مقدمة ، وتمهيد درستُ فيه حياة أبي السعود وعصره وعلمه وأدبه ، ومصادر كتابه وأسلوبه .

كمـــا درستُ في الفصل الأول تأثره بالعلماء السابقين وخاصة الزمخشري والبيضاوي كما درست في الفصل الثاني مسائل علم المعاني في تفسيره وتوسَّعتُ في دراسة هذا العلم عند أبي السعود .

كمـــا درســـت فـــي الفصل الثالث مسائل علم البيان ، وفي الفصل الرابع مســـائل علـــم البديـــع ، أما في الفصـــل الخامس فقد درست القراءات القرآنية ومـــا ولّدتـــه من معان وأغراض بلاغية كان لأبي السعود دور في الحديث عنها وإبرازها ، أما في الفصل السادس فقد درستُ مدى تأثير أبي السعود في العالمين المتأخريـــن وهمـــا الآلوسي والقاسمي ومدى تأثير كتاب أبي السعود وآرائه في تفسيريهما .

وأسأل الله الهدى والرشاد ، وعلى الله قصد السبيل .

حياة أبي السعود وعصره

أبــو الســعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي الإمام العلامة والفقيه والمفسر والقاضي والمفتي وشيخ الإسلام [1] .

عاش أبو السعود في القرن العاشر الهجري وقد شهد حكم سلاطين الدولة العثمانية السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني والسلطان سليم الثاني .

وولد سنة ٨٩٨هـ في قرية قريبة من القسطنطينية ، ثم قلد قضاء بروسة ثــم قضاء قسطنطينية ثم نقل إلى قضاء العسكر في ولاية روم إيلي ، وداوم على قضــائها ثمانــي سنين ، ثم لما توفي المولى سعد الدين بن عيسى بن أمير خان تولّى مكانه الفتيا بعد أن اضطرب أمر الفتوى وانتقل من يد إلى يد .

وقد ولاه السلطان سليمان القانوني منصب الإفتاء سنة ٩٥٢هـ ، وظلّ في هذا المنصب نحو ثلاثين عاماً حتى وفاته .

"ويعد سليمان القانوني – من خلال حكمه الطويل الذي قارب نصف قرن– أعظم السلاطين العثمانيين ، إذ وصل بدولته إلى ذروتها في الامتداد والقوة على الــبر والبحر ، وقد وصف "بناصر القوانين السلطانية" تلك العبارة المنقوشة على بوابــة مســجده الكبــير . وسليمان هو واضع نظام الدولة باسم قانون (نامه) أي المتشرع تشريفاً وتعظيماً بينما وصفه المؤرخون الغربيون بالعظيم" [2] .

---

(١) انظر ترجمته في :

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،حاجي خليفة ،م : ١ ،ص ١١٢ ،١١٣ ، دار الفكر ١٩٨٢م .

هدية العارفين ، للبغدادي ، م : ٦ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، دار الفكر ، ١٩٨٢م .

العقــد المــنظوم في ذكر أفاضل الروم ، ذيل على كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، طاشكبرى زادة ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٥م ، ص ٤٤٠-٤٥٤ .

شــذرات الذهــب فــي أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، ج ٨ ، ص ٣٩٨-٤٠٠ ، دار الفكر ١٩٧٩م ، ط١ ، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشــرة ، للغــزّي ، تحقيــق د. جبــرائيــل جبور ج٣ ، ص ٣٥-٣٦ ، بيروت ، وانظر التفسير والمفسرون ، ج١ ، ص ٣٤٥ ، د. محمد حسين الذهبي دار الكتب الحديثة ، ط٢ ، ١٩٧٦م .

(٢) تاريخ الدولة العثمانية ،د. علي سلطان ، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، د.ت ، ص ١١٩ .

"وقد نعمت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم القانوني بالرخاء والطمأنينة ، وكانت أولى أعماله عند تسلمه الخلافة سن القوانين والأنظمة التي تكفل قيام الدولة" .

وقد ظهر في عهد القانوني شخصيات هامة في مجال التشريع منها : الشيخ أبو السعود الذي نظم قوانين البلاد على أساس الشرع الإسلامي" (١) .

"ومع سليمان القانوني استطاعت الدولة أن تنجح في تثبيت المرتكزات النهائية لمؤسسة شيخ الإسلام داخل مباني السلطة على غير صعيد وذلك على يد المفتي الشهير أبي السعود" (٢) .

وهذا – إن دلَّ على شيء – فإنما يدل على أن أبا السعود كان يتبوأ مكانة رفيعة في الدولة العثمانية وكان محل تقدير السلطان .

واستمر في منصب الإفتاء إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة ٩٨٢هـ ، وكانت جنازته حافلة وصُلِّي عليه في حرم جامع السلطان محمد الكبير في ملأ عظيم وجمع كثير ، وتقدم للصلاة عليه المولى سنان ودفن بمقبرته التي أنشأها بالقرب من أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه .

وقد رثاه من أصحابه السيد مصطفى بن السيد حسن بقصيدة جيدة ، وأثنى على أبي السعود وعلمه يقول فيها :

شمسُ البلاد وصدرُها ورئيسُها ... مفتي الأنام وواحدُ الأقطاب
أعني بذاكَ أبا السعود الفاضلا ... ورئيسَ أهل العلم والألباب
أمسى رهيناً في القبور إلى القيا ... م وما لَهُ من عودة وإياب
قد كنتَ بحراً للشريعة ولم تزل ... تُلقي لنادر الكلام عُجَاب
ما العلمُ إلا ما حويتَ حقيقةً ... وعلومُ غيرك في الفلا كَسَراب
هذا هو الشمسُ المنيرُ بنوره ... خسفَ البدورَ وزالَ كلَّ شهاب

---

(١) الإسلاميون وتركيا العلمانية ، هاني درويش ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) الدولة العثمانية – الثقافة / المجتمع والسلطة ، حسن الضيفة ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م ص ١٢٢-١٢٣ .

كـم قـد أرانَـا مـن سماء كلامه ... نجـمُ الهدى في أوج أفق صواب
يـا مَـنْ بفَقْـد حـياته ووجـوده ... أمسـتْ قصـورُ الفضل شَرَّ يَبَاب
أمسـيتَ جـاراً للكـريم وجـارُه ... فـي جـنة ومكـارمَ وشَـراب
لا جارَ من أفْضَوا إلى سبل الهوى ... وتشـبَّثوا فـي غَيْهَـب بصعَاب
هـيهاتَ للأفـلاك يأتـي مـثلُه ... ولـو أنّهـا دارتْ مـدى الأحقَاب
يـا ربِّ روّح روحَـه بسـعادة ... وكـرامة فـي جـنة وثـواب [1]

صفاته :

"كان أبو السعود طويل القامة ، خفيف العارضين ، غير متكلف في الطعام واللباس غير أنَّ فيه نوع اكتراث بمداراة الناس ، والميل الزائد لأرباب الرياسة ، فكـان ذا مهابة عظيمة واسع التقرير وسائغ التحرير ، يلفظ الدر من كلمه وينثر الجوهر من حكمه بحراً زاخراً وطوداً باذخاً" [2] .

أمـا بالنسـبة لميلـه إلى السلطان فهـذا لا ينقص من قدر أبي السعود ومكانته العلمية شيئاً .

شيوخه :

هناك كتابان استفاد منهما أبو السعود ، وقام بدراستهما وتدريسهما ، وهما كمـا ذكر في مقدمة كتابه : كتاب "الكشاف" للزمخشري ، وكتاب "أنوار التنزيل" للبيضـاوي ، وقد أخذ عنهما وأضاف إليهما بما فتح الله به عليه من ألوان البيان كما يظهر من مقدمة كتابه "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" [3] .

وهـناك بعض العلماء الذين أخذ عنهم وذكرهم في تفسيره ، مثل : الإمام الواحدي والراغب الأصفهاني والبغوي ، والقرطبي هذا عن العلماء الذين سبقوه.

أما بالنسبة لشيوخه الذين أخذ عنهم العلم وتتلمذ على أيديهم ، وعاشوا في عصـره فـأولهم والده الشيخ محي الدين ، فقد قرأ عليه حاشية التجريد للشريف

---

(١) انظر : القصيـدة فـي العقـد المنظـوم ، ص ٤٥٣-٤٥٤ .

(٢) شذرات الذهب ، ج٨ ، ص ٣٩٩ .

(٣) انظر : مقدمة تفسير أبي السعود ، ص ٩ ، وضع حواشيه عبد اللطيف عبدالرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٩م .

الجرجانـــي من أول الكتاب إلى آخره مع جميع الحواشي المنقولة وشرح المفتاح للشريف أيضاً [١] .

وقد أخذ عن علماء عصره منهم العلامة المولى قادري جلبي [٢] .

تلاميذه :

- كان محمود بن أحمد المشتهر بابن برزان ملازماً للمولى أبي السعود الذي توفي بالقسطنطينية في شوال سنة ٩٨٣هـ ، والذي طلب العلم وتنقل في المـــدارس ، وأذن له فـــي الإفتاء وكان مطلعاً على دقائق العربية وعالماً بالفقه والكلام [٣] .
- وكـــان مـــن تلامـــيذه الذي روى تفسيره ، العلامة الشريف المولى محمد المعـــروف بالســـــعودي قاضي حلب وآمد وغيرها الذي قدم دمشق عام ٩٩٨هـ [٤] .

ولتفســـيره الشريف ديباجة طويلة شرحها محمد بن محمد الحسيني المدعو بزيرك زاده المتوفى سنة ١٠٠٣هـ ، ومن التعليقات في بعض مواضعه ، تعليق الشيخ أحمد الرومي الأقحصاري المتوفى سنة ١٠٤١هـ من الروم إلى الدخان ، وكذلك تعليقة عظيمة للشيخ رضي الدين بن يوسف المقدسي علقها إلى قريب من النصف وأهداها إلى المولى أسعد بن سعد الدين حين دخل القدس زائراً [٥] .

ومن أهم مصنفاته ورسائله [٦] :

١- كتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم وهو تفسيره ويعرف اختصاراً بتفسير أبي السعود ، وطبع في ستة أجزاء بدار الكتب العلمية بيروت .

---

(١) العقد المنظوم ، ص ٤٤٠ .

(٢) الكواكب السائرة ، ج٣ ، ص ٣٥ .

(٣) شذرات الذهب ، ج٨ ، ص ٤٠١ .

(٤) الكواكب السائرة ، ج٣ ، ص ٣٥ .

(٥) كشف الظنون ، م : ١ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٦) انظر هذه المصنفات :

هدية العارفين ، م : ٦ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

كشف الظنون ، م : ١ ، ص ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٤٩٨ ، ٦٦٠ .

كشف الظنون ، م : ٢ ، ص ١٢١٩ ، ١٣٤٧ ، ١٤٨١ ، ١٨٢٦ ، ١٩١٠ ، ٢٠٤٠.

٢- بضاعة القاضي في الصكوك .
٣- ثواقب الأنظار في أوائل منار الأنوار في الأصول .
٤- حسم الخلاف في المسح على الخفاف .
٥- غلطات العوام جمعها المولى مصطفى بن محمد المعروف بخسرو زادة المتوفى سنة ٩٩٨هـ .
٦- غمزات المليح في أول مباحث قصد العام من التلويح .
٧- موقف العقول من وقف النقول .
٨- قانون المعاملات .
٩- معاقد الطراف في أول تفسير سورة الفتح من الكشاف .
١٠- فتاوى أبي السعود جمعها المولى محمد بن أحمد الشهير ببوزان زادة ودونها على أبواب وفصول ، وتوفي سنة ٩٨٣هـ .
١١- نهاية الأمجاد في كتاب الجهاد على الهداية للميرغناني .
١٢- القصيدة الميمية المشهورة والتي شرحها كثير من العلماء وأشهرهم رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي ابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٥٩هـ ، وسماه (المنثور العودي على المنظوم السعودي) .

علمه :

كان أبو السعود مفتي التخت العثماني ، وهو من أعظم موالي الروم وأفضلهم ، ولم يكن له نظير في العلم والرئاسة والديانة [١] .

وهو من بيت عرف أهله بالعلم والفضل حتى قال فيه بعضهم : "وتربى في حجر العلم حتى ربا ، وارتضع ثدي الفضل وحبا ، ولا زال يخدم الشريعة حتى رحب باعه ، وامتد ساعده واشتد اتساعه" [٢] .

وكان عالماً شديد التحري في فتاويه "وكان رحمه الله من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها ، وسارت بذكره الركبان في مشارق الأرض ومغاربها" [٣] .

---

(١) الكواكب السائرة ، ج٣ ، ص ٣٥ .
(٢) العقد المنظوم ، ص ٤٤٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ .

وكان أبو السعود مفسراً عارفاً بأسرار العربية والفارسية والتركية ، وكان يكتب جواب الفتوى على منوال ما يكتبه السائل من الخطاب وبنفس الأسلوب واللغة التي توجه إليه ، فإن كان السؤال منظوماً كان الجواب منظوماً ، وإن كان الجواب نثراً كان الجواب نثراً ،وإن كان بلغة العرب فالجواب بلغة العرب ، وإن كان بلغة الترك فالجواب بلغة الترك ، وهذه أمثلة لذلك :

سُئل أبو السعود : "ما قول مولانا وسيدنا وقدوتنا وموضح مشكلاتنا وفاتق رتق معضلاتنا ، كعبة المجد والكمال ، قامع الزيغ والضلال ، نقاب العلماء والأعلام ، وشيخ مشايخ الإسلام ، لا زالت دعائم الشرع شارعة بيمن وجوده وإسعاد الدين كاثراً بكتائب سعوده ، في قوم اتخذوا قول لا إله إلا الله موضوعاً لتحريف النغمات ، ورعاية لصناعة الأصوات فطوراً يزيدون ، وطوراً ينقصون على حسب ما يلائم الصناعات الباطلات ، والآراء الفاسدات ، لا يرجون في ذلك لله تعالى وقاراً ، بل اتخذوا ذلك لبدعتهم شعاراً ؟" .

فأجاب :

"واذكر أمر مخترع مكروه ، ومكر مبتدع بئسما مكروه ، فتردوا في مهاوي الردى ومصارعه ، والتحقوا بالذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، فيجعلون تلاوة المثاني كترنمات الأغاني ، فوالذي أنزلها بالحق المبين ، وجعلها كلمة باقية إلى يوم الدين ، لئن لم ينتهوا عما هم فيه من المكر الكريه ، ولم يرجعوا كلمة التوحيد إلى نهجها السديد ، ليمسَّنهم عذاب شديد ، وإنما الذي ندب إليه وحرض المؤمنون عليه تزيين الأصوات بالقرآن الجليل ، من غير تغيير فيه ولا تبديل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل" [1] .

ويُنْسَب إليه البيتان اللذان أجيب بهما بيتا العجم وهما :

نحنُ أناسٌ قد غَدَا دأْبُنَا ... حبَّ عليِّ بن أبي طالب

يعيبُنا الناسُ على حبِّه ... فلعنةُ الله على العائب

---

(١)العقد المنظوم ، ص ٤٤٢ .

فأجاب المولى أبو السعود بقوله :

مـــا عيـــبُكم هـــذا ولكـــنَّه بغـــضُ الـــذي لُقِّـــبَ بالصَّـــاحب
وقولُكـــم فـــيه وفـــي بنـــته فلعـــنةُ الله علـــى الكـــاذب (١)

وكـــان أبـــو الســـعود مفسراً ويظهر من تفسيره أنه خبير بأسرار العربية وسعة علمه بها ، ومعرفته بالمسائل النحوية والبلاغية ، وأسرار الإعجاز القرآني وأســباب النزول والمناسبات والقراءات وتاريخ الأمم السابقة ، ومعرفته بالأمور الفقهـيـــة نظراً لاشتغاله بالفقه والفتوى مما نلاحظه من خلال ما تحدث عنه في ثنايا هذا التفسير .

أدبـــه :

كـــان أبو السعود أديباً بارعاً : "واسع التقرير ، سائغ التحرير ، يلتقط الدر مـــن كلمه ، ويتناثر الجوهر من حكمه ، إذا نثر تراه بحراً زاخراً ، وإذا نظم قلد جيد البيان دراً فاخراً ، وكتب رحمه الله صوراً تتعلق بأوقاف الملوك والوزراء ، وقـــد أربى فيه على من تقدم وأتى بما يدل على غاية رسوخ القدم (ومن زواهر) در عبابه ، ما كتبه في رسالة أرسلها إلى أحبابه ، قال رحمه الله :

"وأمـــا حـــال الـــبعاد ، من آلام النـــأي والبعـــاد ، وما دهمه من تباريح الشـــوق والغـــرام واعتـــراه من لواعج الوجـــد والأوام ، مذ غـــاب طلعتكم عـــن العيـــن ، ونعـــب بيننا غـــراب البيـــن ، وزُمَّت الركاب للرحال ، وانْبتّ مـــن بينـــنا حبـــل الاتصال ، فلا يحيـــط بهـــا نطـــاق التحرير ، ولا يعلمها إلا العليم الخبير" (٢) .

فمن هذه العبـــارة نجـــد أنـــه يستخدم السجع والجنـــاس الذي كان سائداً فـــي الكـــتابـــة فـــي ذلـــك العصـــر وقـــد ظهـــر ذلك فيما قدمناه عن إجابته للســـؤال الـــذي وُجِّـــه إليه نثراً وأجاب عنه بنفس الجواب كما لاحظناه أيضاً من خلال مقدمة تفسيره .

---

(١) شذرات الذهب ، ج٨ ، ص ٤٠٠ .

(٢) العقد المنظوم ، ص ٤٤٥ .

هذا عن نثره أما شعره :

فشـــعره جـــيد ولا يقـــل عن شعر غيره ممن عاصروه من الشعراء وله مجموعـــة مـــن القصائد والمقطوعات التي تدل على شاعريته ، وتملكه لأساليب البيان ، يقول :

يـــا بائـــناً ومحلُّـــه فـــي فُـــؤَادي ... كـــيف الـــبعادُ وأيـــنما تفـــتازْ
زمّـــت ركـــابُك للرحـــيل بدولـــة ... اللهُ جـــارُك حيـــثما تجـــتازْ
وَجْـــدي وشَـــوْقي إلـــيكَ حقـــيقةٌ ... والشـــوقُ مـــنه حقيقةٌ ومجازْ (١)

وقـــد أنشد لنفسه عندما انتقل عن إحدى المدارس هذه الأبيات التي نأخذها من قصيدة طويلة له :

دنـــا النأيُ عن نَجْد فأصبحتُ قائلاً ... وداعـــاً لمـــن قد حلّ هذه المنازلا
فـــيا حـــبَّذا تـــيكَ المعـــالمُ والرُّبَا ... بهـــا كلُّ مَنْ تهوى وما كنتَ آملا
نســـيمُ الصَّـــبا عرِّج عليها ونادها ... ســـقاكَ الغـــوادي وابـــلاً ثم وابلا
وسَـــلِّمْ علـــى أقطانهـــا باســـتكانة ... وبلِّـــغ دُعائـــي هـــؤلاء الأمـــاثلا
ويـــا شـــاهقاً خلفَ الحمى ثم دونَه ... علـــيك ســـلامٌ بكـــرةً وأصـــائلا
لبســـتَ الثيابَ البيضَ بعدي فإنني ... على مأتم مذ سقتُ عنك الرواحلا
ولـــم أرَ أمـــراً سرّني منذ أصبحتْ ... صـــروفُ النَّوى بيني وبينك حائلا
نـــأتْ عـــنْك داري لا قلىً وسآمةً ... بلـــى فعـــلُ التقدير ما كان فاعلا
ولـــن تبرح الأشواقُ تزدادُ في الحشا ... إلـــى أنْ أرى أمراً من الدَّهر هائلا
بلـــى إنَّ أحكـــام الطبـــيعة كلُّهـــا ... خـــيالٌ سيغدو عند ذلك باطلا (٢)

أما قصيدتـــه المشـــهورة وهـــي الميمية التي يقول فيها :

أبعـــدَ سُـــلَيمى مَطْلَـــبٌ ومـــرامُ ... وغـــيرُ هَوَاهـــا لَوْعـــةٌ وغـــرَامُ
وفـــوقَ حماهـــا ملجـــأٌ ومـــثابةٌ ... ودونَ ذُراهـــا موقـــفٌ ومقـــامُ
وهـــيهاتَ أن يثنـــي إلى غير بابها ... عـــنانُ المطَايـــا أو يُشَـــدُّ حـــزامُ
هي الغايةُ القُصوى فإنْ فاتَ نيلُها ... فكـــلُّ مُـــنى الدنـــيا علـــيَّ حرامُ
لقـــد تمَّ أزمانُ المسرَّات وانقَضَتْ ... لكـــلِّ زمـــان غايـــةٌ وتمـــامُ
دهـــور تقضَّـــت بالمســـرَّة ساعةً ... وآن توَلّـــى بالمُسَـــاءة عـــامُ

---

(١) العقد المنظوم ، ص ٤٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٥ ، ص ٤٤٦ ، ص ٤٤٧ .

فللدَّهـــر تـــاراتٌ تمرُّ على الورَى نعـــيمٌ وبـــؤسٌ صـــحةٌ وســـقامُ

وهـــي قصـــيدة طويلـــة [1] عبارة عن نصائح وعظات وعبر وذكر للأمم الســـابقة وما آل إليها مآلها وأن هذه الدنيا فيها المسرة وفيها الإساءة ، فيها النعيم وفـــيها الـــبؤس ، فـــيها العز وفيها الهوان ، ففيها متناقضات الحياة وهذا يذكرنا بقصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس التي يقول فيها :

لكـــلِّ شـــيء إذا مـــا تـــمّ نقصانُ فـــلا يغـــرُّ بطيـــب العيش إنسانُ
هـــي الأيـــامُ كمـــا شـــاهدتُها دولٌ مـــن ســـرَّهُ زمـــنٌ ساءَتْه أزمانُ
وهـــذه الـــدارُ لا تُبْقـــي على أحد ولا يـــدومُ على حال لها شَأْنُ [2]

وهـــي قصـــيدة مشـــهورة عارضها جماعة من الأدباء وقد سمى بعضهم شرحَه عليها "المنثور العودي على المنظوم السعودي" كما ذكرنا من قبل .

ولـــــه قصائد يذكر فيها صروف الزمان ومتناقضاتـــه وعـــدم دوام حال هـــــذه الدنـــيا فعزُّها وذلُّها سيّان وذكر فيها بعض الخطباء والحكماء السابقين ، يقول فيها :

لمـــن الديـــارُ تَضَعْضَـــعَتْ أَرْكَانُها وانقَـــضَّ فوق عروشها جدرانُها
أضـــحتْ مـــثابةَ كـــلِّ يـــوم صادح وتفرَّقـــت أيـــدي سَـــبا ســـكانها
إذ ليســـت الدنـــيا تـــدومُ بحالـــة ســـيَّانُ عـــندي عـــزُّها وهوانُها
إذْ قـــامَ فـــي نـــادي البراعة منشدٌ ركـــنُ الـــبلاغة قسُّـــها سحبانُها
ينشـــيءُ بدائـــعَ يســـتحيلُ منَالُها يـــروي قصـــائدَ عـــبقرياً شَأْنُها
غـــرَرٌ تعـــاطَى نظمَهـــا نقادُهـــا حكـــمٌ تولّـــى درسَـــها لقمانُهـــا
هـــم ســـادةٌ ملكـــوا زمـــامَ تقـــدُّم فـــي حَلْبة للفَضْل هم فرسانُها [3]

وله مقطوعة في الوعظ والإرشاد ، يقول :

ألا مَـــنْ بَـــنَى فَلْيبْـــن ركناً مشيَّداً ويرقى منيعَ السَّمْك صرحاً ممرَّدا
عجيباً غريبَ الصنع تَسْبى له النُّهى بديـــعُ المراقـــى عـــبقرياً مُـــنْجدا

---

(١) انظر القصيـــدة في العقـــد المنظـــوم ، ص ٤٤٠ ، ص ٤٤١ .

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمَقْري ، ج٥ ، ص ٣٧٣ ، تحقيق يوسف البقاعي ، دار الفكر بيروت ١٩٩٨م .

(٣) العقد المنظوم ، ص ٤٥١ .

صـــنائعُ لا تُبلـــى الجديدان رسمَها ... ويـــبقى علـــى مرّ العصور مخلَّدَا
ومـــاذا بـــناءٌ يُبْتـــنى مـــن حجارة ... وطينٌ سيغدو عن قريب مبدَّدا [1]

وله أيضاً في ذكر الأحبة :

ســـــلالةُ الأكابـــــر العظـــــام ... نتـــيجة الأمـــاجد الفخـــام
لطـــفُ الإلـــه الملـــك العـــلام ... علـــيك منّـــى أفضـــلُ الســـلام
كـــم لـــك مـــن مفاخـــر جســـام ... فُقْـــتَ بهـــا طوائـــفَ الأنـــام
لا زلـــت فـــى عـــزٍّ وفـــى إكـــرام ... مـــدى الليالـــى ومـــدى الأيـــام
مـــا احتجـــب الســـماءُ بالغَمَـــام ... واخـــتلط الضـــياءُ بـــالظَّلام [2]

ومما قاله في تشوقه للبيت الحرام :

وخـــريدةٌ بـــرَزَت مـــن خدرهـــا ... كالـــبدر يـــبدو مـــن خلال غَمَام
عربـــيةٌ فتـــنكَّرت وازَّينـــت ... بملابـــس الأعجـــام والأروام
تُسْـــبى من العُرْب العقول بأسْرها ... وتطـــيرُ لـــبُّ الـــروم والأعجـــام
وتقودُهـــم أســـراءَ نحـــوَ ديارهم ... بسلاســـلَ مـــن لوعـــة وغـــرام
طوبـــى لمـــن رُزق الوقوفَ ببابها ... فهـــو المـــرامُ وأىُّ أىُّ مـــرام
بـــابٌ إلـــيه تشـــوقى وتوجهـــى ... حـــرمٌ إلـــيه تحيتـــى وســـلامى
يـــا ليـــت شعرى هل أفوزُ بزَوْرة ... يوماً وقد ضربتُ هناك خيامى [3]

وله هذان البيتان يتوجه فيهما إلى الله بالضراعة والطاعة ، يقول فيهما :

لا هـــم يـــا مقلـــبَ القلـــوب ... وكاشـــفَ الغمـــوم والكـــروب
وعـــالم الأســـرار والغـــيوب ... هـــوِّن علـــىّ جملـــة الخطوب [4]

مصادر الكتاب : يمكن أن نقسم مصادر تفسير أبي السعود إلى نوعين من المصادر :

١- مصادر رئيسة :

قـــام أبو السعود بدراسة كتاب "الكشاف" للزمخشري وكتاب "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي ، وهما المصدران الأساسيان اللذان اعتمد عليهما في تفســـيره ، فقـــد كـــان يريد أن يخرج كتاباً يجمع بين هذين التفسيرين ، ويضيف

---

(١) العقد المنظوم ، ص ٤٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٥٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٥٣ .

إلـــيهما مـــن كتـــب التفســـير الأخـــرى وبما ألهمه الله وفتح عليه من نور علمه وبصيرته . وقد سَمَّى هذا التفسير "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" .

وقـــد ذكر أبو السعود في مقدمة الكتاب أنه يريد أن يؤلف كتاباً يجمع فيه بين هذين التفسيرين فيقول :

"ولقـــد كـــان فـــي سوابق الأيام وسوالف الدهر والأعوام ، أوانَ اشتغالي بمطالعـــتهما وممارستهما ، وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما ، يدور في خَلَـــدي علـــى استمرار ، آناء الليل وأطراف النهار ، أنْ أنظم درر فوائدهما في نمط دقيق ، وأرتب غُرر فرائدهما على ترتيب أنيق ، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضـــاعيف الكتـــب الفاخـــرة من جواهر الحقائق ، وصادفته في أصداف العيالم الزاخـــرة مـــن زواهر الدقائق ، وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأســـلوب بديـــع ، حســـبما تقتضيه جلالة شأن التنزيل ، ويستدعيه جزالة نظمه الجلـــيل ، ما سنح الفكر العليل بالعناية الربانية ، وسمح به النظر الكليل بالهداية الســـبحانية ، مـــن عـــوارف معارف تمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب ، وغرائـــب رغائـــب تـــرنو إليهـــا أحداق الأمم من كل نحرير أريب ، وتحقيقات رصـــينة تُقيل عثرات الأفهام في مداحض الأقدام ، وتدقيقات متينة تُزيل خطرات الأوهـــام ، مـــن خواطر الأنام ، في معارك أفكار تشتبه فيها الشؤون ، ومدارك أنظـــار تخـــتلط فـــيها الظنون ، وأبرز من وراء أستار الكمون ، من دقائق السر المخزون ، في خزائن الكتاب المكنون ، ما تطمئن إليه النفوس وتقرُّ به العيون ، من خفايا الرموز ، وخبايا الكنوز" [1] .

مـــن هـــذه المقدمـــة نلاحـــظ اعتمـــاد أبـــي الســـعود علـــى هذيـــن المصـــدرين وإضافتـــه إليهمـــا في تفســـيره إضافـــات جعلت أبا السعود متميزاً في تفسيره للآيات .

---

(١) تفسـير أبـي السعود ، المقدمة ، ج١ ، ص ٨ ، ٩ ، وضع حواشيه عبد الله عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٢- مصادر فرعية :

هـناك مصـادر أخرى اعتمد عليها أبو السعود في تفسيره ، وقد ذكر من المفسـرين السابقين أمثال : الواحدي والقرطبي والراغب الأصفهاني وابن كثير والبغوي وغيرهم .

وقد ذكر آراء هؤلاء المفسرين أثناء تفسيره لبعض الآيات ، بالإضافة إلى أنه ذكر آراء المفسرين المتقدمين أمثال ابن عباس وابن مسعود وغيرهم .

منهج الكتاب :

لم يصدر أبو السعود تفسيره دفعة واحدة نظراً لاشتغاله بالتدريس والقضاء والإفـتاء وتـنقلاته أثـناء الـتدريس في المدارس المختلفة وتنقلاته مع السلطان العثمانـي أثناء الغزو وقد تقدمت به السن وأراد أن يخرج تفسيراً يجمع فيه بين آراء الزمخشـري والبيضاوي ويضيف إليهما من علمه ومعرفته وخبرته بالعلوم السابقة وما فتحه الله عليه من العلم والمعرفة .

وقد اعتمد أبو السعود منهجاً خاصاً به يظهر هذا المنهج :

أولاً : في ذكره لأسباب النزول ، أي نزول الآيات فكان يذكر أكثر من سبب لها وأحياناً يرجح واحداً منها مثل قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (١) .

قيل : نزلت في ثعلبة بن حاطب الذي أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : ادعُ الله أن يرزقنـي مـالاً فقال عليه الصلاة والسلام : "يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثـير لا تطيقه" فراجعه وقال : والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنَمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فـنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل : كثر ماله حتى لا يسعه واد ، فقال : يا ويح ثعلبة" فبعث مصدِّقَيْن لأخذ الصدقات فاستقبلهما الـناس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ الذي فيه الفـرائض ، فقال : ما هذه إلا أخت الجزية وقال : ارجعا حتى أرى رأيي ، فلما

---

(١) التوبة : آية ٧٥ .

رجعا قال : "يا ويح ثعلبة" مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه الصلاة والسلام : "إن الله منعني أن أقبل منك" فجعل يحثو التراب على رأسه فقال عليه الصلاة والسلام : "هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني" .

وقيل : " نزلت فيه وفي سهل بن الحارث وجدّ بن قيس ومعتب بن قشير والأول هو الأشهر" [١] .

ويذكر أبو السعود أسباب نزول الآية : ﴿ **وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ** ﴾ [٢] ، قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ألا يكلم ختنه بشر ابن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته ، وقيل : في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مِسْطَح لخوضه في حادثة الإفك" [٣] .

ثانياً : اهتمامه بذكر المناسبات ورعاية الفواصل ورؤوس الآي :

فمن ذكره لمناسبة الآية في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ** ﴾ [٤] لما بعدها "وأما تقديم إنفاقهم رئاء الناس على عدم إيمانهم بهما مع كون المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين إنفاقهم ذلك وبين ما قيل من بخلهم وأمرهم للناس به" [٥] . فقد ذكر أبو السعود في تفسيره لهذه الآية مناسبتها مع الآية التي سبقتها والتي تتحدث عن البخل كما في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ** ﴾ [٦] وبين ما جاء بعد الإنفاق في قوله تعالى : ﴿ **وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [٧] .

وقد يكون التقديم لرعاية الفواصل كما في قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [٨] . قال أبو السعود : "تقديم الجار والمجرور على الفعل

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) البقرة : آية ٢٢٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٤) النساء : آية ٣٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٣٦ .

(٦) النساء : آية ٣٧ .

(٧) النساء : آية ٣٨ .

(٨) الأنبياء : آية ٤١ .

لرعاية الفواصل" [١]

ومما ذكره أبو السعود من الاهتمام برؤوس الآي قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ [٢] .

"وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الآي" [٣] .

ثالثاً : اهتمامه بالدرس النحوي واللغوي :

ونلاحظ اهتمام أبي السعود بالدرس النحوي والتطبيقات النحوية في تفسيره وذكر آراء النحويين واللغويين في كثير من المسائل وذكره لوجوه الإعراب التي تتناسب مع شرح الآية ، يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ** ﴾[٤] "أن ينادي" صفة "لمنادياً" عند الجمهور كما في قولك : سمعتُ رجلاً يقول : ... ومفعول ثانٍ عند "الفارسي" وأتباعه" [٥] .

ويذكر آراء النحاة في الإعراب كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [٦] .

يقول : "والتقدير إنْ كان يريد أن يغويكم فإن أردتُ أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط ، وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا : ﴿ **وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي** ﴾ جزاء للشرط الأول والجملة جزاء للشرط الثاني" [٧] .

وقد يميل إلى بعض آراء النحاة في الإعراب وقد يخالفهم في الرأي فيثبت وجهاً في الإعراب مخالفاً لرأيهم كما هو الحال في مخالفته لسيبويه في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ** ﴾ [٨] على أنَّ ما خبر ويوم الفصل مبتدأ

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٣٨ .

(٢) البقرة : آية ٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٤٦ .

(٤) آل عمران : آية ١٩٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٨٥ .

(٦) هود : آية ٣٤ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٨) المرسلات : آية ١٤ .

لا بـــالعكس كما اختاره سيبويه لأن محطّ الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يعاور قَدْرُه ولا يُكتَنَهُ كنهُهُ كما يفيده خبرية ما لا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيده عكسه" (١) .

ويعتـــبر تفسير أبي السعود من أغزر المراجع في تطبيق الدرس النحوي والقواعد النحوية في تفسير الآيات القرآنية .

ونجـــد اهـــتمام أبـــي السعود في تفسير المفردات اللغوية فهو يذكر معنى الكلمة كما يذكر تفسير العلماء والمفسرين لها كما يظهر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً** ﴾ (٢) .

قال أبو السعود : والقسيس هو من علماء النصارى وعبّادهم ورؤسائهم ، والقســـيس صـــيغة مـــبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل ، سُمُّوا بذلك لمبالغتهم في تتبع العلم . قاله الراغب .

وقـــيل : القَـــس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سُمِّي عالم النصارى قسيساً لتتبعه العلم وقيل : قص الأثر وقسَّه بمعنى ، وقيل إنه أعجمي .

وقـــال قُطْـــرب : القـــس والقســـيس العـــالم بلغة الروم ، وقيل : ضيَّعت النصـــارى الإنجيل وما فيه ، وبقي منهـــم رجـــل يقال له قسيس لم يبـــدّل دينه ، فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس" (٣) .

ويذكـــر أبـــو السعود معنى كلمة "فظّاً" في قوله تعالى : ﴿ **وَلَـــوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِـــكَ** ﴾ (٤) يقول : "فظّاً" : جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً" ثم يذكر تفسير العلماء لها فيقول : وقال الراغب : الفظ هو الكريه الخُلق .

وقال الواحدي : هو الغليظ الجانب السيء الخلق .

وقال الكلبي : فظّاً في القول غليظ القلب في الفعل (٥) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٤٩ .

(٢) المائدة : آية ٨٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣١١ .

(٤) آل عمران : آية ١٥٩ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣١١ .

رابعاً : اهتمامه بالدرس البلاغي :

وقد اهتم أبو السعود اهتماماً كبيراً بالدرس البلاغي ، ومظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ، وقد ظهرت جهوده ظهوراً ملحوظاً في هذا المجال وخاصة أثناء شرحه للمسائل البلاغية ومناقشته لها أثناء تفسيره للآيات .

فقد عرض كثيراً من المسائل البلاغية في تفسيره سواء في علم المعاني أو علم البيان أو علم البديع كما سنعرض له أثناء دراستنا لهذه المسائل عندما نبين جهود أبي السعود في مجال الدرس البلاغي .

فقد كان يذكر أكثر من وجه من الوجوه البلاغية في تفسير الآية الواحدة كما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾ [1] قال أبو السعود بعد تفسيره لمعنى قول الله : "فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ، ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة ، وتقليل الحكم ، وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال" [2] ويستشهد بالأبيات الشعرية التي تؤيد رأيه أثناء عرضه للقضايا البلاغية ، وذكر الشاذ أو المستغرب منها ، يقول أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ** ﴾ [3] وقيل : كلمة لو لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة أنْ ومفعول المشيئة محذوف جرياً على القاعدة المستمرة فإنها إذا وقعت شرطاً وكان مفعولها مضموناً للجزاء فلا يكاد يذكر إلا أن يكون شيئاً مستغرباً كما في قوله :

فلو شئتُ أنْ أبكي دَمَاً لبكيتُه ... عليه ولكنْ ساحةُ الصبر أوسعُ

أي "لو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل" [4] .

---

(١) النساء : آية ٤٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤٧ .

(٣) البقرة : آية ٢٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٧٨ .

خامساً : الاهتمام بالقراءات القرآنية :

ونحن نجد أن أبا السعود يكثر من ذكره لهذه القراءات التي يستفاد منها في الـدرس البلاغي والكشف عن مواطن البلاغة في القرآن الكريم ونجد جهود أبي السـعود تظهر في أكثـر من مجـال مثـل تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ** ﴾ (١)

"تـرجَعُون على البناء للمجهول من الرَّجْع وقريء على البناء للفاعل من الرجوع والأول أدخـل في التهويل وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وقرئ تُردون وكذا تصيرون" (٢) .

وكذلـك فـي قوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ (٣) قال أبو السعود : "وقريء بالياء على الالتفات إلى الغيبة وقد جوِّز أن يكون المراد بالقوم المجرمين أهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب إيذاناً بأنهم أعلام في الإجرام" (٤) .

سادساً : الاهتمام بالمسائل الفقهية :

يـتعـرض أبو السـعود فـي تفسـيره للمسـائل الفقهيـة وذلـك لأنه كـان مفتيـاً وقاضيـاً فقـد اشـتغل فيهمـا مـدة غيـر قصيـرة تقـرب من ثلاثيـن عامـاً فهـو يذكـر آراء الفقهـاء فـي هـذه المسـائل ثـم يذكر رأي أبـي حنـيفـة فـي أي مسـألة من المسـائل وخاصـة إنـه علـى مذهب أبي حنيفة .

يقـول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ** ﴾ (٥) "معروفات بيـن الـناس هـي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عندنا (٦) وتسعة بليلة

---

(١) البقرة : آية ٢٨١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١٨ .

(٣) يونس : آية ١٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٢٠ .

(٥) البقرة : آية ١٩٧ .

(٦) أي عند أبي حنيفة .

الـــنحر عـــند الشـــافعي وكله عند مالك ، ومدار الخلاف أن المراد بوقته : وقت إحرامه أو وقت أعماله ومناسكه أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقاً فإن مالكـــاً كره العمرة في بقيـــة ذي الحجـــة وأبو حنيفـــة وإن صحّح الإحـــرام به قبل شوال فقد استكرهه" [١] .

سابعاً : اهتمامه بذكر الأحاديث الشريفة :

ويستشـــهد أبو السعود كثيراً بالأحاديث النبوية الشريفة أثناء تفسيره سواء في ذكر أسباب النزول أو غيرها .

كما أنه يستشهد بأحاديث كثيرة وخاصة في نهاية كل سورة ذاكراً فضائل هذه السور وهو متابع للزمخشري والبيضاوي في ذكرهما لهذه الأحاديث غير أنه يذكر في نهاية الحديث قول : والله أعلم كما هو الحال في ذكره للحديث في فضل ســـورة آل عمـــران : وعنه ﷺ : "من قرأ السورة التي يُذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تُحجب الشمس" والله أعلم [٢] .

أسلوب الكتاب :

يميل أبو السعود في تفسيره إلى التفسير العقلي والمنطقي وهذا يظهر أثناء عرضه لكثير من القضايا خلال تفسيره للآيات .

وهـــو أســـلوب متمـــيز يمـــيل فيه إلى التعمق في ذكر المسائل أو بعض العـــبارات التي تحتاج إلى إيضاح فيقول في بعض العبارات : "ولا يساعده سباق النظم ولا سياقه" [٣] فسباق النظم رباطه وقيده وسياقه : التتابع في الأسلوب الذي يجري عليه [٤] .

وكذلـــك عـــندما يـــتحدث عـــن بعض القضايا العقلية مثل : "لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية" [٥] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٥٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٩٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٨٧ .

(٤) المعجم الوسيط ، ج١ ، ص ٤١٧ ، ٤٦٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٨٢ .

فالزواجـــر التنزيلية هي الآيات المنزلة التي من خلالها نهى الله عن فعل الشـــيء ، والآيـــات التكوينية هي ما ينبغي أن يراه الإنسان في الكون وفي نفسه بالنظر والتأمل وأن يتعظ به ويزدجر .

فهـــو أسلوب يحتاج إلى تفكير وتدبر ، وخاصة في ذكره لبعض العبارات أثـــناء شـــرحه وتفسيره للمســـائل البلاغيـــة وذكر المتناقضات في هذه العبارات مـــثل تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** ﴾ (١) ، "وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأنّ لتأكيد الإنكار لا إنكار التأكيد كما عسى يُتوهمُ من ظاهر النظم فـــإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (٢) علـــى رأي الجمهـــور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور" (٣) .

ويذكـــر أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (٤) ، "كمـــا أنّ الجملة الإسمية تدل بمعرفة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام" (٥) .

ويوضح معنـــى الاســـتثناء في قوله تعالى : ﴿ **إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ (٦) بقوله :

"فالاســـتثناء حينـــئذ لـــيس لإخراج جميع أفرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لإخراج بعضها ، أي حُرمت عليكم المحصـــنات علـــى الإطـــلاق إلا المحصـــنات اللاتي ملكتموهن فإنهن لسن من المحرمات على الإطلاق ... الخ (٧) .

---

(١) الواقعة : آية ٤٧ .

(٢) آل عمران : آية ٦٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٩١ .

(٤) آل عمران : آية ١٠٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٦ .

(٦) النساء : آية ٢٤ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٢١ .

فالمتفحص لأسلوب أبي السعود يحتاج إلى وقفة عند كثير من عباراته التي تحتاج إلى إعمال العقل في فهم هذه العبارات نظراً لعمقها وظهور النزعة المنطقية فيها .

الفصل الأول

تأثر أبي السعود بالعلماء السابقين

تأثر أبي السعود :

- بالزجاج : ت (٣١١هـ) .
- بالزمخشري : ت (٥٣٨هـ) .
- بالقرطبي : ت (٦٧١هـ) .
- بالبيضاوي : ت (٦٨٥هـ) .
- بابن حيان : ت (٧٤٥هـ) .

الفصل الأول

تأثر أبي السعود بالعلماء السابقين

لقد ذكرنا من قبل أن أبا السعود قد درس كتابين من كتب التفسير وقام بتدريسهما وقد أفاد أبو السعود من هذين الكتابين وأضاف إليهما بما أفاء الله عليه من نعمة العلم والمعرفة مما جعله متميزاً وخاصة في مجال الدرس البلاغي وتطبيق المسائل البلاغية في التفسير والقدرة على الشرح والتحليل والتنقيب ودرايته بمسائل الإعجاز القرآني ومواطنه .

وكان هذان الكتابان "الكشاف" للزمخشري [١] ، و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" المعروف بتفسير البيضاوي [٢] من موارد علمه ومصادر دراسته وكان لهما دور كبير في إخراج كتاب "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" المعروف بتفسير أبي السعود لأن أبا السعود ذكر في مقدمته [٣] أنه يريد أن يخرج كتاباً على نمط هذين الكتابين ويضيف إليهما بما ألهمه الله من العلم والمعرفة ما يكون فيه من الفائدة العظيمة والخدمة الكبيرة لكتاب الله سبحانه وتعالى .

وقد كان كتاب الكشاف للزمخشري أول كتاب في التفسير يتناول الدرس البلاغي والإعجاز القرآني بالتحليل والشرح فقد كان لهذا التفسير تأثير كبير في عالمين من علماء الإسلام وفي كتابين من كتب التفسير وهما كتاب التفسير للبيضاوي وتفسير أبي السعود .

فقد أعجب هذان العالمان بتفسير الزمخشري وقام الشيخ البيضاوي باختصاره في كتاب سماه "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" .

---

(١) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، توفي سنة ٥٣٨هـ ، ومن أشهر كتبه الكشاف ، انظر الأعلام ١٧٨/٧ .

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي ، توفي سنة ٦٨٥هـ ، ومن تصانيفه "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" المعروف بتفسير البيضاوي ، الأعلام ١١٠/٤ ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م .

(٣) انظر مقدمة تفسير أبي السعود .

تأثر أبي السعود بالزجاج [1]

ومـــن المســـــائل التي تأثر بها أبو السعود في تفسيره بالزّجاج في قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ [2] ، يقول أبو السعود "كـــان المـــنادى جبريل عليه السلام كما تفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم : فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له غير فرس . قال الزجاج : أي أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة" [3] فقد قال الزجاج في تفســيره لهــذه الآية : "يجوز أن تقول نادته الملائكة وإنما ناداه جبريل وحده لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كما تقول : ركب فلان السفن وإنما ركب سفينة واحدة تريد بذلك جعل ركوبه في هذا الجنس" [4] .

تأثر أبي السعود بالزمخشري

ســـنتحدث مباشـــرة عن تأثير كتاب الكشاف في تفسير أبي السعود ومدى تأثـــر أبي السعود ببلاغة الزمخشري ، مظهريـــن بعض ملامح التأثر ومواطنه التـــي استفاد منها أبو السعود في تفسيره وخاصة في مجال الدرس البلاغي الذي هـــو مجال دراستنا وموضوعه الذي يبين جهـــود أبي السعود في مجـــال الدرس البلاغـــي وتطبيـــق المســـائل البلاغية ومن هذه المسائل :

١- **الاستفهام** : تحدث أبو السعود عن الغرض من الاســـتفهام في الآية القرآنية ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [5] . قال أبو السعود في تفسيره لها : "إنكار واســـتبعاد لأن يكـــون فـــي العقـــلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصـــريح والدين الصحيح ، أي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء ﴿ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [6] .

---

(١) إبراهـــيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، عالم بالنحو والعربية ، توفي ببغداد سنة ٣١١هـــ ، من كتبه "معاني القرآن وإعرابه" ، الأعلام ١/٤٠ .

(٢) آل عمران : آية ٣٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٦٣ .

(٤) انظـــر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق د. عبد الجليل شلبي ، ج١ ، ص ٤٠٥ ، عالم الكتب ، ١٩٨٨م .

(٥) البقرة : آية ١٣٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٠٠ .

فهـو متأثر بقول الزمخشري في تفسيره للآية : "إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم" (١) .

وكذلك فقد تأثر أبو السعود بالزمخشري في قوله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٢) . قال أبو السعود في أصل الاستفهام : "وقيل : ها أنتم أصله : أأنتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء" (٣) .

وهذا القول تأثر به أبو السعود بالزمخشري في تفسيره للآية نقلاً عن الأخفش : "وعن الأخفش ها أنتم هو : آأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم" (٤) .

ومن مظاهر هذا التأثر في هذا النوع من الاستفهام الذي يؤدي إلى التنافر بين الكلام وبين المخاطب بطريق الإنكار في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ ﴾ (٥) .

قال أبو السعود : "أأعجمي وعربي : إنكار مقرر للتحضيض والأعجمي يقال لكلام لا يفهم للمتكلم به ، والمعنى : أكلام أعْجميّ ورسول أو مُرسل إليه عربي على أن الإفراد مع كون المرسل إليهم أمة جمة لما أنّ المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحداً أو جمعاً ، وقريء أعَجميٌّ أي أكِلامٌ منسوب إلى أمة العجم وقريء أعْجميٌّ على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمتكلم والمخاطب عربيٌّ . ويجوز أن يراد هلاّ فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب وأيّاً ما كان

---

(١) الكشاف ، ج١ ، ص ١٨٨ ، رتبه وصححه وضبطه محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(٢) آل عمران : آية ٦٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٨١ .

(٤) الكشاف ، ج١ ، ص ٣٦٤ .

(٥) فصلت : آية ٤٤ .

فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً يتعللون به" [1] .

يقول الزمخشري في ذلك : "أأعجمي وعربي الهمزة همزة الإنكار وقالوا : أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي ، والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان ، والعجمي منسوب إلى أمة العجم وفي قراءة الحسن : أعجمي بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي .

والمعنى : أن آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً ويجوز في قراءة الحسن : هلاّ فصلت آياته تفصيلاً فجعل بعضها بياناً للعجم وبعضها بياناً للعرب ، فإن قلت : كيف يصبح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب ؟ قلت : هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتاباً أعجمياً كتب إلى قوم من العرب يقول : كتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة" [2] .

٢- **الإلهاب والتهييج** : وهناك مسألة تأثر بها أبو السعود بالزمخشري وهي مسألة "الإلهاب والتهييج" وهي غرض من أغراض النهي والأمر ففي قوله تعالى : ﴿ **فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [3] . قال أبو السعود : "لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه الصلاة والسلام وضلالهم أو على جميع ما فصّل في أول السورة ، وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم . أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلّب في ذلك أو نهي عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عليه الصلاة والسلام استجلاباً لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة" [4] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٤٧ .

(٢) الكشاف ، ج٤ ، ص ١٩٧ .

(٣) القلم : آية ٨ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٨٥ .

وقال الزمخشري في تفسيره لها : "تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم" [١] .

٣- **وضع المظهر موضع المضمر** : ومن المسائل البلاغية التي تأثر بها أبو السعود بالزمخشري وضع المظهر موضع المضمر في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [٢] .

قال أبو السعود : والأصل حسابه إنه لا يفلح هو ، فوضع "الكافرون" موضع الضمير لأنّ (مَن يدعُ) في معنى الجمع ، وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى : حسابهم أنهم لا يفلحون" [٣] .

وقال الزمخشري : وكذلك الأصل حسابه أنه لا يفلح هو ، فوضع "الكافرون" موضع الضمير لأن (من يدع) في معنى الجمع وكذلك (حسابه أنه لا يفلح) في معنى : (حسابهم أنهم لا يفلحون) [٤] .

٤- **الاعتراض** : وهناك مسألة بلاغية تأثر بها أبو السعود بالزمخشري في نفس الآية السابقة وهو قوله تعالى : ﴿ **لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ** ﴾ [٥] . قال أبو السعود : "لا برهان له به اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك : من أحسن إلى زيد لا أحق منه بالإحسان فالله مثيبه" [٦] .

وقال الزمخشري : "يجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء كقولك : مَنْ أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه" [٧] .

٥- **الفصل والوصل** : ومن المسائل التي تأثر بها أبو السعود بالزمخشري في قوله تعالى : ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [٨] . قال أبو السعود متحدثاً عن

---

(١) الكشاف ، ج٤ ، ص ٥٧٤ .

(٢) المؤمنون : آية ١١٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٣٥ .

(٤) الكشاف ، ج٣ ، ص ٢٠١ .

(٥) المؤمنون : آية ١١٧ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٣٥ .

(٧) الكشاف ، ج٣ ، ص ٢٠١ .

(٨) البقرة : آية ٥ .

ضـــمير الفصـــل (هـــم) ودلالته : "وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكـــد النســـبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك" (١) .

وقـــد سار أبو السعود على هداية من قول الزمخشري في تفسيره للآية ، قال الزمخشري : و"هم" فصل وفائدته : الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكـــيد وإيجـــاب أنّ فـــائدة المسند ثابتـــة للمســـند إليه دون غيـــره أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك" (٢) .

وكذلـــك فـــي قولـــــه تعالى : ﴿ **مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً** ﴾ (٣) .

قال أبو السعود : "وسِّط العاطف بينهما لتنافيهما" (٤) .

وقال الزمخشري : "فإنْ قلتَ : لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار ؟ قلت : لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بُدّ من الواو" (٥) .

٦- **التوكيد** : ومن مجالات التأثر عند أبي السعود في هذه الآية التي نهى الله فيها سيدنا موسى عليه السلام عن الخوف وتأكيد الغلبة له باستعماله عناصر التأكيد في قوله تعالى : ﴿ **قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى** ﴾ (٦) .

فقـــد ذكـــر أبـــو السعود من مؤكدات الغلبة : "تعليل ما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على أبلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق ، وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبـــة الظاهرة وصيغة التفضيل" (٧) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٤٩ .

(٢) الكشاف ، ج١ ، ص ٥٤ .

(٣) التحريم : آية ٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٦٨ .

(٥) الكشاف ، ج٤ ، ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

(٦) طه : آية ٦٨ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٩٣ .

وقال الزمخشري : "فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيده بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل" (١) .

٧- التشبيه : وقد تأثر أبو السعود بالزمخشري في ذكر نوع من أنواع التشبيه وهو التشبيه المركّب وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ (٢) ، فقد قال أبو السعود : "ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى : ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسُه هلاكاً شبيهاً بهلاك أحد الهالكين هنا" (٣) .

وهذا متأثر به بقول الزمخشري : "يجوز أن يكون من المركّب والمفرّق فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال : من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير" (٤) .

وكذلك في حديثه عن التشبيه في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ** ﴾ (٥) قال أبو السعود "والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع ما بحرث قوم كفار ضربته صرّ فاستأصلته ولم يبق لهم منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مرّ تفصيله في تفسير قوله تعالى : ﴿ **كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً** ﴾ (البقرة : آية ١٧) ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث" (٦) .

---

(١) الكشاف ، ج٣ ، ص ٧٢ .

(٢) الحج : آية ٣١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٨٠ .

(٤) الكشاف ، ج٣ ، ص ١٥٢ .

(٥) آل عمران : آية ١١٧ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٢ .

وهـو متأثر بقول الزمخشري في تفسيره للآية بقوله : "الغرض تشبيه ما أنفقـوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الطير قلت : هو من التشبيه المركـب الـذي مرّ في تفسـير قوله : ﴿ **كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً** ﴾ ويجوز أن يـراد : مثل إهلاك ما ينفقون مثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقـون كمثـل مهلك ريـح وهـو الحرث" [1] وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَـا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْـنَاهُ مِـنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَـذَتِ الْأَرْضُ زُخْـرُفَهَـا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُـمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَـيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَـا حَصِيـداً كَأَنْ لَـمْ تَغْـنَ بِالأَمْسِ كَذَلِـكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [2] .

فقـد أوضح أبو السعود ذلك بقوله : "وقد شبه حالها العجيبة الشأن البديعة المـثال المنـتظمة لغرابتها في سلك الأمثال بسرعة تقضيها وانعدام نعيمها غبّ إقـبالها واغترار الناس بحال ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقها ونضـارتها فجـأة وذهابها حطاماً لم يبق لها أثر أصلاً بعدما كانت غضة وظنوا أنها سلمت من الجوائح ، بل ما يفهم من الكلام فإنه من التشبيه المركب ، وجعلت الأرض فـي تزيـنها بمـا عليها من أصناف النباتات وأشكالها وألوانها المختلفة المونقـة آخـذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس قد أخذت من ألوان الثياب والزّين فتزينت بها" [3] .

وهذا من نتاج تأثره بالزمخشري حيث يقول في تفسيره : "هذا من التشبيه المركـب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نـبات الأرض فـي جفافـه وذهابـه حطاماً بعد ما التفّ وتكاثف وزين الأرض بخضـرته وجعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين" [4] .

---

(١) الكشاف ، ج١ ، ص ٣٩٧ .

(٢) يونس : آية ٢٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٣٠ .

(٤) الكشاف ، ج٢ ، ص ٣٣٩ .

٨- **المجـــاز** : ومـــن المسائل البلاغيـــة التـــي تأثـــر بهـــا أبو الســـعود هـــو حديـــثـــه عن المجاز والكنايـــة فيمـــا يتصل بقوله تعالى : ﴿ **وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِم يَوْمَ القِيَامَةِ** ﴾ (١) .

قال أبو السعود : "فإنه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكـــناية فـــي حق من يجوز عليه النظر لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره بصـــره ثم كَثُر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثمة نظر ثم جـــاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى من الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر" (٢) .

وقـــد عـــبّر الزمخشري عن هذه المسألة بنفس القول السابق لنرى مجال الـــتأثر بقـــول الزمخشري : "ولا ينظر إليهـــم" مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم : فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه فإن قلت : أي فـــرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه ؟ قلت : أصله فيمـــن يجـــوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينـــيه ثـــم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإنْ لم يكن ثمّ نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر" (٣) .

وكـــان مـــن نـــتائج تأثر أبي السعود بما قاله الزمخشري في شرحه لقوله تعالى : ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ** ﴾ (٤) . قال أبو السعود : "فإنّ كُلاً من "غلّ اليد وبسطها" مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك إلى إثبات يد وغَلٍّ أو بسط ألا يُرى أنهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله :

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعُه ووهادُه

وأصـــله كناية فيمن يجوز عليه إرادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ .

---

(١) آل عمران : آية ٧٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٨٤ .

(٣) الكشاف ، ج١ ، ص ٣٦٩ .

(٤) المائدة : آية ٦٤ .

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ : دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة أو بالفقر أو النكد أو بغلِّ الأيدي حقيقة بأن يكونوا أُسارى مغلولين في الدنيا ويُسحبوا إلى النار بأغلالها في الآخرة فتكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلي كما في سبّني سب الله دابره" (١) .

وقال الزمخشري في تفسيره : "غلّ اليد وبسطها" مجاز عن البخل والجود ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله :

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شُكرتْ نداهُ تلاعُه ووهادُه

﴿ وغُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ : يجوز أن تكون دعاء عليهم بغلِّ الأيدي حقيقة يغللون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم ، والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول : سبني سب الله دابره" (٢) .

٩- **المجاز الحُكْمي** : وفي موضوع المجاز الحكمي فقد تأثر فيه أبو السعود بالزمخشري وذكر أبو السعود هذه المسألة البلاغية في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) ، قال أبو السعود : "وإضافتها إلى الساعة إما إضافة المصدر إلى فاعله على المجاز الحكمي كأنها تزلزل الأشياء أو إضافته إلى الظرف" (٤) .

وهذا متأثر به بقول الزمخشري الذي أثار هذه المسألة "كأنها هي التي تزلزل الأشياء في المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدراً مضافاً إلى فاعله" (٥) .

١٠- **الاستعارة والتمثيل** : ومن القضايا البلاغية التي تابع فيها أبو السعود الزمخشري تفريقه بين الاستعارة والتمثيل في قوله تعالى : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ (٦) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢) الكشاف ، ج١ ، ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

(٣) الحج : آية ١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٦٤ .

(٥) الكشاف ، ج٣ ، ص ١٣٨ .

(٦) البقرة : آية ١٨٧ .

قـــال أبو السعود : "شـــبه أول ما يبـــدو من الفجـــر المعترض في الأفق ومـــا يمتدّ معه من غلس الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقولـــه تعالى : (من الفجر) عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل" (١) .

وهـــذا القول تأثر به بقول الزمخشري في تفسيره للآية : "هو أول ما يبدو مـــن الفجـــر المعترض في الأفق كالخيط الممدود و (الخيط الأسود) ما يمتد معه غبش الليل شبهاً بخيطين أبيض وأسود ، وقولـــه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض واكـــتفى بـــه عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني فإنْ قلتَ : أهذا مـــن باب الاستعارة أم باب التشبيه ؟ قلت : قوله (من الفجر) أخرجـــه من باب الاستعارة فزيد من الفجر فكان تشبيهاً بليغاً وخرج من أن يكون استعارة" (٢) .

١١- **الكناية والتعريض** : ونجد تأثر أبي السعود بالزمخشري في تعريفه للكناية والـــتعريض وفـــي تطبـــيقه لهذين الأسلوبين على قوله تعالى : ﴿ **وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ** ﴾ (٣) .

قال أبو الســـعود : "التعريض والتلويح إبهـــام المقصـــود بما لـــم يوضع لـــه حقيقة ولا مجازاً كقـــول السائل جئتك لأســـلم عليك وأصله إمالة الكلام عن نهجه إلى عُرُضٍ منه أي جانب .

والكـــناية هـــي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك : طويل الـــنجاد للطويـــل وكثير الرماد للمضياف والتعريض لخطبتهن أنْ يقول لها : إنك لجمـــيلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك مما يوهم أنه يريد نكاحها ، حتى تحبس نفسها عليه إنْ رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح .

﴿ **أَوْ أَكْنَنْـــتُمْ فِـــي أَنْفُسِكُمْ** ﴾ : أي أضمرتم في قلوبكـــم فلـــم تذكـــروه تصريحاً ولا تعريضاً .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٤٤ .

(٢) الكشاف ، ج١ ، ص ٢٢٩ .

(٣) البقرة : آية ٢٣٥ .

﴿ **وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴾ : ولكن لا تواعدوهن نكاحاً بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مُسَبَّبَه الذي هو الوطء مما يُسَرُّ به"[1].

وقال صاحب الكشاف : (فيما عرضتم) هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح ، فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك فإنْ قلت : أي فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك : طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف .

والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك لأنظر إلى وجهك الكريم . وكأنه إمالة الكلام إلى عُرُض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده .

﴿ **أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ** ﴾ : أي أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرّضين ولا مصرحين .

﴿ **وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ** ﴾ : ولكن لا تواعدوهن سراً والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يُسَر" [2] .

ومن الأغراض البلاغية للتعريض التي تحدث عنها أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ [3] .

قال أبو السعود : "قريء أألحق هو : تعريضاً بأنه باطل كأنه قيل : أهو الحق لا الباطل ؟ أو أهو الذي سميتموه الحق ؟" [4] في معرض استهزائهم به أو إنكارهم له .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٧٨ .

(٢) الكشاف ، ج١ ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٣) يونس : آية ٥٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٥٠ .

وقـــال الزمخشري : "وقرأ الأعمش آلحق هو ، وهو أذهل في الاستهزاء لتضمنه معنـــى التعريض بأنـــه باطـــل فكأنـــه قيـــل : أهـــو الحق لا الباطل ؟ أو أهو الذي سميتموه الحق ؟" (١) .

ومن المسائل التي تعرض لها أبو السعود وتأثر بها بالزمخشري في مجال الكـــناية فـــي قولـــه تعالـــى : ﴿ **وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ** ﴾ (٢) ، قال أبو السعود : "أي ندمـــوا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسر يعض يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها" (٣) .

وقـــد ذكـــر الزمخشري في تفسيره لها : "ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عـــبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها وهو من باب الكناية" (٤) .

١٢- **الـــتجانس** : ومن الموضوعات التي كان لها أثر في تفسير أبي السعود هو حديـــثه في تفسير قولـــه تعالى : ﴿ **وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ** ﴾ (٥) ، قال أبـــو الســـعود : "والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله تعالى : ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** ﴾ (الأنعام: ٢٦) وقولـــــه : ﴿ **اثَّاقَلْـــتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ** ﴾ (التوبة: ٣٨) ، وقوله : ﴿ **ثُمَّ كُلِـــي مِنْ كُلِّ الثَّمـــرَاتِ** ﴾ (النحـــل: ٦٩) ، و ﴿ **جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾ (النمل: ٢٢) ونظائرها" (٦) .

فهـــو هنا متأثر بقول الزمخشري : "والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه ﴿ **اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ** ﴾ (الـــتـــوبـــة : ٣٨) ، ﴿ **وَهُـــمْ يَنْهَـــوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** ﴾ (الأنعـــام : ٢٦) ،

---

(١) الكشاف ، ج٢ ، ص ٣٣٩ .

(٢) الأعراف : آية ١٤٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ن ج٣ ، ص ٣٢ .

(٤) الكشاف ، ج٢ ، ص ١٥٤ .

(٥) يوسف : آية ٨٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٢٣ .

﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ ﴾ (الكهف: ١٠٤) ، ﴿ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل: ٢٢) .

وهو في تفسيره يقول : (من سبأ بنبأ) من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده" [١] .

١٣- **اللف** : وهناك موضوع تأثر به أبو السعود بما جاء في الكشاف وهو موضوع اللف دون أنْ يذكر اسمه وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٢] ، قال أبو السعود : "ولهذه الأمور شُرع ما مرّ من أمر الشاهد بصوم الشهر وأُمر المرخّص لهم بمراعاة عدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في إباحة الفطر لقوله تعالى : (لتكملوا) علة الأمر بمراعاة العدة ، (ولتكبروا) علة ما عَلِمه من كيفية القضاء ، (لعلكم تشكرون) علة الترخيص والتيسير" [٣] .

ولكنّ الزمخشري في كشافه يذكر هذا النوع من أنواع البديع عند شرحه للآية ، قال : "شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم رمضان وأمر المرخص له بمراعاة العدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في إباحة الفطر مقولة (لتكملوا) علة الأمر بمراعاة العدة ، (لتكبروا) علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر (ولعلكم تشكرون) علة الترخيص والتيسير ، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان" [٤] .

---

(١) الكشاف ، ج٣ ، ص ٣٤٨ .

(٢) البقرة : آية ١٨٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٤٣ .

(٤) الكشاف ، ج١ ، ص ٢٢٦ .

تأثر أبي السعود بالقرطبي [1]

وكـــان القرطبـــي من العلماء الذين تأثر بهم أبو السعود وخاصة في هذه المسألة التي يتحدث فيها عن الاستفهام بكيف في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى** ﴾ [2] .

قال أبو السعود : "قال القرطبي : الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شـــيء مـــتقرر الوجود عند السائل والمسؤول ، فالاستفهام ههنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي بصِّرني كيفية إحيائك للموتى وإنما سأله عليه السلام ليتأيّد إيقانُه بالعيان ويزداد قلبه اطمئناناً على اطمئنان" [3] .

وقـــد تأثر أبو السعود في حديثه هذا بالقرطبي عندما تحدث عن الاستفهام بكـــيف أثناء تفسيره لهذه الآية ، يقول القرطبي : "وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هـــو ســـؤال عن حالة شيء موجود ومتقرر الوجود عند السائل والمسؤول نحو قولك : كيف عِلمُ زيد ؟ وكيف نَسْج الثوب ؟ ونحو هذا ، ومتى قلت كيف ثوبك ؟ وكـــيف زيد ؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله وقد تكون كيف خبراً عن شيء شأنه أن يُستفهم عنه بكيف" [4] .

تأثُّر أبي السعود بالبيضاوي

إذا كـــان أبـــو الســـعود قـــد تأثر بالزمخشري في تفسيره فقد تأثر أيضاً بالبيضـــاوي في تفسيره فقد كان لتفسير البيضاوي أثر على أبي السعود في كثير من المسائل البلاغية ، والتي لم تُذكر عند الزمخشري .

ومن هذه المسائل البلاغية التي تأثر فيها أبو السعود بالبيضاوي :

١- **الاســـتفهام** : مثل قوله تعالى : ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ** ﴾ [5] ، قال أبو السعود "استفهام إنكاري في معنى النفي ، أي يأتيهم الله بأمره وبأسه" [6] .

---

(١) محمـد بـن أحمـــد بن أبي بكـر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، من كبار المفسرين ، توفي سنة ٦٧١هـ ، الأعلام ٣٢٢/٥ .

(٢) البقرة : آية ٢٦٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

(٤) تفسير القرطبي ، ج٣ ، ص ٢٢٩ ، ط دار الكاتب العربي عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٧م .

(٥) البقرة : آية ٢١٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٥٦ .

- قال البيضاوي : "هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده ، أي يأتيهم أمره أو بأسه" (١) .

- كما نجد تأثير البيضاوي في أبي السعود في قوله تعالى : ﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ** ﴾ (٢) .

ذكر أبو السعود : "أي كيف يكون أو من أين يكون على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل : على وجه الاستفهام والاستفسار بأنه بالتزوج أو بغيره يكون الولد" (٣) .

وقال البيضاوي : "تعجب أو استبعاد عادي أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره" (٤) .

- ومن مسائل الاستفهام التي تأثر بها أبو السعود بالبيضاوي قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (٥) . قال أبو السعود : "قل تقريعاً لهم وتهكماً بهم وتحسيراً على ما فاتهم وإضافة الجنة للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا" (٦) .

وقال البيضاوي : "الاستفهام للتقريع والتهكم بهم وإضافة جنة إلى الخلد للمدح أو للدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا" (٧) .

٢- **الكناية** : ومن المسائل التي تأثر بها أبو السعود بالبيضاوي حديثه عن الكناية في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ (٨) ، قال أبو السعود : "بياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه"(٩).

---

(١) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ١٢٠ ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .

(٢) آل عمران : آية ٤٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٦٩ .

(٤) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ١٦٤ .

(٥) الفرقان : آية ١٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٩٩ .

(٧) تفسير البيضاوي ، ج٢ ، ص ٧٣٢ .

(٨) آل عمران : آية ١٠٦ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٥ .

وذكـــر البيضاوي في تفسيره : "وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه" [١] .

وأيضـــاً فـــي قولـــه تعالى : ﴿ **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ** ﴾ [٢] ، قال أبو السعود : "والظاهـــر أنـــه كناية عن غضبه وسخطه" [٣] ، وقال البيضاوي : "والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم" [٤] .

وكذلـــك فـــي قولـــه تعالى : ﴿ **فَمَنْ يُـــرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَـــهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ** ﴾ [٥] .

ذكر أبو السعود : "وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفّاةً عما يمنعه وينافيه" [٦] .

وقال البيضاوي : "هو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفّاة عما يمنعه وينافيه" [٧] .

٣- **الإظهـــار فـــي موضـــع الإضـــمار** : وهـــذه من المسائل البلاغية التي كان للبيضـــــاوي أثـــر فيهـــا على أبي السعود في تفســـيره كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [٨] ، قال أبو السعود : "أي مثواهم وإنمـــا وضـــع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والإشعار بأنهـــم في إشـــراكهم ظالمون واصفون للشيء في غير موضعه" [٩] .

وقـــال البيضـــاوي : "أي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل" [١٠] .

---

(١) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ١٧٩ .
(٢) آل عمران : آية ٧٧ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٨٤ .
(٤) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ١٧١ .
(٥) الأنعام : آية ١٢٥ .
(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٤١ .
(٧) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ٣٢١ .
(٨) آل عمران : آية ١٥١ .
(٩) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٨ .
(١٠) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ١٨٩ .

وقد تأثر أبو السعود بالبيضاوي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً** ﴾ (١) ، قال أبو السعود : وُضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بأن مَنْ هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافراً بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء" (٢) .

وقال البيضاوي : "وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعاراً بأنّ مَنْ هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافراً لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء" (٣) .

٤- **الاعتراض** : ومن المسائل التي تأثر بها أبو السعود بالبيضاوي في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ (٤) ، قال أبو السعود : "أي عذاب يوم القيامة مفعول أخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه" (٥) .

قال البيضاوي : "والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دلت عليه الجملة" (٦) .

٥- **حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه** : ومن المسائل التي تأثر بها أبو السعود بالبيضاوي مسألة حذف المضاف كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ** ﴾ (٧) ، قال أبو السعود : "وأولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تشريفاً لهم" (٨) .

وقال البيضاوي : "أي وأولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنه" (٩) .

---

(١) النساء : آية ٣٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ٢١٨ .

(٤) الأنعام : آية ١٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٦٢ .

(٦) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ٢٩٦ .

(٧) البقرة : آية ٢٢١ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٦٨ .

(٩) تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ١٢٥ .

تأثر أبي السعود بابن حيان [1]

وقد تأثر أبو السعود بابن حيان في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ** ﴾ [2] ، وخاصة في تقدم معمول خبر ليس عليها وهو الظرف ، قال أبو السعود : "ويوم منصوب بخبر ليس مقدماً عليه واستدل البصريون على جواز تقديمه على ليس إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه وردّ بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعاً وبأن تقديم المعمول حيث لا مجال لتقدم العامل كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ** ﴾ [3] فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليهما .

قال أبو حيان [4] : وقد تتبعتُ جملة دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دلّ عليه ظاهر هذه الآية ، وقول الشاعر :

فيأبَى فما يزدادُ إلا لجاجةً وكنتُ أبياً في الخفا لستُ أَقْدُمُ [5]

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير ، توفي سنة ٧٤٥هـ ، ومن كتبه "البحر المحيط" في تفسير القرآن ، الأعلام ١٥٢/٧ .

(٢) هود : آية ٨ .

(٣) الضحى : آية ٩ ، ١٠ .

(٤) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : م/٥ ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

الفصل الثاني
مسائل علم المعاني في تفسير أبي السعود

الفصل الثاني

مسائل علم المعاني في تفسير أبي السعود

علم المعاني : "هو علم يُعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال"[1] .

ونجـد أن جهود أبي السعود في هذا المجال قد ظهرت في تفسيره وأثناء حديـثه عن تلك الموضوعات المختلفة ، وكانت له مواقف متميزة وجهود ظاهرة في مناقشته وعرضه لقضايا هذا العلم .

ومـن القضـايا التـي تحدث عنها أبو السعود وظهرت جهوده جلية في إبرازها :

أولاً : الحذف	**السادس عشر :** خروج الكلام عن مقتضى الظاهر
ثانياً : التعريف والتنكير	١- الالتفات
ثالثاً : التكرار	٢- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي
رابعاً : الاعتراض	٣- التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل
خامساً : التقديم والتأخير	٤- وضع المفرد موضع المثنى
سادساً : الأمر	٥- وضع المثنى موضع المفرد
سابعاً : النهي	٦- وضع المفرد موضع الجمع
ثامناً : الاستفهام	٧- وضع الجمع موضع المفرد
تاسعاً : النداء	٨- وضع المثنى موضع الجمع
عاشراً : القصر	٩- وضع الجمع موضع المثنى
الحادي عشر : الإيجاز والإطناب	١٠- التغليب
الثاني عشر : النعت	١١- وضع الظاهر موضع الضمير
الثالث عشر : التوكيد	١٢- وضع الضمير موضع الظاهر
الرابع عشر : البدل	**السـابع عشـر :** المعانـي البلاغية لصيغ الجمع والإفراد
الخامس عشر : العطف (الوصل والفصل)	**الثامن عشر :** المعاني البلاغية لصيغ الأفعال
	التاسع عشر : المعاني البلاغية في أبنية المشتقات

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ، تحقيق وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٣م .

أولاً : الحذف وأغراضه البلاغية

الحذف : "حَذَف الشيء يحذفه حذْفاً قطعه من طرفه وحذْف الشيء إسقاطه" (١) .

قال الزركشي : "وهو لغةً : الإسقاط ومنه حذفْتُ الشعر إذا أخذت منه .

واصطلاحاً : إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل وأما قول النحويين لغير دليل ويسمى اقتصاراً فلا تحرير فيه لأنه لا حذف فيه بالكلية ، والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثمّ مقدر بخلاف الإيجاز : فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه" (٢) .

يتحدث أبو السعود عن موضوع الحذف كثيراً ويذكر مواطن الحذف والأسرار البلاغية له ، وأسبابه .

حذف المبتدأ :

فعندما يتحدث عن حذف المبتدأ في قوله تعالى : ﴿ **خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ** ﴾ (٣) ، يبين سر الحذف فيقول : "خبر مبتدأ محذوف ، أي هي خافضة لأقوام رافعة لآخرين ، وهو تقريرٌ لعظمتها وتهويلٌ لأمرها ، فإن الوقائع العظام شأنها كذلك ، أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات" (٤) .

---

(١) لسان : (حذف) .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص ١٠٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث .

(٣) الواقعة : آية ٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٨٥ .

حذف المفعول :

ويبين أبو السعود الأغراض البلاغية لحذف المفعول منها :

١- **الاقتصار والاختصار :** كما في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ** ﴾ (١) ، قال : "وحَذْفُ المفعول الثاني إمّا للاقتصار على الأول ، أي كلَّ شيء خلقه الله تعالى لم يحرمْه من عطائه وإنعامه ، أو للاختصار من كونه منوياً مدلولاً عليه بقرينة الحال ، أي أعطى كل شيء خلقه الله تعالى ما يحتاج إليه" (٢) .

٢- **التعميم :** وقد يفيد التعميم حذف المفعول كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ (٣) "وحُذِف المفعول الثاني للتعميم ، أي واسألوه ما تريدون فإنه تعالى يعطيكموه أو لكونه معلوماً من السياق ، أي واسألوه مثله" (٤) .

٣- **التعيين أو القصد :** كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ** ﴾ (٥) قال أبو السعود : "وحذف المفعول إما لتعيُّنه أو للقصد إلى إيقاع نفس الفعل ، أي ليفعل الكتابة" (٦) .

٤- **التهويل وإيهام التعميم :** كما في قوله تعالى : ﴿ **لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ** ﴾ (٧) ، قال أبو السعود : "والإنذار يتعدى إلى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولَيْ الأول وأول مفعولَيْ الثاني للتهويل وإيهام التعميم"(٨).

٥- **عدم القصد إلى خصوصه :** كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ** ﴾ (٩) ، "وحُذف المفعول لعدم القصد إلى خصوصه

---

(١) طه : آية ٥٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٨٥ .

(٣) النساء : آية ٣٢ .

(٤) تفسير أبي السعود ١٣١/٢ .

(٥) البقرة : آية ٢٨٢ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١٩ .

(٧) الشورى : آية ٧ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٩ .

(٩) الأنبياء : آية ٧ .

والمعنى : وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والإرسال نوحي إليهم بواسطة الملك ما نوحـــي من الشرائع والأحكام وغيرها من القصص والأخبار كما نوحي إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله كما لا فرق بينك وبينهم في البشـــرية فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعاً من الرسل وأن ما أوحي إليك ليس مخالفاً لما أوحي إليهم فيقولون ما يقولون" [١] .

٦- **حذف المفعول لظهوره** : كما في قوله تعالى :﴿ **وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُم** ﴾ [٢] ، "أي يجاوزهم نظرك إلى غيرهم من عَدَاه أي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبوِّ أو لا تصرف عيناك النظر عنهم إلى غيرهم من عَدوتُه عن الأمر أي صرفته عنه على أن المفعول محذوف لظهوره" [٣] .

٧- **دلالـــة الظـــرف علـــيه** : كمـــا هو الحال في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّـــالِمُون** ﴾ [٤] . يذكـــــر أبو السعود سبب الحذف فيقول : "حُذِف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه ، أي ولو ترى الظالمين إذ هم" [٥] .

٨- **رعايـــــة الفواصـــل** : كمـــا ذُكـــر في قوله تعالى : ﴿ **حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ** ﴾ [٦] ، "فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل" [٧] .

٩- **أو دلالـــة الجـــار والمجـــرور عليه** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَـــارِهِمْ** ﴾ [٨] ، قـــال أبـــو السعود : "يقال قفّيتُه بفلان إذا أتبعتُه إياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه أي قفّيناهم" [٩] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٢٥ .

(٢) الكهف : آية ٢٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٨٦ .

(٤) الأنعام : آية ٩٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ٤١٦/٢ .

(٦) النحل : آية ٦ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٢ .

(٨) المائدة : ٤٦ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٧٨ .

١٠- **أو دلالة الأمر عليه** : كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ [١] ذكر أبو السعود : "ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلاً على دلالة جوابه عليه ، أي قل لهم غضُّوا" [٢] .

١١- **أو لأنه في الأصل مبتدأ** : كما يظهر في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً** ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "والمفعول الأول في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنّهم الذين قُتلوا أمواتاً ، أي لا يحسبن الذين قُتلوا أنفسهم أمواتاً" [٤] .

١٢- **أو دلالة الصلة عليه** : كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ** ﴾ [٥] ، قال أبو السعود : "والمفعول الأول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع إليه ، أي لا يحسبنّ الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير أن يكون لهم مدخلٌ منه أو استحقاق له هو خيراً لهم من إنفاقه" [٦] .

١٣- **ولحذف مفعول المشيئة** : كما في قوله تعالى : ﴿ **مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ** ﴾ [٧] ، "ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به ، أي من يشأ الله إضلاله ، أي أن يخلق فيه الضلال يضلله ، أي يخلقه فيه" [٨] .

فإذن مفعول المشيئة يحذف إذا وقعت شرطاً وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله :

---

(١) النور : آية ٣٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٥٣ .

(٣) آل عمران : آية ١٦٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٦٣ .

(٥) آل عمران : آية ١٨ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٧٢ .

(٧) الأنعام : آية ٣٩ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٨١ .

لو شِئْتُ أنْ أبكي دماً لبكيتُه

حيث لم يحذف لفقدان الشرط الأخير [1] .

حذف الفعل :

ويشير أبو السعود إلى حذف الفعل كما في قوله تعالى : ﴿ **فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ﴾ [2] ، "أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقُدِّم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل لأمره" [3] .

حذف الجملة :

كما يشير أبو السعود إلى الجمل المحذوفة ويبين أسرار الحذف كما هو في الجمل المحذوفة في العطف أثناء دخول الفاء الفصيحة كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً** ﴾ [4] ، فهذه الفاء "فصيحة معربة عن محذوفين ينساق إليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالأمر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود ، أي فألقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فألقي السحرة سجداً لما تيقَّنُوا أن ذلك ليس من باب السحر وإنما هو آية من آيات الله عز وجل" [5] .

– وكذلك الجملة المصدرة بـ (إن) الوصلية كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ** ﴾ [6] معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاءُ مكرهم أو المكر الذي يحيق بهم إنْ لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وإن كان الخ . وقد حذف ذلك حذفاً مطرداً لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع القوي فلأن

---

(١) تفسير أبي السعود ٢٢٢/٣ ، ج٣ ، ص ٢٢٢ .

(٢) محمد : آية ٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٨٤ .

(٤) طه : آية ٧٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٩٤ .

(٦) إبراهيم : ٤٦ .

يـــتحقق عـــند عدمـــه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في إن الوصلية من التأكيد المعنوي" [١] .

– وكذلـــك تحذف الجملة المعطوفة في جواب لو الوصلية وإن الوصلية ، وأيضاً تحذف الجمل كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [٢] ، أي لن ترضى عنك اليهود ولو خلّيتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصـــــارى ولـــو تركـــتهم ودينهم حتى تتبع ملّتهم فأُوجز النظم ثقة بظهور المراد" [٣] .

– وكذلـــك الحـــذف للإبهـــــام كمـــا في قوله تعالى : ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا** ﴾ [٤] ، فيقول أبو السعود : "وهو الشرابي وإنما لم يعيّنه ثقة بدلالة التعبير وتوســـلاً بذلك إلى إبهام أمر صاحبه حذار مشافهته بما يســـوءه" [٥] ، وكذلـــك الحـــذف للإيجـــاز كما في قولـــه تعالـــى : ﴿ **قَالَ فَمَـــنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى** ﴾ [٦] يذكر أبو السعود السر من هذا الحذف فيقول : "قال أي فرعون بعدما أتياه وبلّغاه مـــا أُمرا وإنما طوي ذكره للإيجاز والإشعار بأنهما كما أُمرا بذلك ســـارعا إلى الامتـــثـــال بـــه مـــن غـــيـــر تلعثم وبأن ذلك من الظهـــور بحيث لا حاجة إلى التصريح به" [٧] .

– وكذلك في قوله تعالـــى : ﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُـــونَ** ﴾ [٨] فقد ذكر أبو السعود سر الحذف في الآية فقال : "أي على مكانتي فحـــذف للاختصـــار والمـــبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ،ولذلك توعدهم بكونه منصوراً عليهم في الدارين" [٩].

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٥٠٠ ، ٥٠١ .

(٢) البقرة : ١٢٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٤) يوسف : آية ٤١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٩٦ .

(٦) طه : آية ٤٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٨٤ .

(٨) الزمر : آية ٣٩ .

(٩) تفسير أبو السعود ، ج٥ ، ص ٣٩٦ .

حذف الصفة والموصوف :

ولحذف الصفة أو الموصوف أسرار يذكرها أبو السعود فحذف الصفة في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ** ﴾ (١)

فـــي ظلمـــــات الأرض متعلق بمحذوف هو صفـــة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى ، أي ولا حبةٍ كائنةٍ في بطون الأرض إلا يعلمها" (٢) .

وكحذف الموصوف في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ** ﴾ (٣) .

قـــال أبو السعود : "والجملة الواقعة بعد إلا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالـــة الجار والمجرور عليه وأقيمت هي مقامه ، والمعنى ما أرسلنا أحداً قبلك من المرسلين إلا آكلين وماشين" (٤) .

حذف المضاف :

ومـــنه قولـــــه تعالى : ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ (٥) ، أي لأهل التقوى على حـــذف المضاف وإقامـــة المضـــاف إليـــه مُقامه تنبيهـــاً علـــى أنَّ ملاك الأمر هو التقوى" (٦) .

حذف الشرط وجوابه :

ولحذف الشرط مواطن ذكرها أبو السعود في تفسيره وبين أسرارها مثل :

– حـــذف جـــواب "لـــو" : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُـــونَ إِلَيـــكَ أَفَأَنْـــتَ تُسْـــمِعُ الصّـــــمَّ وَلَـــوْ كَانـــوا لا يَعْقِلـــونَ * وَمِنْهـــمْ مَنْ يَنْظُـــرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ** ﴾ (٧) .

---

(١) الأنعام : آية ٥٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٩٤ .

(٣) الفرقان : آية ٢٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٥٠١ .

(٥) طه : آية ١٣٢ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣١٨ .

(٧) يونس : آية ٤٢ ، ٤٣ .

"وجـــواب لو في الجملتيـــن محذوف لدلالة قوله تعالى : ﴿ **تُسْمِعُ الصُّمَّ** ﴾ و﴿ **تَهْـدِي الْعُمْـيَ** ﴾ علـــيه وكلٌّ منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في الفحـــوى كلـــتاهما فـــي موضع الحال من مفعول الفعل السابق ، أي أفأنت تسمع الصـــم لـــو كـــانوا يعقلـــون ولو كانوا لا يعقلون ، أفأنت تهدي العميَ لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون ، أي كل حال مفروض ، وقد حذفت الأولى في الـــباب حذفـــاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند المـــانع أو المـــانع القوي فلأن يتحقق عنـــد عدمه أو عند تحقق المانع الضعيف أولى به وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وإن الوصليتين من التأكيد" [١] .

– وقد يحذف جواب "لمّا" كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** ﴾ [٢] ، قـــال : "وجواب لمَّا محذوف إيذانـــاً بعـــدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل : كان ما كان مما لا يحيط به نطـــاق البيـــان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفّق أحدٌ لمثله" [٣] .

– وقـــد يحذف جواب "لولا" كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ** ﴾ [٤] فيكون جواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لـــولا كراهة أن تُهلكوا ناساً مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كفَّ أيديكم عنهم" [٥] .

– وقـــد يحـــذف جواب "إذا" في قوله تعالـــى : ﴿ **حَـــتَّـــى إِذَا جَاءُوهَـــا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَـــا** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "وجواب إذا محذوف للإيذان بأن لهم حينئذ من فـــنـــون الكرامات ما لا يحدق به نطـــاق العبـــارات كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها" [٧] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) الصافات : آية ١٠٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٣٥ .

(٤) الفتح : آية ٢٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٠٥ .

(٦) الزمر : آية ٧٣ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٠٤ .

- وقد يحذف الشرط ويبقى الجواب كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ** ﴾ [1] ، قال أبو السعود : جواب شرط محذوف ، أي إن كان لهم ما ذُكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يُتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبِّروا أمر العالم ويُنزلوا الوحي إلى مَنْ يختارون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه" [2] .

حذف القسم :

كما في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ [3] أي أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي وقوله : لأزينن : جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبُّبك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بتزيين المعاصي وتسْويل الأباطيل" [4] .

ثانياً : التعريف والتنكير

النكرة : إنكارك الشيء وهو نقيض المعرفة والنكرة خلاف المعرفة والتنكير خلاف التعريف [5] .

وقد أشار الجرجاني إلى فائدة تعريف المسند فقال : "فائدة تعريفه إجمالاً أنّ المعرفة أخص من النكرة وكلما كانت أخص كانت أتم دلالة على المراد لكونه أقل احتمالاً لغير المراد من النكرة" [6] .

"والمعرفة ما دل على شيء بعينه والنكرة ما دل على شيء لا بعينه" [7] .

---

(١) ص : آية ١٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٥١ .

(٣) الحجر : آية ٣٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢١ .

(٥) لسان : (نكر) .

(٦) الإشارات والتنبيهات ، ص ٣٦ ، محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر ، ١٩٨٢م .

(٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ط ٢٠٠٠م ، البلاغة العربية ، د. أحمد مطلوب ، ص ١٠٦ .

الأغراض البلاغية للتعريف

يـــتحدث أبو السعود في تفسيره عن التعريف وله جهد في هذا المجال فهو يحـــدد المعانـــي البلاغية منه ، فهو يتحدث عن التعريف **بأل** فيبين ذلك في قوله تعـــالى : ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (١) فهو يبين أن اللام في كلمـــة الناس إما للعهد أو للجنس فيقول : "وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون أي هـــذا إيضـــاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فإن الأمر بالسير والنظر وإن كان خاصاً بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبيـــن أيضاً على أن ينظروا في عواقب مَنْ قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا بمـــا يعـــانون من آثار دمارهم وإن لم يكن الكلام مسوقاً لهم ، ويجوز أن يكون تعـــريف الـــناس للجنس أي هـــذا بيـــان للنـــاس كافـــة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة"(٢).

ويبين سر التعريف في قوله تعالى : ﴿ **بِيَدِكَ الْخَيْرُ** ﴾ (٣) فيقول : "تعريف الخـــير للتعمـــيم أي بقدرتـــك الخير كله لا بقدرة أحد غيرك تتصرف فيه قبضاً وبسطاً حسبما تقتضيه مشيئتك" (٤) .

ويبيـــــن ســـــر التعريف **باسم الإشارة** وما فيه من التعظيم والتفخيم مثل قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِـــرَةُ** ﴾ (٥) "إشـــارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل : تلك التي سمعتَ خبرهـــا وبلغك وصفها" (٦) .

وكذلـــك في قولـــه تعالـــى : ﴿ **قَـــالَ أَنَا يُوسُـــفُ وَهَذَا أَخِي** ﴾ (٧) ، قال أبـــو السعود : "جواب عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله (وهذا أخي) أي من أبويّ مبالغة في تعريف نفسه وتفخيماً لشأن أخيه" (٨) .

---

(١) آل عمران : آية ١٣٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٧ .

(٣) آل عمران : آية ٢٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٥٤ .

(٥) القصص : آية ٨٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٣٨ .

(٧) يوسف : آية ٩٠ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٢٦ .

ويبين سر التعبير باسم الإشارة في قوله تعالى : ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [١] "إشارة على الأمة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بالصفات الكاملة وتعريف (المفلحون) إما للعهد أو للإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين" [٢] .

ويبين أبو السعود أسرار التعبير **باسم الموصول** فيقول أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا** ﴾ [٣] "أي اذكر خبر التي أحصنته على الإطلاق من الحلال والحرام ، والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عما زعموه في حقها" [٤] .

ويذكر أبو السعود ما يفيده اسم الموصول من التفخيم في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ** ﴾ [٥] "وإيقاع الموصول خبراً لتفخيم شأن المبتدأ أي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعاً وحده من غير أن يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه" [٦] .

وقد تحدث أبو السعود عن التعريف **بالإضافة** وبيَّن أسرارها وما يفيده المضاف من المضاف إليه ، فقد تفيد الإضافة التعظيم كما في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي** ﴾ [٧] "خصّ الأم بالإضافة استعظاماً لحقها وترقيقاً لقلبه لا لما قيل من أنه كان أخاه لأم فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين" [٨] .

---

(١) آل عمران : آية ١٠٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤ .

(٣) الأنبياء : آية ٩١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٥٥ .

(٥) الأعراف : آية ١٨٩ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٦٤ .

(٧) طه : آية ٩٤ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٠٤ .

وقــد تكــون الإضافة للتهكم مثل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾ [١] "فإضافة البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم برهاناً ضرب من التهكم بهم لإظهار عجزهم"[٢] .

التنكير

وقد بين أبو السعود في تفسيره كثيراً من الأسرار التي يفيدها التنكير .

– فقد يفيد "**التفخيم**" كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [٣] "وتنكير حرب للتفخيم أي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله ورسوله"[٤].

– وقد يُفيد "**التكثير**" كما في قوله تعالى : ﴿ **وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ [٥] "وإيثارهما على ذكوراً وإناثاً لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها" [٦] .

– ويأتــي "**للتعميم**" كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَــوْمٍ عَسَــى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ** ﴾ [٧] "والتنكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجري بين بعض وبعض" [٨] .

– و"**التــنويع**" كما في قوله تعالــى : ﴿ **وُجُــوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ** ﴾ [٩] "فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موقع التنويع" [١٠] .

– وقــد يفيــد "**التحقيــر**" كما فــي قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّــةٌ** ﴾ [١١] "والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك

---

(١) الأنبياء : آية ٢٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٣١ .

(٣) البقرة : آية ٢٧٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١٧ .

(٥) النساء : آية ١ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٩٣ .

(٧) الحجرات : آية ١١ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٩) الغاشية : آية ٨ .

(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤١٩ .

(١١) يونس : آية ٢٦ .

الحزن وسوء الحال والتنكير "**للتحقير**" أي شيء منهما" [١] .

- و"**التهويل أو التعظيم**" كما في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ** ﴾ [٢] ، "أي يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب ، أي يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً وتنكيره للتهويل أو التعظيم" [٣] .

- وقد يفيد "**التقليل**" كقوله تعالى :﴿ **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** ﴾ [٤] "والتنكير في سوء للتقليل كأنهم لم يبالغوا في السوء كما ينبيء عنه نسبةُ ذلك إلى بعض آلهتهم دون كلها" [٥] .

- وقد يفيد التنكير "**عدم الشمول**" كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود مبيناً ذلك : "وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى : ﴿ **إِذَا وَقَبَ** ﴾ أي دخل ظلامه في كل شيء لأن حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل" [٧] .

- ومن معانيه "**الإشاعة والإبهام**" كما في قوله تعالى : ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ** ﴾ [٨] ، فقد بيّن أبو السعود ذلك بقوله : "عبّر عن إرسالها بالفتح إيذاناً بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون وأعزُّها مثالاً وتنكيرها للإشاعة والإبهام أي : أيَّ شيء يفتح الله من خزائن رحمته أيَّة رحمة كانت من نعمة وصحّة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يُحاط به" [٩] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٣٢ .

(٢) القلم : آية ٤٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٨٩ .

(٤) هود : آية ٥٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٢٤ .

(٦) الفلق : آية ٣ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٩٠ .

(٨) فاطر : آية ٢ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧٠ .

ثالثاً : التكرار وأغراضه البلاغية

التكرار:كرر الشيء أعاده مرة بعد أخرى وكررت عليه الحديث إذا ردّدته عليه[١]

وفي اصطلاح البلاغيين : التكرار هو : "دلالة اللفظ على المعنى مردداً" [٢] .

وقد بيّن أبو السعود الأغراض البلاغية للتكرار ومن هذه الأغراض :

التعجب : كما في قوله تعالى : ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيات ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [٣] فقد أوضح أبو السعود فائدة التكرار بقوله : "وتكرير الأمر بالنظر للمبالغة في التعجب وثمّ لإظهار ما بين العجبين من التفاوت أي إن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بالغ لأقاصي الغايات القاصية من التحقيق والإيضاح وإعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها أعجب وأبدع" [٤] .

التقرير : كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً** ﴾ [٥] وقد بين أبو السعود فائدة التكرار هنا بقوله : "وتكرير الفعل لمزيد تقرير الإيحاء والتنبيه على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي" [٦] .

التأكيد : كما يظهر من قوله تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [٧] فقد ذكرت هذه الآية مكررة في سورة الشعراء ما يقرب من ثماني مرات وقد أوضح أبو السعود سر هذا التكرار بقوله : "والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلاً منهما مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا" [٨] .

---

(١) لسان : (كرر) ، وانظر أسرار التكرار في لغة القرآن ، د. محمود شيخون ، ص ٩ .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج٢ ، ص ١٤٦ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٠م .

(٣) المائدة : آية ٧٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٠٦ .

(٥) النساء : آية ١٦٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٢١ .

(٧) الشعراء : آية ١١٠ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٥٢ .

وقــد نبه أبو السعود على التكرار في تصدير القصص في سورة الشعراء وخاصة في قصة نوح وهود ولوط وصالح وشعيب مع أقوامهم عندما طلبوا منهم طاعــة الله وتقــواه عندما ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله : ﴿ **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِيــنَ** ﴾ (١) فقــد تكــررت هذه الآيات أكثر من مرة في سورة الشعراء وقد أوضــح أبو السعود ذلك بقوله : "وتصدير القصص به للتنبيه على أنّ مبنى البعثة الدعــاء إلــى معــرفة الحق والطاعة فيما يقرِّب المدعوَّ إلى الثواب ويُبعده عن العقــاب وأن الأنبــياء عليهم الصلاة والسلام مجمعون على ذلك وإن اختلفوا في بعــض فــروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار وأنهم منزهون عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية بالكلية" (٢) .

الــتحذير : وقد بين أبو السعود ذلك في سورة الشعراء وذلك في تفسيره لقولــه تعــالى : ﴿ **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى** ﴾ (٣) وذلك بقوله : "واذكر لأولئك المعرضين المكذبيــن وقت ندائه تعالى إياه عليه الصلاة والسلام وذكّرهم بما جرى على قوم فــرعون بسبب تكذيبهم إياه زجراً لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيراً من أنْ يحــيــق بهم مثل ما حــاق بأضرابهــم المكذبيــن الظالمين حتى يتضح لك أنهم لا يؤمــنون بما يأتيهم من الآيــات لكــنْ لا يقاس حــال هؤلاء بحال أولئك فقط بــل بمشــاهدة إصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحــي الناطــق بقصتهم وعــــدم إيقــاظهم بذلك كما يلوِّح به تكريــر قولــه تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَــا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (٤) عقيب كل قصة" (٥) ، فقد تكررت هذه الآية في سورة الشعراء ما يقرب من ثماني مرات .

---

(١) الشعراء : آية ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٥٣ .

(٣) الشعراء : آية ١٠ .

(٤) الشعراء : آية ٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٤ .

التشجيع : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ (٢) فقد بيّن أبو السعود فائدة تكرار النداء بقوله : "تكرير النداء مع وصفهم بالإيمان لتنشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يردُ بعده من الأوامر وتنبيههم على أن فيهم ما يوجب ذلك" (٣) .

التضرع : كما ينبئ عنه قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ** ﴾ (٤) ، فقد بيّن أبو السعود فائدة التكرير بقوله : "وتكرير النداء للتضرّع وإظهارٌ لكمال الخضوع وعرضٌ للاعتراف بربوبيته مع الإيمان به" (٥) .

الاعتبار : كما ذُكر في قوله تعالى :﴿ **أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعَادٍ** ﴾ (٦) فقد أوضح أبو السعود فائدة التكرار في هذه الآية بقوله : "دعاء عليهم بالهلاك وتكرير حرف التنبيه وإعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم" (٧) .

الإنكار : كقوله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ** ﴾ (٨) فقد بيّن أبو السعود ذلك بقوله : "فإنّ الاستهانة بمن لا يتعزز إلا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية

---

(١) الأنفال : آية ٢٠ .

(٢) الأنفال : آية ٢٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٩٠ .

(٤) آل عمران : آية ١٩٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٨٥ .

(٦) هود : آية ٦٠ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٢٧ .

(٨) هود : آية ٩٢ .

الـــتقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولاً ترجيح جنب الرهط على جنبة الله تعالى حظاً من العزة أصلاً" (١) .

التخصيص : كتكرير الضمير في قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ (٢) فقـــد بيّن أبو السعود فائدة التكرار بقوله : "وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص علـــى تخصيصـــه تعـــالى بكـــل واحدة من العبادة والاستعانة ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب" (٣) .

التفخـــيم : كقولـــه تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ** ﴾ (٤) فقـــد "كـــرر الموصول مع أنَّ المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء" (٥) .

العـــناية والاهـــتمام : كمـــا فـــي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّـــهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (٦) "وتكرير الفعل لمزيد العناية بأمر التطهر" (٧) .

تربيـــة المهابة : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُـــمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُـــلِّ شَـــيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (٨) ، "كُرِّر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لإدخال الروعة وتربية المهابـــة وللتنبـــيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فإنّ الأولى حثٌّ على التقوى والثانية وعدٌ بالإنعام والثالثة تعظيم لشأنه" (٩).

رابعاً : الاعتراض

الاعـــتراض : "يقال اعترض الشيء دون الشيء أي : حال دونه واعترض فلان الشيء تكلفـــه واعترض عرضـــه نحـــا نحـــوه واعتـــرض له بسهم : أقبل قبله

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٤٦ .

(٢) الفاتحة : آية ٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٥٦ .

(٤) البقرة : آية ٢١٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٦٢ .

(٦) البقرة : آية ٢٢٢ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٨) البقرة : آية ٢٨٢ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٢٢ .

فرماه فقتله" [١] .

وقد عرّفه البلاغيون فقال أحدهم : "كل كلام أُدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقي الأول على حاله" [٢] .

وقال آخر : "وهو وقوع الكلام الأجنبي بين جزأي الجملة المرتبط أحدهما بالآخر وهو افتعال من عرض له يعرض ، إذ وقف في طريقه فكأن اللفظ الأجنبي يقف في طريق الجزء الثاني من جزأي الجملة فيمنعه من الاتصال بالجزء الأول لفظاً" [٣] .

وقد تحدث أبو السعود في تفسيره عن الجملة المعترضة وأكثر القول فيها سواء كانت الجملة معترضة بين جزأي الكلام أو في نهاية الجملة .

ومن أمثلة الجمل المعترضة بين أجزاء الكلام التي ذكرها أبو السعود وبيّن قيمتها البلاغية :

١- **اعتراض بين الفعل ومفعوله :** مثل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [٤] ، "وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام عن المعاصي على الإطلاق وقوله تعالى : ﴿ **عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ أي عذاب يوم القيامة ، مفعول أخاف ، والشرطية معترضة بينهما ، وفيه قطع لأطماعهما وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم" [٥] .

٢- **اعتراض بين الحال وصاحبها :** كما في قوله تعالى : ﴿ **أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "أي أتقولون للحق إنه سحر والحال أنه لا يفلح فاعله وقوله تعالى : ﴿ **أَسِحْرٌ هَذَا** ﴾ جملة

---

(١) لسان : (عرض) .

(٢) المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٧٢ .

(٣) الإكسير في علم التفسير للطوفي البغدادي ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، ص ٢٠٢ ، دار الأوزاعي ، بيروت ، ١٩٨٩م .

(٤) الأنعام : آية ١٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٦٢ .

(٦) يونس : آية ٧٧ .

معترضـــة بيـــن الحال وصاحبها أكد بها الإنكار السابق ببيان استحالة كونه ســـحراً بالـــنظـــر إلى ذاتـــه قبـــل بيـــان استحالته بالنظر إلى صدوره عنه عليه السلام" (١) .

٣- **اعتراض بين الصفة والموصوف** : مثل قوله تعالى : ﴿ **جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَـــا تُكَذِّبَـــانِ * ذَوَاتَـــا أَفْنَانٍ** ﴾ (٢) ، قال أبو السعود : "صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسِّط بينهما تنبيهاً على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجـــب للإنكـــار والتوبيخ وتخصيص الأفنان بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظلّ" (٣) .

وبيّـــن أبو السعود في تفسيره لسورة الرحمن أكثر من اعتراض بين الصفة والموصـــوف وذلك بقوله تعالى : ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ وقد بيّن أن التكذيب حقيق بالإنكار والتوبيخ" (٤) .

٤- **اعـــتراض بيـــن المعطـــوف والمعطوف عليه** : كما في قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ فَذُوقُـــوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِيـــنَ عَـــذَابَ النَّارِ** ﴾ (٥) ، أوضح أبو السعود ذلك فقال : "فذوقوه اعتراض وسِّط بين المعطوفين للتهديد" (٦) .

وقد أوضح هذا النوع من الاعتراض في قوله تعالى : ﴿ **لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِيـــنَ كَفَـــرُوا أَوْ يَكْبِـــتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَـــيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُـــمْ فَـــإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ (٧) فقال : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ "اعـــتراض وسِّط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقـــيق أنـــه لا تأثـــير للمنصورين إثر بيان أن لا تأثير للناصرين وإنما خُصّ الاعتراض بموقعـــه لأن ما قبلـــه من القطع والكبْت من مظانّ أن يكـــون فيـــه

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٦٦ .

(٢) الرحمن : آية ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٨١ .

(٤) انظر تفسير أبي السعود لسورة الرحمن ، ج٦ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٥) الأنفال : آية ١٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٨٥ .

(٧) آل عمران : آية ١٢٧ ، ١٢٨ .

لرســـول الله ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة" [١] .

٥- **اعـــتراض بين النهي وجوابه** : مثل قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَـــابِكَ عَلَـــيْهِـــمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُـــمْ فَتَكـــُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [٢] فقد ذكر أبـــو السعود ذلك فقال : "وقوله تعالى : ﴿ **مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ اعـــتراض وسِّـــط بيـــن النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى يُتَوهم كونُه مسوِّغاً لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم" [٣] .

٦- **اعـــتراض بيـــن اســـم إنّ وخبرها** : كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ **لَئِنِ اتَّبَعْـــتُمْ شُـــعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِـــرُونَ** ﴾ [٤] ، قال أبو الســـعود : "أي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم أو في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وإذن حـــرف جواب وجزاء معترض بين اسم إنّ وخبرها والجملة سادة مسدّ جوابي الشرط والقسم الذي وطّأته اللام" [٥] .

٧-**اعتراض بين الأمر وتعليله** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾ [٦] فقـــد ذكر أبو السعود أن جملة ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾ اعتراض بين الأمر وتعليله لتسهيل ما كُلِّفَهُ عليه الصلاة والسلام من القيام" [٧] .

٨-**اعتراض بين المتعلّـــق والمتعلّـــق به** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِـــرَانٍ وَتَغْشَـــى وُجُوهَهُـــمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ**

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٠ .

(٢) الأنعام : آية ٥٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٨٩ .

(٤) الأعراف : آية ٩٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٧ .

(٦) المزمل : آية ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٢٢ .

سَـرِيعُ الْحِسَـابِ ﴾ [١] ، فقوله : "وترى المجرمين الخ اعتراض وسِّط بين المتعلِّـق والمتعلـَّق به ، أي بـرزوا للحسـاب ليجزي الله كل نفس مطيعة أو عاصـية مـا كسبت من خير أو شر وقد اكتُفي بذكر العصاة تعويلاً على شهادة الحـال لا سيما من ملاحظة سبق الرحمة الواسعة" [٢] .

٩-**اعتراض بين الدعاء** : كما في قوله تعالى : ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَـاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً** ﴾ [٣] فقد ذكر أبو السعود أن قوله تعـالى : (مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسِّط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للإيـذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجـل خطيئاتهم التي عددها نوح عليه السلام وأشار إلى استحقاقهم للإهلاك لأجلهـا لا أنهـا حكاية لنفس الإغراق والإحراق على طريقة حكاية ما جرى بيـنه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الأحوال والأقوال وإلا لأخر عن حكاية دعائـه هـذا" [٤] . فهذا الاعتراض جاء بين دعائه عندما قال الله سبحانه : ﴿ **قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي** ﴾ [٥] ، وبين قولـه تعالى : ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً** ﴾ [٦] .

١٠- **اعـتراض بين الموصولين** : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَـدَراً مَقْدُوراً * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ** ﴾ [٧] ، فقوله : ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَـدَراً مَقْـدُوراً** ﴾ : "اعتراض وسِّط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة إلى تقرير نفي الحرج وتحقيقه" [٨] .

---

(١) إبراهيم : آية ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٥٠٥ .

(٣) نوح : آية ٢٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣١١ .

(٥) نوح : آية ٢١ .

(٦) نوح : آية ٢٦ .

(٧) الأحزاب : آية ٣٨ ، ٣٩ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٢٨ .

١١- **اعتراض بين الشرط وجوابه** : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ** ﴾ [١] ، ذكر أبو السعود هذا الاعتراض في قوله تعالى : ﴿ **وَلَنْ تَفْعَلُوا** ﴾ فقال : "والجملة اعتراض بين جزأي الشرط مقرر لمضمون مقدّمها ومؤكد لإيجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث أُخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل" [٢] .

١٢- **اعتراض بين الحمل وغايته** : كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [٣] ، فقد أوضح أبو السعود نوع الاعتراض في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ وأبان غرضه فقال : "اعتراض وسِّط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمّله إنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل ، أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعترافهم السابق دون مَنْ عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلاً ، وإلى الفريق الأول أُشير بقوله عز وجل : ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ** ﴾ أي حملها الإنسان ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يُراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فإن التعذيب وإنْ لم يكن غرضاً له من الحمل لكن لما ترتّب عليه بالنسبة إلى بعض أفراده ترتّب الأغراض على الأفعال المُعَلّلة بها أبرز في معرض الغرض ، أي كان عاقبة حمل الإنسان لها أنْ يعذب الله تعالى هؤلاء من أفراده لخيانتهم الأمانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية ، وإلى الفريق الثاني أشير بقوله تعالى : ﴿ **وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ أي كان عاقبة حمله لها أن يتوب الله تعالى على هؤلاء من أفراده ، أي يقبل

---

(١) البقرة : آية ٢٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٣) الأحزاب : آية ٧٢ ، ٧٣ .

توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فَرَط منهم من فَرَطات قلّما يخلو عنها الإنسان بحكم جبلّته وتداركهم لها بالتوبة والإنابة"[1] .

١٣- **اعتراض بين القسم وجوابه** : كقوله تعالى : ﴿ **لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ** ﴾ [2] ، ذكر أبو السعود فائدة الاعتراض بقوله : "واعتـرض بين القسم وجوابه بقوله تعالـى : ﴿ **وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ** ﴾ إمـا لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حلوله به مناطاً لإعظامه بالإقسام به أو التنبيه مـن أول الأمـر علـى تحقق مضمون الجواب بذكر بعض موادّ المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قـدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا" [3] .

وكذلـك في قوله تعالى : ﴿ **فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً** ﴾ [4] فالجملـة الشـرطية (إن ارتبتم) : "شرطية محذوفة الجواب معترضة بين القسم وجوابـه علـى اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب ، أي إن ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلّفوهما بالله" [5] .

١٤- **اعتراض بين المبيّن وبيانه** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ** ﴾ [6] ، فقوله : ﴿ **فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً** ﴾ كلام معترض بين المبيّن وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجب من كمال غباوتهم" [7] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٤٢ .

(٢) البلد : آية ١ ، ٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٣٠ .

(٤) المائدة : آية ١٠٦ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٣١ .

(٦) النساء : آية ٧٨ ، ٧٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٦٧ .

١٥- **اعتراض بين المبتدأ وخبره :** وذلك في قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [١] ، فقد ذكر أبو السعود أن قوله تعالى : ﴿ **لا إِلَهَ إِلا هُوَ** ﴾ اعتراض بين المبتدأ وخبره مقرر لما يفيده الاسم الجليل فهو دليل على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه وتعالى" [٢] .

١٦- **اعتراض بين الإجمال والتفصيل :** كما في قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ** ﴾ [٣] ، فقوله تعالى : ﴿ **إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾ اعتراض وسّط بين إجمالي اختصامهم وتفصيله تقريراً لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعيينا لسببه ،وقوله تعالى :﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ**﴾ شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام[٤].

وقد بين أبو السعود في تفسيره كثيراً من الجمل المعترضة وبيّن غرضها البلاغي مثل جملة الشرط المعترضة في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ** ﴾ [٥] .

فقال : " والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن اللائق إشهاد الأقارب أو أهل الإسلام وأما إشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة إليه " [٦] .

وقد أوضح أبو السعود القيمة البلاغية من الاعتراض في قوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ**

---

(١) آل عمران : آية ٣ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٣١ .

(٣) ص : آية ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٧١ .

(٥) المائدة : آية ١٠٦ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

وَاللَّـــهُ يَشْـــهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِيـــنَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [1] فقال : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ اعـــتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسّط بينه وبين قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِيـــنَ لَكَاذِبُونَ ﴾ تحقيقاً وتعييناً لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كمـــا أشير إليه وإماطة من أول الأمر لما عسى أن يتوهم من توجيه التكذيب إلى منطوق كلامهم ، أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمّنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب " [2] .

ومـــن هـــذا القبيل قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْـــرَافِهَا وَاللَّـــهُ يَحْكُـــمُ لا مُعَقِّـــبَ لِحُكْمِـــهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [3] ، فقال : "والله يحكـــم وهي جملة اعتراضيـــة جـــيء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها ، وقوله تعـــالـــى : ﴿ لا مُعَقِّـــبَ لِحُكْمِهِ ﴾ اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله" [4] .

ومـــثله قولـــه تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِـــيلاً * وَبِكُفْـــرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ﴾ [5] فقال : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَـــيْهَا بِكُفْـــرِهِمْ ﴾ كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة على رد زعمهم الفاسد ، أي ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونهـــا غلفـــاً بحسب الجبلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم أو ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم" [6] .

الاعتراض التذييلي :

وقـــد بيّن أبو السعود أن هناك نوعاً من الاعتراض يأتي في نهاية الجملة وقـــد سماه الاعتراض التذييلي [7] مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا

---

(١) المنافقون : آية ١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) الرعد : آية ٤١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٦٥ .

(٥) النساء : آية ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢١٦ .

(٧) الطراز ج٣ ، ص ٣٢١ ، معترك الأقران ، ج١ ، ص ٣٦٨ .

أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [١] ، فقد ذكر أبو السعود أنّ قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ بقوله : "اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده" [٢] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٣] ، فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ اعتراض تذييلي جيء به تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته في إعلاء كلمته وإظهار دينه إلى نصرتهم بل إنما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب وإلا فهو غنيٌّ بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريده" [٤] .

خامساً : التقديم والتأخير

التقديم : من قدم الشيء إذا وضعه أمام غيره والتأخير نقيض ذلك [٥] .

وفي الاصطلاح البلاغي : يقول الطوفي البغدادي في التقديم والتأخير : "وهو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها ، لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة" [٦] .

وقد تحدث أبو السعود كثيراً عن التقديم والتأخير في تفسيره وذكر كثيراً من أغراض التقديم أثناء تفسيره للآيات القرآنية مبيناً أسراره البلاغية .

فمن مواطن التقديم التي ذكرها أبو السعود تقديم المسند على المسند إليه ، ويكون لهذا التقديم فوائد مثل قوله تعالى : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ [٧] تقديم الخبر للتخصيص ، أي بقدرتك الخير كله لا بقدرة أحد غيرك تتصرّف فيه قبضاً وبسطاً حسبما تقتضيه مشيئتك" [٨] .

---

(١) الأنفال : آية ٦٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١١٢ .

(٣) الحديد : آية ٢٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٠٩ .

(٥) لسان : (قدم ، أخر) .

(٦) الإكسير في علم التفسير ، للطوفي ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار الأوزاعي للطباعة والنشر ، ١٩٨٩م .

(٧) آل عمران : آية ٢٦ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٥٢ .

وقد يفيد تقديم المسند على المسند إليه القصر كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُم** ﴾ [1] فإن تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند إليه كما قال تعالى : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [2] وحمل الجملة على هذا القصر على معنى أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا إذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يُحتاج على بيان امتناعه وإنما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبيّن امتناعه بأن أعمالهم الصالحة مخصوصة لا تتخطاهم إلى غيرهم وليس لهؤلاء إلا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم إليهم وإنما ينفعهم اتباعهم لهم في الأعمال" [3] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَعَجَبٌ قَوْلُهُم** ﴾ [4] فهنا قدم الخبر للقصر ، قال أبو السعود : "خبر قُدِّم على المبتدأ للقصر والتسجيل من أول الأمر بكون قولهم ذاك أمراً عجيباً" [5] ، وقد يفيد تقديم الخبر الاهتمام والتشويق كما في تقديم خبر كان على اسمها في قوله تعالى : ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا** ﴾ [6] قال أبو السعود : "اسم كان قدم عليه خبرها اهتماماً بشأنه ولكونه مدار الإنكار والتعجب وتشويقاً إلى المؤخر" [7] .

وكما في تقديم خبر كان عليها في قوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُم** ﴾ [8] ، قال أبو السعود : "وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه" [9] .

وقد يفيد تقديم المفعول الاختصاص كما في تقديم المفعول في قوله تعالى : ﴿ **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [10] وهو آكد في إفادة التخصيص من إياك نعبد لما فيه مع

---

(١) البقرة : آية ١٣٤ .

(٢) الكافرون : آية ٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٤) الرعد : آية ٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٤٠ .

(٦) يونس : آية ٢ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٠٥ .

(٨) النساء : آية ٩٤ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٨١ .

(١٠) البقرة : آية ٤٠ .

الـــتقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل : إنْ كنتم راهبين شيئاً فارهبوني" (١) .

وقـــد يفيد تقديم المفعول به أيضاً الاختصاص كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَرْضِـــي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (٢) أي إنّ أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لـــي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حُذف الشرط وعُوِّض عنه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص" (٣) .

وأيضـــاً فـــي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ** ﴾ (٤) "وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد" (٥) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى** ﴾ (٦) قدم المفعول على الفعـــل ، ولذلـــك قال أبو السعود : "مفعول أول لما يعقبه قُدِّم عليه لإفادة القصر تأكيداً للوعد ، أي كل واحد من المجاهدين والقاعدين" (٧) .

وقد يكون التقديم لتأكيد الشمول كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّـــا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ** ﴾ (٨) ، "ولكل مفعول ثانٍ قُدِّم عليه لتأكيد الشمول ودفـــع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجا** ﴾ (٩) أي ولكل تركةٍ جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها أنصبـــاءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة"(١٠) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٢٧ .
(٢) العنكبوت : آية ٥٦ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٥٩ .
(٤) آل عمران : آية ٥٥ .
(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٧٦ .
(٦) النساء : آية ٩٥ .
(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٨٥ .
(٨) النساء : آية ٣٣ .
(٩) المائدة : آية ٤٨ .
(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٣١ .

وقد يفيد تقديم الجار والمجرور القصر كما في قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ (١) ، قال أبو السعود : "وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله تعالى قالوه التجاء إلى الله تعالى في جميع أمورهم" (٢) .

وقد يفيد التقديم بالإضافة إلى القصر الاهتمام كما في قوله تعالى : ﴿ **يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ** ﴾ (٣) ، فقوله : "رجال فاعل يسبِّح وتأخيره عن الظروف للاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخّر ولأن في وصفه نوع طول فيُخلُّ تقديمه بحسن الانتظام ، فالتقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط" (٤) .

وقد يكون التقديم مفيداً لرعاية الفاصلة والمحافظة على رؤوس الآي كما في قوله تعالى : ﴿ **فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً** ﴾ (٥) ، قال أبو السعود : "ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى : ﴿ **فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ** ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿ **فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ** ﴾ (٧) لمراعاة الفواصل" (٨) ، وكما في قوله تعالى : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ (٩) .

قال أبو السعود : "تقدُّم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الآي" (١٠) .

---

(١) الممتحنة : آية ٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٣٦ .

(٣) النور : آية ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٦٤ .

(٥) الأحزاب : آية ٢٦ .

(٦) البقرة : آية ٨٧ .

(٧) المائدة : آية ٧٠ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٢١ .

(٩) البقرة : آية ٣٠ .

(١٠) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٤٦ .

وكذلك من متعلقات الجملة مثل قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ** ﴾ [1] قال أبو السعود : "الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص وأياً ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من إنفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ إنفاقه مع الطيب" [2] .

وقد يكون التقديم للتهويل كما في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ** ﴾ [3] ، قال : "وإنما غُيِّر في سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلاً وأشد العذاب يوم القيامة للإيذان بكمال التنافي بين جزأي النشأتين وتقديم يوم القيامة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من الأمر" [4] .

وقد يكون التقديم مثل تقديم كلمة بدلاً من كلمة كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [5] ، قال : "لكل صبّار على بلائه وشكور لنعمائه والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن ، أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر أو الإيمان ويصبر أمره إليها وتقديم الصبار على الشكور لتقدُّم متعلق الصبر أعني البلاء على متعلق الشكر أعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر" [6] .

وكما هو السر في تقديم كلمة السجود على الإيمان في قوله تعالى : ﴿ **وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [7] ، قال : "وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر أركان الصلاة لكونه أدلّ على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وُصفوا بالكفر بها وهو السر

---

(١) البقرة : آية ٢٦٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١٠ .

(٣) البقرة : آية ٨٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٦١ .

(٥) إبراهيم : آية ٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٧٢ .

(٧) آل عمران : آية ١١٤ ، ١١٥ .

في تقديم هذا النعت على نعت الإيمان" [١] .

ويذكر أبو السعود السر من تقديم السمع على البصر في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ** ﴾ [٢] "وتقدم السمع على البصر لما أنه طريق تلقي الوحي أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر" [٣] .

ويبين أبو السعود العلة من تأخير قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ** ﴾ [٤] وما بعدها في حديثه عن أهل الجنة بقوله : "وتقديم حكاية حال أهل النار لأنه أدخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولأن حكاية حسن أهل الجنة بعد سوء أهل النار مما يزيد المحكيّ حسناً وبهجة" [٥] .

سادساً : الأمر وأغراضه البلاغية

الأمر : نقيض النهي ، يقال أمره يأمره وإماراً فائتمر أي قبل أمره [٦] .

والأمر في اصطلاح البلاغيين هو : "طلب الفعل على جهة الاستعلاء" [٧] أو "صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء والإلزام " [٨] .

وتكثر صيغ الأمر في القرآن الكريم وقد بين أبو السعود في تفسيره هذه الصيغ وما تفيده من معانٍ بلاغية ومن هذه المعاني :

الإباحة : "إن المخاطب في الإباحة كأنه يتوهم أنْ ليس يجوز له الإتيان بالفعل فأبيح وأُذن له في الفعل مع عدم الحرج في الترك" [٩] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٠ .

(٢) النحل : آية ٧٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٨٣ .

(٤) الغاشية : آية ٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٢٠ .

(٦) لسان : (أمر) .

(٧) التلخيص في علوم البلاغة للقزويني ، ص ١٦٩ ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٩٣٢م .

(٨) الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، ج٣ ، ص ٢٨١ ، القاهرة ، ١٩١٤م .

(٩) المطول ،سعد الدين التفتازاني ،ص ٤٢٦ ،تحقيق د. عبدالحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط ٢٠٠١م .

وقــد بين أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا** ﴾ [١] فقــال : "والأمــر للإباحــة بعد الحظر كأنه قيل : إذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد" [٢] .

الدعــاء : ويــتحقق الدعاء من الأدنى إلى الأعلى كدعاء الإنسان ربّه "فإنه طلب للفعل على سبيل التضرُّع" [٣] .

وقــال ابــن فــارس : "الدعاء والطلب فيكون لمن فوق الداعي والطالب ويكــون أمــراً" [٤] وقد بين أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِــي وَلِوَالِــدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَــاتِ** ﴾ [٥] فقال : "عمهم بالدعاء إثر ما خصّ به من يتصل به نسباً ودِيناً" [٦] .

التســوية : ويفيد الأمر "التسوية" "فكأنه توهم أنّ أحد الطرفين من الفعل والترك أنفع له وأرجح بالنسبة إليه فرفع ذلك وسوى بينهما" [٧] .

وقد أوضح أبو السعود هذا الغرض في قوله تعالى : ﴿ **اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْــبِرُوا سَــوَاءٌ عَلَــيْكُمْ إِنَّمَــا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [٨] فقال : "أي ادخلوهــا وقاســوا شــدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم أي الأمــران فــي عــدم النفع ، لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا تُجْــزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتماً كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع" [٩] .

---

(١) المائدة : آية ٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣) المطــول ، ص ٤٢٧ ، الإيضــاح ، ج٣ ، ص ٨٦ ، انظــر فن البلاغة ، ص ١١٧ ، وانظر أساليب بلاغية ، ص ١١١ .

(٤) الصاحبي : ص ٣٠٢ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ت .

(٥) نوح : آية ٢٨ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣١٢ .

(٧) المطوّل ، ص ٤٢٦ .

(٨) الطور : آية ١٦ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٤٥ .

التهديد : "التهديد أي التخويف وهو أعم من الإنذار لأنه إبلاغ مع تخويف وفي الصحاح هو تخويف مع دعوى" (١) ، أو "إذا كان الآمر قد أمر بما هو غير راض عنه" (٢) ، وقال ابن قتيبة : "أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد" (٣).

وقد أوضح أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ** ﴾ (٤) فقال : "وقل" تهديداً لأولئك الضالين المضلين ونعياً عليهم وإيذاناً بأنهم لشدة إبائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال أحقاء بأن يُضرب عنهم صفحاً ويُعطف عنهم عنان العظة ويُخَلَّوا وشأنهم ولا يُنهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة إلى بيان عاقبته الوخيمة وفيه من التهديد الشديد والوعيد الأكيد ما لا يوصف" (٥) .

وقد جعل السيوطي الغرض من الأمر في هذه الآية للإنذار ولكنه قال : "ومنهم من عده من التهديد ومنهم من جعله قسماً آخر وأهل اللغة قالوا التهديد التخويف والإنذار الإبلاغ فهما متقابلان" (٦) .

ومن التهديد قوله تعالى : ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ (٧) وذلك بقوله : "وفيه تهديد شديد" (٨) .

التهكم : كما في قوله تعالى : ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾ (٩) .

قال ابن أبي الإصبع المصري : "تهكمت البئر إذا تهدّمت وتهكم عليه : اشتد غضبه والمتهكم المتكبر ، وهو في الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ

---

(١) المطول : ص ٤٢٥ .

(٢) البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٥٤ ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٩٩٢م .

(٣) تأويل مشكل القرآن ، ص ٢١٦ .

(٤) إبراهيم : آية ٣٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٨٦ .

(٦) معترك الأقران ، ج١ ، ص ٤٤٢ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د.ت .

(٧) فصلت : آية ٤٠ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٤٦ .

(٩) النساء : آية ١٣٨ .

البشـــارة فـــي موضـــع الإنـــذار والوعـــد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء" [١] .

وقـــد بيّـــن أبو السعود هذا الغرض البلاغي في تفسيره للآية بقوله : "علـــى أنّ المراد بالمذكورين الذين آمنـــوا في الظاهـــر نفاقـــاً وكفروا في السرّ مـــرة بعـــد أخـــرى ثم ازدادوا كفـــراً ونفاقـــاً ، ووضع التبشير موضع الإنذار تهكماً بهم" [٢] .

الاســـتهزاء : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ [٣] ، وهذا مـــن باب الإهانة "فهي تتحقق باستعمال صيغة الأمر في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور وبدون قصد من الآمر إلى فعل ما أمر به والمأمور به في الإهانة يكون خسيساً أولاً وغير مقدور عليه ثانياً" [٤] .

وقـــد تحدث أبو السعود عن هـــذا الغرض أثناء تفسيره لتلك الآية بقوله : "أي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعاً له على ما كان يزعمه ، رُويَ أن أبا جهل قـــال لرســـول الله ﷺ : مـــا بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت وربك أن تفعلا بي شيئاً" [٥] .

التعجـــيز : وهـــو أمر المخاطب بفعل شيء لكنه يعجز عن القيام به لضعفه [٦] مثل قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِه** ﴾ [٧] .

"والأمر في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ** ﴾ من باب التعجيز وإلقام الحجر كأنه قيل : إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله" [٨] .

---

(١) تحرير التحبير ، ص ٥٦٨ ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٥م .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٠٩ .

(٣) الدخان : آية ٤٩ .

(٤) البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٥٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٥٣ .

(٦) البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٥٤ ، وانظر علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ص ٨٧ .

(٧) البقرة : آية ٢٣ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٨٧٢ .

الـــندب : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً** ﴾ [1] ، وقد ذكر ابن فارس هذا الغرض البلاغي بقوله : "ويكون أمراً وهو ندب نحو قوله تعالى : ﴿ **فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ** ﴾ [2] .

وقـــد بين أبو السعود الغرض البلاغي من الأمر فقال : "والأمر فيه للندب لأن الكـــتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالاً ومؤجلاً ومنجماً وغير منجم" [3] .

الإلهاب والتهييج : مثل قول الله تعالى : ﴿ **وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ [4] .

والإلهـــاب (إفعـــال) من قولهم ألهب النار إذا أسعرها حتى التهبت وطال لهـــبهـــا والتهييج (تفعيـــل) من قولهـــم : هاجت الحرب إذا ثارت ، هذا معناهما في اللغة .

وأما مصطلح علماء البلاغة : فهما مقولان على كل كلام دالّ على الحث علـــى الفعل لمن لا يتصور منه تركه وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله ولكـــن يكـــون صدور الأمر والنهي من هذه حالة على جهة الإلهاب والتهييج له على الفعل أو الكف لا غير" [5] .

وقد ذكر الدكتور أحمد مطلوب أنّ هذين المصطلحين لم يردا إلا في كتاب الطـــراز للعلـــوي ولعله يدخل في خروج الأمر والنهي عن غرضيهما الحقيقيين والغرض المجازي في كل منهما هو الإلهاب والتهييج" [6] .

وقد كان الزمخشري هو الأسبق في ذكر هذا المصطلح البلاغي وقد ذكرنا في الفصل السابق من مجالات التأثر أنّ هذا المصطلح من المصطلحات التي تأثر بها أبو السعود بالزمخشري وقد ذكره في أكثر من موضع عندما تحدث عنه في

---

(١) النور : آية ٣٣ .

(٢) الصاحبـــي ، ص ٣٠٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٥٦ .

(٤) المؤمنون : آية ٥٢ .

(٥) الطراز ، ج٣ ، ص ١٦٥ .

(٦) انظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص ١٨٢ .

مجال "النهي" وسنذكره في موضعه .

وكـــان هـــذا الغـــرض من الأغراض التي تأثر بها العلوي بالزمخشري وخاصة في علم البديع [١] ، وقد ذكر أبو السعود في تفسير هذه الآية أنّ : "الأمر في حق الرسل للتهييج والإلهاب وفي حق الأمم للتحذير والإيجاب" [٢] .

التوبـــيخ : كما في قولـــه تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِـــيٌّ حَمِيـــدٌ** ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "وفي الأمر بأن يعلموا ذلـــك مع ظهـــور علمهم به توبيخ لهم على مـــا يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإنّ إعطـــاء مثله إنما يكون عادة عند اعتقـــاد المعطي أنَّ الآخذ محتاج إلى ما يعطيه بل مضطر إليه" [٤] .

الاســـتعطاف : كقولـــه تعالـــى : ﴿ **وَاتَّقُـــوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ** ﴾ [٥] ، قال أبـــو الســـعود : "تكريـــر للأمر وتذكير ببعض آخر من موجبات الامتثال به فإن ســـؤال بعضـــهم بعضاً بالله تعالى بأن يقولوا أسالك بالله ، وأنشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة أوامره ونواهيه" [٦] .

الاختـــيار : مـــثل قولـــه تعالى : ﴿ **فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ** ﴾ [٧] فقد أوضـــح أبـــو الســـعود ذلك بقوله : "بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يـــتولاها إثر الأمر بها إجمالاً وهو أمر للمتداينين باختيـــار كاتب فقيه ديِّن حتى يجيء كتابه موثوقاً به معدَّلاً بالشرع" [٨] .

---

(١) انظـــر الـــبلاغـــة القرآنـــيـــة في تفسير الزمخشري ، ص ٦٢٥ ، د. محمد أبو موسى ، دار الفكر العربي ، د.ت .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤١٩ .

(٣) البقرة : آية ٢٦٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١١ .

(٥) النساء : آية ١ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٩٣ .

(٧) البقرة : آية ٢٨٢ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

التكويـــن : مـــثل قوله تعالى : ﴿ **فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ [١] ، والمراد بالأمر : "بيان سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراده الله عز وجل" [٢] .

الاســـتحباب : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [٣] ، فقـــد أظهـــر أبو السعود الغرض البلاغي من الأمر في تلك الآية بقوله : "والأمر صريحاً كان أو مفهوماً من الحكاية للاستحباب" [٤] .

الزجر : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ** ﴾ [٥] ، قال : "والمـــراد بـــالإنذار الزجـــــر عما هـــم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للانزعاج والإيذاء" [٦] .

الإبانة والتمييز : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾ [٧] فالأمر هنا يفيد الإبانة والتمييز وذلك بقولـــه : "فاجهـــر به من صَدَع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو افرق بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز" [٨] .

التعظـــيم : وقـــد يفيد الأمر عدة معانٍ كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيـــنَ آمَنـــُوا إِذَا نَاجَيْتـــُمُ الرَّســـُولَ فَقَـــدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾ [٩] ، "أي فتصـــدقوا قبلها وفي هذا الأمر تعظيـــم الرســـول ﷺ وإنفاع الفقراء والزجر عـــن الإفـــراط في الســـؤال والتمييـــز بيـــن المخلص والمنافـــق ومحب الدنيا ومحب الآخرة" [١٠] .

---

(١) البقرة : آية ٦٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٤٣ .

(٣) البقرة : آية ١٢٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٩٥ .

(٥) إبراهيم : آية ٤٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٩٨ .

(٧) الحجر : آية ٩٤ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٦ .

(٩) المجادلة : آية ١٢ .

(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢١٨ .

التأكيد : وقد يفيد الأمر التأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ** ﴾ (١) وقد أوضح أبو السعود ذلك بقوله : "تلك الكتابة المُعْلَمة ، أمر بها بعد النهي عن إبائها تأكيداً لها" (٢) .

سابعاً : النهي وأغراضه البلاغية

النهي : خلاف الأمر نهاه نهياً فانتهى وتناهى : كفّ (٣) .

وفي اصطلاح البلاغيين : "النهي هو عبارة عن قول ينبئ عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام كقولك : لا تفعلْ ، ولا تخرجْ" (٤) .

وقد أظهر أبو السعود في تفسيره عدة معانٍ تستفاد من أسلوب النهي ومن هذه المعاني :

الدعاء : ويكون من الأدنى إلى الأعلى ، فمما يفيده النهي في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ (٥) الدعاء وقد بيّن أبو السعود ذلك بقوله : "أي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بأنْ يجيب دعاءنا" (٦) .

الزجر والتحذير : كما يفيده النهي في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٧) ، قال أبو السعود : "نُهوا عن موالاة الكفرة صريحاً وإن كان في بيان حال المنافقين زجر عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير" (٨) .

التهكم : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ (٩) ، "فالخطاب للكفرة واستعجالهم ، وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونُهوا

---

(١) البقرة : آية ٢٨٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٢٠ .

(٣) لسان : (نهى) .

(٤) الطراز ، ج٣ ، ص ٢٨١ .

(٥) الحشر : آية ١٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٢٩ .

(٧) النساء : آية ١٤٤ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢١١ .

(٩) النحل : آية ١ .

عنه بضرب من التهكم" [1] .

التأكيد : كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** ﴾ [2] ، قال أبو السعود : "والتصريح بالنهي في قوله تعالى : ﴿ **لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** ﴾ مع كونه معلوماً لا سيما في قوله تعالى : ﴿ **غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** ﴾ لتأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه ، أي لا تقتلوه وأنتم محرمون" [3] .

العناية : وقد أوضح أبو السعود الغرض البلاغي من النهي في قوله تعالى : ﴿ **فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ** ﴾ [4] وذلك بقوله : "أي لا تتضجر بهما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خُصّ بالذكر إظهاراً للاعتناء بشأنه" [5] .

التهويل : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ [6] ، ونجد أن أبا السعود قد أوضح الغرض البلاغي من النهي في هذه الآية وهو التهويل وذلك في قراءة من قرأ : "ولا تَسْأَلْ" بفتح التاء وجزم اللام بلا الناهية والدليل قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ولا تسأل والحجة لمن جزم أنه جعله نهياً ودليله ما روي أن النبي ﷺ قال يوماً : "ليت شعري ما فعل أبواي" فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ فإنا لا نؤاخذك بهم والزم دينك" [7] .

قال أبو السعود : "وقريء لا تسألْ على صيغة النهي إيذاناً بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلاً لها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على إجرائها على

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٩ .

(٢) المائدة : آية ٩٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٢٠ .

(٤) الإسراء : آية ٢٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٢٣ .

(٦) البقرة : آية ١١٩ .

(٧) انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ، ص ١٦٩ ، تحقيق د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ١٩٧٢م و(الحجة في القراءات السبع) لابن خالويه ، ص ٨٧ ، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، ١٩٨١م .

1240887
بالجامعة الإسلامية - المكتبة - قسم الرسائل الجامعية

لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمع خبرها وحمله على نهي النبي ﷺ عن السؤال عـــن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم ، وفي التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وإيذان بأنه مطبوع عليهم لا يُرجى منهم الإيمان قطعاً" (١) .

الثبات على الإسلام :

وقـــد بيّـــــن أبو السعود هـــذه الظاهرة في قوله تعالى : ﴿ **فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (٢) ، فقال : "ظاهرة النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصـــود الأمـــر بالثبـــات على الإســـلام إلى حيـــن الموت ، أي فاثبتوا عليه ولا تفـــارقوه أبداً كقولك : لا تصلِّ إلا وأنت خاشع" (٣) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (٤) .

قال أبو السعود : "وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، أي لا تموتن على حـــال مـــن الأحـــوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه كما تنبئ عنه الجملة الإســـمية ، ولو قيل إلا مسلمين لم يُفِدْ بفائدتها وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد إيجاب الثبات على الإسلام إلى الموت فإن قولك : لا تصل إلا وأنت خاشع يفـــيد فـــي المـــبالغة في إيجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك : لا تترك الخشـــوع في الصلاة ، لما أن هذا نهي عن ترك الخشوع فقط ، وذلك نهي عنه وعمـــا يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة وأن الصلاة بدونه حقها أن لا تُفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت" (٥) .

الإلهاب والتهييج : وقد سبق الحديث عنه في أغراض الأمر وهو من الأغراض البلاغية للنهي وقد ذُكر هذا المصطلح معرفاً في كتاب الطراز حيث قال العلوي : "فهمـــا مقولان على كل كلام دالّ على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٨٩ .

(٢) البقرة : آية ١٣٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) آل عمران : آية ١٠٢ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٢ .

وعلـــى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله ولكن يكون صدور الأمر والنهي من هذه حاله على جهة الإلهاب والتهييج له على الفعل أو الكف لا غير" [١] .

وقـــد ذكـــر الدكتور أحمد مطلوب : أن هذين المصطلحين لم يردا إلا في كـــتاب الطـــراز للعلـــوي ولعلـــه يدخل في خروج الأمر والنهي عن غرضيهما الحقيقيين والغرض المجازي في كل منهما هو الإلهاب والتهييج" [٢] .

ونجـــد أن العلوي قد أخـــذ هذا المصطلح من الزمخشري نتيجة لتأثره به وقد ذكرنا في فصل التأثر أن من مجالات تأثر أبي السعود بالزمخشري هو أخذه لهذا المصطلح ، فقد ذكره الزمخشري في مواطن عدة وذلـــك في تفسيره ، ومن هـــذه المواطـــن فـــي تفسير قولـــه تعالى : ﴿ **فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ [٣] ، قال الزمخشـــري : "ونهيه عن الامتراء – وجل رســـول الله أن يكون ممترياً – من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفاً لغيره" [٤] .

وكذلـــك فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿ **فَـــلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ [٥] ، قال الزمخشري : من باب التهييج والإلهاب" [٦] وإنْ كان العلوي له فضل في تعريف المصطلح وفي جعله صنفاً مستقلاً" [٧] .

وقـــد تحدث أبو السعود في تفسيره لهذا المصطلح وذلك من خلال تفسيره لقولـــه تعالى : ﴿ **فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا** ﴾ [٨] ، فقال : "أي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والأول هو الأليق بشأن موسى عليه الصلاة والســـلام ، وإن كـــان النهـــي بطـــريق التهييج والإلهاب ، هذا وإن كان بحسب الظاهـــــر نهيـــاً للكافرين عن صد موسى عليه الصلاة والسلام عن الساعة لكنه

---

(١) الطراز ، ج٣ ، ص ١٦٥ .

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص ١٨٢ .

(٣) آل عمران : آية ٦٠ .

(٤) الكشاف ، ج١ ، ص ٣٦١ .

(٥) الأنعام : آية ١١٤ .

(٦) الكشاف ، ج٢ ، ص ٥٧ .

(٧) انظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص ٦٢٥ .

(٨) طه : آية ١٦ .

فـــي الحقـــيقـــة نهـــي له عليـــه الصـــلاة والسلام عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآكده" [1] .

ثامناً : الاستفهام وأغراضه البلاغية

الاســـتفهام : "**الفهـــم** : معرفـــتك الشيء بالقلب ، وفهمت الشيء عقلتُه وعرفته وأفهمـــه الأمر وفهّمه إياه : جعله يفهمه ، واستفهمه سأله أن يفهمه وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً" [2] .

وفـــي اصـــطلاح البلاغيين : هو "طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصـــة" [3] ، أو "طلـــب المراد من الغير على جهة الاستعلاء فقولنا طلب المراد عام فيه وفي الأمر وقولنا على جهة الاستعلاء يخرج من الأمر فإنه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد" [4] .

عـــندما نتحدث عن الاستفهام لا بد من الحديث عن موضوع التقديم الذي يحدث بعد أدوات الاستفهام ثم دراسة معاني أدوات الاستفهام والأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام .

أمـــا بالنســـبة للـــتقديم فقـــد تحدث أبو السعود كثيراً في تفسيره عن هذا الموضـــوع ، ومـــن أمثلة ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْـــتَرُونَ** ﴾ [5] ، قـــال أبو السعود "أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلـــم كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فأظهر الاسم الجليل وقُدِّم علـــى الفعـــل دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيداً للتبكيت إثر تأكيد مع مراعاة الفواصـــل ويجـــوز أن يكـــون الاســـتفهام للإنكـــار وأم منقطعة ومعنى بل فيها للإضـــراب والانـــتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما تفيده همزتها من التوبيخ على الافتـــراء عليـــه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٧٣ .

(٢) لسان : (فهم) .

(٣) الإيضـــاح للقزويني ، ج٣ ، ص ٥٥ .

(٤) الطراز ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .

(٥) يونس : آية ٥٩ .

يجوز أن يكون للقصر كأنه قيل : بل أعَلَى الله تعالى خاصة تفترون" [١] .

فقد ذكر سبب تقديم ما بعد الاسم الجليل على الفعل والجار والمجرور على الفعل أيضاً لأن ما بعدها هو مدار الإنكار .

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ [٢] ، قال أبو السعود : "أي أيتولون فيبغون غير دين الله ؟ وتقديم المفعول لأنه المقصود إنكاره أو على الجملة المتقدمة والهمزة ، والهمزة متوسطة بينهما للإنكار" [٣] .

ويذكر أبو السعود أيضاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً ﴾ [٤] "والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام ، أي قل لهم : أأميل إلى زخارف الشياطين فأبتغي حكماً غير الله يحكم بيننا ويفصل المُحقَّ منا من المُبطل ؟ وغير إما مفعول ابتغى وحكماً حال منه وإما بالعكس وأيّاً ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما أشير إليه للإيذان بأن مدار الإنكار هو ابتغاء غيره تعالى حكماً لا مطلق الابتغاء" [٥] .

ويذكر أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً ﴾ [٦] ، "والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وإدخال الهمزة على غير للإيذان بأن المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لما أنه لاختصاص الإنكار بغيره تعالى دون إنكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غير على أنه مفعول أبغي بحذف اللام ، أي أبغي غيركم ، أي أطلب لكم غير الله تعالى وإلهاً تمييز أو حال أو على الحالية من إلهاً وهو المفعول لأبغي على أن الأصل أبغي لكم إلهاً فغيرَ صفة لإلهاً فلما قُدِّمت صفة النكرة انتصبت حالاً" [٧] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٢) آل عمران : آية ٨٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٨٦ .

(٤) الأنعام : آية ١١٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٦) الأعراف : آية ١٤٠ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج ٣، ص ٢٥ .

ويتحدث عن سر تقديم الخبر في قوله تعالى : ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ (١) ، "وتقديم الخبر للإيذان بأنه مدار الإنكار ولما استلزم كونه سحراً كون من أتى به ساحراً أكد الإنكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل : ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (٢) ، أي أتقولون للحق أنه سحر والحال أنه لا يفلح فاعله" (٣) .

ويقول في فائدة تقديم الظرف في قوله تعالى : ﴿ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٤) ، على طريقة الاستفهام الإنكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وتقديم الظرف لتقوية الإنكار بالبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أإنا لتأكيد الإنكار" (٥) .

ويتحدث أبو السعود عن سر تقديم المفعول في قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (٦) ، "وإلهه مفعول ثان لاتخذ قُدِّم على الأول للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجيب ومَنْ توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زلّ منه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة ، أي أرأيت من جعل هواه إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر إليه وتعجب منه" (٧) .

فقد ذكر أن المفعول الثاني قُدِّم على الأول لأنه مدار التعجب وهذا سر من أسرار التقديم في الاستفهام بالهمزة ، قال عبد القاهر الجرجاني : "ومن أبين شيء في ذلك "الاستفهام بالهمزة" فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : "أفعلت" ؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل وكان غرضك من الاستفهام أن تعلم وجوده

---

(١) يونس : آية ٧٧ .

(٢) يونس : آية ٧٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٦٦ .

(٤) الرعد : آية ٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٣٩ .

(٦) الفرقان : آية ٤٣ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٥ .

وإذا قلت : "أأنت فعلت" ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل مَنْ هو" [١] .

وقال في تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى : ﴿ **أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ** ﴾ [٢] ، وإنما قدم الجار والمجرور للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل" [٣] .

الأغراض البلاغية للاستفهام

وقد تحدث أبو السعود من خلال تفسيره عن الأغراض البلاغية للاستفهام ، ومن هذه الأغراض والمعاني :

١- **الإنكار** : "والمعنى فيه على النفي وما بعده منفي ولذلك تصحبه إلا وكثيراً ما يصحبه التكذيب" [٤] ، كقوله تعالى : ﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً** ﴾ [٥] ، قال أبو السعود : "والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور ، أي أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخصوص وآثر لذاته أخسها وأدناها" [٦] .

قال الزركشي : "وتسمية هذا استفهام إنكار من أنكر إذا جحد وهو إما بمعنى : لم يكن أو بمعنى لا يكون" [٧] .

"والإنكار قد يجيء لتعريف المخاطب أن ذلك المدّعى ممتنع عليه وليس من قدرته" [٨] ، والإنكار ينقسم إلى قسمين : إنكار توبيخي وإنكار تكذيبي [٩] .

وقد مثل له أبو السعود بقوله تعالى : ﴿ **أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ** ﴾ [١٠] فقال : "وهو إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ص ١١١ ، مطبعة المدني ، ١٩٩٢م .

(٢) الشعراء : آية ٢٠٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٦١ .

(٤) الإتقان ، ج٣ ، ص ٢٣٥ ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، د.ت .

(٥) الإسراء : آية ٤٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٣٢ .

(٧) البرهان ، ج٢ ، ص ٣٣١ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٢٩ .

(٩) من بلاغة القرآن ، د. محمد علوان ، د. نعمان علوان ، ص ٥٢ .

(١٠) الزخرف : آية ٤٠ .

وهـم قـد تمـرنوا فـي الكفر ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط" [١] .

وقد ذكر أبو السعود أن الإنكار قد يكون إنكاراً للواقع كما في قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [٢] فقال : "والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار الوقوع بل المعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه" [٣] .

وقـد يكون الاستفهام بمعنـى إنكـار الوقـوع لا إنكار الواقع كما ذكره أبـو السـعود فـي قولـه تعالى : ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [٤] ، قال : "والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار الواقع بل بمعنى إنكار الوقوع" [٥] .

أو يكـون الاسـتفهام لإنكار التسوية مثل قوله تعالى : ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾ [٦] ، قـال أبـو السعود : "فالهمزة لإنكـار التسـوية بيـن الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده" [٧] .

٢- **التوبيخ** : قال السيوطي : "وجعله بعضهم من قبيل الإنكار إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ ، والمعنى أن ما بعده واقع جدير بأن ينفى فالنفي هنا غـير قصـدي والإثبات قصدي عكس ما تقدم ، وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت ووبِّخ على فعله" [٨] .

ومـن أمـثلة ما تحدث عنه أبو السعود في هذا النوع من الاستفهام قوله تعـالـى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ** ﴾ [٩] ،

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٥ .

(٢) البقرة : آية ٢٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٠٣ .

(٤) التوبة : آية ٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٢٥ .

(٦) ص : آية ٢٨ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٦٠ .

(٨) الإتقان ، ج٣ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٩) التوبة : آية ٦٣ .

فقـــال : "والاستفهام للتوبيـــخ علـــى ما أقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها" (١) .

٣- **التقرير** : قال الزركشي : "والتقرير حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنـــده" (٢) ، قال أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّـــهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ (٣) ، "والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك ، أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا إنعامه عليهم" (٤) .

وقـــال الزركشي : "وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار والإنكار نفي وقد دخل على المنفي ونفي المنفي إثبات" (٥) .

وقـــد أوضح أبو السعود تلك المسألة في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِـــيماً فَآوَى** ﴾ (٦) وذلـــك بقوله : "والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفي على أبلغ وجه كأنه قيل : قد وجدك" (٧) .

٤- **التعجيـــب أو التعجـــب** : وقد أوضح أبو السعود ذلـــك من خـــلال شـــرحه لقوله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا** ﴾ (٨) ، فقال : "فالهمزة للتعجيب من حالـــه والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجـــب ، ومـــن فرق بين الم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصـــد التعجـــب بأن الأول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال : ألم تر إلى الذي صـــنع كذا بمعنى انظر إليـــه فتعجب من حاله ، والثاني يعلّق بمثل المتعجب منه فيقال : أرأيت مثل الذي صنـــع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يُرى له مثل فقد حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء" (٩) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٦٥ .
(٢) البرهان ، ج٢ ، ص ٣٣١ .
(٣) الأنعام : آية ٥٣ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٩٠ .
(٥) البرهان ، ج٢ ، ص ٣٣٣ .
(٦) الضحى : آية ٦ .
(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٤٠ .
(٨) مريم : آية ٧٧ .
(٩) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٥٦ .

٥- **الاستبطاء** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [١] ، قال أبو السعود : "فإن قولهم : متى هذا الوعد استبطاء للموعود وطلب لإتيانه بطريق العجلة فإن ذلك في قوة الأمر بالإتيان عجلة كأنه قيل : فليأتنا بسرعة إن كنتم صادقين" [٢] .

٦- **التَّسْوية** : قال الزركشي : "وهي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها" [٣] ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا** ﴾ [٤] ، قال أبو السعود : "على ذلك ، أي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الإنجاء والهمزة وأم لتأكيد التسوية" [٥] .

٧- **التشويق** : كقوله تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة مَنْ سيق له الكلام والتعجيب منه" [٧] .

٨- **التهويل** : فخّمه وتفخّمه أجله ونظّمه والتفخيم التعظيم وفخّم الكلام عظّمه [٨] وتحدث عنه ابن رشيق في باب الإشارة فقال : "ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيماء فأما التفخيم فكقول الله تعالى : ﴿ **الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ [٩] .

وقد جعل أبو السعود التفخيم والتهويل كغرض واحد كتفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴾ [١٠] ، فقال : "تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به إثر تفخيم وتهويل لأمره بعد تهويل

---

(١) الأنبياء : آية ٣٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٣) البرهان ، ج٢ ، ص ٣٣٦ .

(٤) إبراهيم : آية ٢١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ٤٨١ .

(٦) الماعون : آية ١ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٧٥ .

(٨) لسان : (فخم) .

(٩) العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

(١٠) الانفطار : آية ١٧ ، ١٨ .

ببـــيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أي صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أعظم" [١] .

٩- **التحقير** : كما في قوله تعالى : ﴿ **مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ [٢] ، ذكر أبو السعود ذلـــك بقولـــه : "وفي الاستفهام عن مبـــدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى : ﴿ **مِنْ نُطْفَـــةٍ خَلَقَـــهُ** ﴾ تحقير له ، أي من أيّ شيء حقيـــر مهيـــن خلقه من نطفة مذرة خلقه" [٣] .

١٠- **التعييـــن** : كمـــا يفيده قوله تعالى : ﴿ **أَأَنْتَ قُلْـــتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْـــنِ** ﴾ [٤] ، "ولـــيس مـــدار أصـــل الكـــلام أن القـــول متيقن والاستفهام لتعييـــن القـــائـــل كمـــا هو المتبادر من إيلاء الهمزة على المبتدأ بل على أن المتيقـــن هـــــو الاتخـــاذ والاستفهام لتعييـــن أنه بأمـــره عليه السلام أو من تلقاء أنفسهم" [٥] .

١١- **العـــتاب** : كقولـــه تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ، أي ألم يجـــئ وقـــت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توانٍ ولا فتور" [٧] .

١٢- **الأمـــــر** : وهـــذا ما يفيده قوله تعالى : ﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ** ﴾ [٨] ، قال أبو السعود : "أمر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة أو التقريع" [٩] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٩١ .

(٢) عبس : آية ١٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٧٩ .

(٤) المائدة : آية ١١٦ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٤٣ .

(٦) الحديد : آية ١٦ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٨) الأنبياء : آية ٨٠ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٥١ .

وقد يفيد الاستفهام عدة معان أو أغراض وهذه المسألة بينها أبو السعود في تفسيره في مواطن عدة ، فمن هذه الأغراض أو المعاني المتداخلة عند أبي السعود :

١- **التعظيم والتعجيب** : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾ (١) ، فهو : "استفهام تعظيم وتعجيب ، أي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف" (٢) .

٢- **التوبيخ والتقريع والتهكم** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ** ﴾ (٣) ، جاء : "بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم ، أي لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم تزعمون في الدنيا ، وتأخير السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجُّز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعاً وتأثيراً" (٤) .

٣- **التقريع والإلزام والتبكيت** : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** ﴾ (٥) ، فهذا : "من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والإلزام والتبكيت بين الأمر بالاختيار وبين الأمر بدخولهم جهنم والعهد هو الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأوامر والنواهي والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم عبّر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل" (٦) .

٤- **التقبيح والتشنيع والتعجيب** : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْداً إِذَا صَلَّى** ﴾ (٧) ، فهو : "تقبيح وتشنيع لحاله وتعجب منها وإيذان بأنها

---

(١) القمر : آية ١٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٦٨ .

(٣) الصافات : آية ٢٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٢٣ .

(٥) يس : آية ٦٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٠٧ .

(٧) العلق : آية ٩ ، ١٠ .

من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من تأتي منه الرؤية ويقضي منها العجب" [١] .

٥- **التحقير والتهكم والاستهزاء** : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً** ﴾ [٢] قال أبو السعود : "أي يستهزئون بك قائلين أهذا الذي الخ والإشارة للاستحقار وإيراز بعث الرسول عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء" [٣] .

٦- **التقرير والتوبيخ والتعجيب** : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ** ﴾ [٤] ، "والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب [٥] .

٩- النداء وأغراضه البلاغية

النِّداء والنُّداء : الصوت مثل الدعاء والرغاء وقد ناداه ونادى به وناداه مناداةً ونداءً أي صاح به [٦] .

وفي اصطلاح البلاغيين : "طلب الأمثال بحرف نائب مناب أدعو" [٧] أو كما قال العلوي : "ومعنى النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك" [٨] .

تحدث أبو السعود في تفسيره عن موضوع النداء وعرض الأغراض البلاغية التي تستفاد من النداء ومن هذه الأغراض :

التعجب والاستغراب : كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً** ﴾ [٩] قال أبو السعود : "أي عظيماً بديعاً منكراً أو جئت مجيئاً عجيباً عبّر عنه بالشيء تحقيقاً للاستغراب" [١٠] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٥٠ .

(٢) الفرقان : آية ٤١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٤ .

(٤) البقرة : آية ٤٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٩٢ .

(٦) لسان : (ندى) .

(٧) الإيضاح للقزويني ، ج٣ ، ص ٩١ .

(٨) الطراز ، ج٣ ، ص ٢٩٣ .

(٩) مريم : آية ٢٧ .

(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٣٨ .

التحذير : مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً** ﴾ (١) ، فهو : "تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتُلي به معبوده من العذاب الفظيع" (٢) .

التوبيخ : ويظهر ذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ** ﴾ (٣) ، أوضح أبو السعود فائدة النداء فقال : "كرّر نداءهم إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه" (٤) .

الاهتمام والتشريف : فقد خاطب الله رسوله بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** ﴾ أو ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** ﴾ كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** ﴾ (٥) ، فقد جاء النداء للاهتمام بشأن الرسول وتعظيمه ، وقال أبو السعود : "في ندائه عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانته والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه" (٦) .

الاستهزاء : وقد يفيد النداء التهكم والاستهزاء كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾ (٧) ، "فقد خاطبوا به رسول الله ﷺ لا تسليماً لذلك واعتقاداً له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام وإشعاراً بعلة الحكم الباطل في قولهم ﴿ **إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾ " (٨) .

التخصيص : كما يفيده قوله تعالى :﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى** ﴾(٩) ،"أي إذا كنتما رسولي ربكما فأخبراني مَنْ ربكما الذي أرسلكما وتخصيص النداء بموسى

---

(١) مريم : آية ٤٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٤٣ .

(٣) غافر : آية ٤١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٢٠ .

(٥) الأحزاب : آية ١ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٠٨ .

(٧) الحجر : آية ٦ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٧ .

(٩) طه : آية ٤٩ .

عليه السلام مع توجيه الخطاب إليهما لما أنه الأصل في الرسالة وهارون وزيره"[١] .

الدعاء : كما في قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ** ﴾ [٢] ، قال أبو السعود : "وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للإيذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة والنشاط والمراد بالنداء الدعاء" [٣] .

التحسر والتلهف : مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [٤] ، قال أبو السعود : "فإن المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون أو قد تلهّف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جُوِّز أن يكون تحسراً عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم والمنادى محذوف" [٥] .

عاشراً : القصر

القصر : الحبس ، وفي القرآن : ﴿ **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾ أي محبوسات فيها ، **والقصر** : كفُّك نفسك عن أمر وكفها من أن تطمح به غَرْبَ الطمع [٦] .

وفي اصطلاح البلاغيين : "هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص" [٧] ، أو كما قال السيوطي : "إما الحصر ويقال له القصر ، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ، ويقال أيضاً : إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه" [٨] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٨٤ .

(٢) آل عمران : آية ١٩٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٨٥ .

(٤) يس : آية ٣٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٩٧ .

(٦) لسان : (قصر) .

(٧) التلخيص في علوم البلاغة ، ص ١٣٧ ، والإيضاح ، ج٣ ، ص ٤ .

(٨) الإتقان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص ١٤٩ .

تحـــدث أبو السعود عن موضوع القصر كغرض من أغراض التقديم وبين إفادته كتقديم المسند على المسند إليه وتقديم المفعول وتقديم الجار والمجرور .

ومن ذلك قوله تعالـــى : ﴿ **كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** ﴾ [١] ، فقد بين أبو السعود فائدة الـــتقديم فقـــال : "جملة قُدِّم فيها الخبر للقصد إلى القصر وذلك إشارة إلى الحياة المســـتفادة مـــن الإحياء وما فيه من معنى البعد للإشعار ببُعد رتبتها أي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها" [٢] .

وكذلـــــك فـــي قولـــه تعالـــى : ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَـــاءُ** ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "وأصـــل التقديـــر : يضل الله من يشاء ويهدي مـــن يشـــــاء إضـــلالاً وهدايـــة كائنين مثـــل ما ذكـــر من الإضـــلال والهداية فحـــذف المصـــدر وأقيـــم وصفـــه مقامه ثم قُدم على الفعل لإفادة القصر فصار الـــنظم مـــثل ذلـــك الإضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله ويهدي من يشاء هدايته" [٤] .

ونـــرى أن أبـــا السعود قـــد بيـــّن فائـــدة التقديم في قوله تعالى : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [٥] عندما قدّم المسند على المسند إليه فقال : "والمعنى أنّ دينكم الذي هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي أيضاً كمـــا تطمعون فيه فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة فإن ذلك من المحالات وأن ديني الذي هـــو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجـــاوزه إلى الحصـــول لكـــم أيضـــاً لأنكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم أو استلامي إياها ولأن ما وعدتموه عين الإشراك وحيث كان مبنى قولهم : تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر إفراد حتماً ويجوز أن يكون هذا تقريراً لقوله تعالى : ﴿ **وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ** ﴾

---

(١) ق : آية ١١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٢٤ .

(٣) المدثر ، آية ٣١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٣١ .

(٥) الكافرون : آية ٦ .

أي ولي ديني لا دينكم" [١] .

ومن فائدة التقديم للقصر التأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُم** ﴾ [٢] ،"وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد" [٣] .

وقد أوضح أبو السعود فائدة القصر في قوله تعالى عند حديثه عن التقديم : ﴿ **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ** ﴾ [٤] ، فقال : "والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين" [٥] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [٦] ، "أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي لا جزاء ولا نقص فيه" [٧] .

وأوضح الفائدة من القصر من تقديم خبر كان في قوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُم** ﴾ [٨] بقوله : "وتقديم خبر كان للقصر المقيّد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه" [٩] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [١٠] ، قال أبو السعود : "وتقديم المفعول لإفادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم" [١١] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٨٠ .

(٢) آل عمران : آية ٥٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٧٦ .

(٤) طه : آية ٩٩ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٧ .

(٦) الأنبياء : آية ٢٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٣٣.

(٨) النساء : آية ٩٤ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٨١ .

(١٠) الأعراف : آية ١٦٠ .

(١١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤١ .

وقــد تحدث أبو السعود عن القصر "بإنما" كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [1] بقوله : "أي ما يوحى إليّ إلا أنه لا إله لكم إلا واحــد لأنــه المقصود الأصلي من البعثة وأما ما عداه فمن الأحكام المتفرعة علــيه ، فإنما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك : إنما يقوم زيد أي ما يقوم إلا زيــــد ، والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك : إنما زيد قائم أي ليس له إلا صفة القيام" [2] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ** ﴾ [3] "أي شيئاً من الأشياء أو لا أفعل الإشراك به والمراد قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر مطلقاً على عبادته تعالى خاصة أي قل لهم إنما أمرت فيما أنزل إلي بعبادة الله وتوحيده" [4] .

ومــثله قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي** ﴾ [5] ، قال : "أي من غير أن يكون لي دخل ما في ذلك أصلاً على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه للقصر المستفاد من كلمة (إنما) إلى نفس الفعل بالنســبة إلى مقابله الذي كلفوه إياه عليه الصلاة والسلام لا على معنى تخصيص اتــباعه عليه الصلاة والسلام بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال" [6] .

وقــد ناقش أبو السعود هذه القضية أيضاً في قوله تعالى : ﴿ **وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [7] عندما تحدث عن الاستثناء والنفي فقال : "لا علــى معنى تخصيص اتباعه ﷺ بما يوحى إليه دون غيره بتوجيه القصر إلى

---

(١) الأنبياء : آية ١٠٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٦١ .

(٣) الرعد : آية ٣٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٦٣ .

(٥) الأعراف : آية ٢٠٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٧١ .

(٧) الأنعام : آية ٥٠ .

المفعـــول بالقـــياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصـــر إلى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الأصل والإثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلـــى ما يغايره من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معاً في خصوصه فإن ذلـــك غـــير ممكن قطعاً بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال الخاصة كنَصَر مثلاً معـــنـــاه فَعَل النصر ، يرشدك إلى ذلك قولهم : فلان يعطي ويمنع ، بمعنى يفعل الإعطاء والمنع .

فمـــورد القصـــر فـــي الحقـــيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي إلى الأصل والإثـــبات إلى القيد كأنه قيل : ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إليّ من غير أن يكون لـــي دخـــل ما في الوحي أو في الموحى بطريق الاستدعاء ، أو بوجه آخر من الوجوه أصلاً" [١] .

وقد بيـــّن أبو السعود هذه المسألة في قوله تعالى : ﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ آية ١٥ سورة يونس ، آية ٩ سورة الأحقاف [٢] .

وقد تحدث أبو السعود عن بعض أنواع القصـــر كمـــا فـــي قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "أي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالاً أو اشتراكاً فالقصر ينتظم القلب والإفـــراد إلا أنّ الأنســـب بحال المخاطبين قصر الإفراد كمـــا يؤذن به قولـــه تعالـــى : ﴿ **وَقَـــالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ (النحل: ٥١)" [٤] .

وكذلـــك تحدث أبو السعود عن القصر بالاستثناء والنفي في قوله تعالى : ﴿ **وَمَـــا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** ﴾ [٥] ، فقال : "والقصر قلبي ،

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٨٦ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٢١ ، ج٦ ، ص ٦٩٠ .

(٣) النحل : آية ٤٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٦٧ .

(٥) آل عمران : آية ١٤٤ .

فإنهم لما انقلبـــوا على أعقابهـــم فكأنهم اعتقدوا أنه عليه الصلاة والسلام رسول لا كســـائر الرســـل في أنه يخلو كما خَلَوْا أو يجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمســـك بدينهم بعدهم فَرُدَّ عليهم بأنه ليس إلا رسولاً كسائر الرسل فسيخلو كما خَلَـــوْا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل : هو قصر إفراد فإنهم لما استعظموا عدم بقائه عليه الصلاة والسلام لهم نُزّلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه عليه الصلاة والسلام وصفين : الرسالة والبعد عن الهلاك فرُدّ علـــيهم بأنه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ مـــن جعـــل قوله تعالى : ﴿ **قَدْ خَلَتْ** ﴾ الخ كلاماً مبتدأ مسوقاً لتقرير عدم براءته علـــيه الصـــلاة والسلام من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وأياً ما كان فالكلام يخرج على خلاف مقتضى الظاهر" [١] .

كما أوضح أبو السعود نوع القصر في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـــهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ** ﴾ [٢] ، "أي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره ، قصر قلب أو قصر إفراد فإن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منها خلق لجميع أفراد البشر منها لما مرّ مراراً من أن خلقته عليه الصلاة والسلام لم تكـــن مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منطوياً على خلق جميع ذرياته التي ستوجد إلى يوم القيامة انطواءً إجمالياً" [٣] .

الحادي عشر : الإيجاز والإطناب

أولاً : الإيجاز : " وَجـــزُ الكلام وجـــازةً ووجزاً ، وأوجز قلّ في بلاغه وأوجزه اختصـــره ويقـــال : أوجز فلان إيجازاً في كل أمر وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف مقتصر" [٤] .

وفـــي اصـــطلاح البلاغيين : الإيجاز : "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى وإذا كان المعنى يمكن أن يُعبَّر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز" [٥] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤١ .

(٢) هود : آية ٥٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٢٧ .

(٤) لسان : (وجز) .

(٥) النكـــت فـــي إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق د. محمد زغلول سلام محمد خلف الله ، دار المعارف ، ط٣ .

وقــد ذكر أبو السعود مواضع للإيجاز في تفسيره وخاصة الحذف ، وهذا واضــح في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [١] ، قال أبــو السعود أن هذه الجملة معطوفة على جملة محذوفة للإيجاز ، والإشعار بأنه أمــر محقق غنيٌ عن التصريح به ، أي فظلموا بأن كفــروا بتلــك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك" [٢] .

– ومــن الحــذف قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ** ﴾ [٣] ، فقال أبو السعود عــن جواب لمّا : "والجواب محذوف للإيجاز والأمن من الإلباس كأنه قيل : فلما أضــاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في إحيائها" [٤] .

– وكذلــك في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ** ﴾ [٥] ، "فجواب لمّا محذوف إيذاناً بظهــوره وإشــعاراً بــأن تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الأذية ما فعلوا" [٦] .

– ومــن الإيجــاز قولــه تعالى : ﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى** ﴾ [٧] ، "قال : أي فــرعون بعدما أتياه وبلّغاه ما أمروا به وإنما طوي ذكره للإيجاز والإشعار بأنهما كما أمرا بذلك سارعا إلى الامتثال به من غير تلعثم وبأن ذلك من الظهور بحيث لا حاجة إلى التصريح به" [٨] .

– وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا الــنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [٩] ، قال أبو السعود : "فإن لم تفعلوا ، أي ما أمرتم به من

---

(١) الأعراف : آية ١٦٠ ، البقرة : آية ٥٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٣٧ ، ج٣ ، ص ٤١ .

(٣) البقرة : آية ١٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٧٠ .

(٥) يوسف : آية ١٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٧١ .

(٧) طه : آية ٤٩ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٨٤ .

(٩) البقرة : آية ٢٤ .

الإتـــيان بالمـــثل بعدمـــا بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهـــود وإنمـــا لم يصرح به إيذاناً بعدم الحاجة إليه وإنما أورد في حيز الشرط مطلـــق الفعـــل وجعـــل مصدر المأمور به مفعولاً له للإيجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير" (١) .

- وأيضاً الإيجاز في قوله فاتقـــوا النار وذلك كناية عن الاحتراز من العناد ، فقد ذكر فيه أبو السعود نوعاً من الإيجاز فقال : "وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى حيـــث كـــان الأصـــل ، فإن لم تفعلوا فقد صحّ صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لـــزومكم العـــناد وترككم الإيمان به سبباً لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار" (٢) .

- ومـــن الحذف قوله تعالى : ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّـــتَهُمْ** ﴾ (٣) والمعـــنى : "لن ترضى عنك اليهود ولو خلّيتهم وشأنهم حتى تتبع ملـــتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فأُوجز النظم ثقة بظهور المـــراد وفـــيه من المبالغة في إقناطه عليه السلام من إسلامهم ما لا غاية وراءه فـــإنهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاّهم يفعلون ما يفعلون ، بل أملّوا مـــنه ﷺ مـــا لا يكـــاد يدخل تحت الإمكان من اتباعـــه عليه السلام لملتهم فكيف يُـــتوهم اتباعهم لملته عليـــه السلام ؟ وهذه حالتهم في أنفسهم ومقالتُهم فيما بينهم وأما أنهم أظهروا للنبي ﷺ وشافهوه بذلك فقالوا : لن نرضى عنك ولو بالغتَ في طلـــب رضـــــانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه" (٤) .

وقد أوضح أبو السعود موطن الإيجاز والحذف فيما ذكر في بعض الآيات تعويـــلاً على ما ذكر في آيات أخرى من سور أخرى وخاصة في محاورة إبليس فقـــد قـــال الله تعـــالـــى : ﴿ **قَـــالَ أَنْظِرْنـــــي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنـــكَ مِنَ**

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٩١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٩٢ .

(٣) البقرة : آية ١٢٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٩٠ .

الْمُنْظَرِينَ ﴾ [1] فقد بين أبو السعود ذلك فقال : "وقد تُرك التوقيت للإيجاز ثقة بما وقع في (سورة الحجر) و(سورة ص) كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلاً على ما ذكر فيهما" [2] .

فقد ذكر الله الآيات ألا وهي : ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ** ﴾ [3] .

ومن ألوان الحذف قوله تعالى : ﴿ **وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ [4] ، فهذه الجملة : "عطف على جملة قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وإيذاناً بأنها غنية عن الذكر أي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب" [5] .

– وكذلك الحذف في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [6] فهذه تتكرر في كثير من السور ، وقال أبو السعود : "والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي ألا تلاحظون فلا تعقلون" [7] .

– ومثل قوله تعالى : ﴿ **فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَه** ﴾ [8] ، "الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال :

قالوا خراسانُ أقصى ما يُراد بنا ثم القُفولُ فقد جئنا خراسانا

أي إن كان الأمر كذلك فلن يخلفه" [9] .

– وكحذف المضاف في قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ [10] ، "أي لحساب يومٍ أو لجزاء يومٍ حُذف المضاف وأقيم مقامه المضاف إليه تهويلاً له وتفظيعاً لما يقع فيه" [11] .

---

(١) الأعراف : آية ١٤ ، ١٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٨١ ، ج٤ ، ص ٢٠ ، ج٥ ، ص ٣٧٤ .

(٣) ص : آية ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، الحجر : آية ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) النساء : آية ٤٩ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤٨ .

(٦) البقرة : آية ٧٦ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٥٢ .

(٨) البقرة : آية ٨٠ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٥٦ .

(١٠) آل عمران : آية ٩ .

(١١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٣٨ .

- وكذلك الحذف في قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [1] ، قال أبو السعود : "(فعدة) أي فعليه صومُ عدةِ أيام المرض والسفر ، (من أيام أخر) إنْ أفطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور" [2] .

- ومثل الجملة التي تحذف قبل الفاء الفصيحة المعطوفة عليها مثل قوله تعالى : ﴿ **إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً** ﴾ [3] ، "فالفاء في قوله عز وجل (فقالوا) فصيحة أي أعثرناهم عليهم فرأوا فماتوا فقالوا أي قال بعضهم (ابنوا عليهم) أي على باب كهفهم" [4] .

- من الحذف قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [5] ، قال أبو السعود : "(إني عامل) أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده" [6] .

وقبل أن ننتقل إلى موضوع "الإطناب" نقف عند هذه الآية التي يذكر فيها أبو السعود نكتة بلاغية تجمع بين الإيجاز والإطناب ألا وهي قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾ [7] ، قال أبو السعود : "هذا وفي إيراد الشرطية الأولى بكلمة "إنْ" المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة "إذا" المنبئة عن تحقق وقوع الأمن وكثرته ، مع الإيجاز في جواب الأولى ، والإطناب في جواب الثانية ، المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيهما منزلة مقام وقوع الأمر تنزيلاً مستدعياً لإجراء مقتضى المقام الأول في كل منهما مجرى

---

(١) البقرة : آية ١٨٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٤١ .

(٣) الكهف : آية ٢١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٨١ .

(٥) الزمر : آية ٣٩ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٩٦ .

(٧) البقرة : آية ٢٣٩ .

مقتضـــــى المقـــــام الثانـــي مـــن الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لأولي الأبصار" [١] .

ثانياً : الإطناب

"أطنـــب في الكلام بالغ فيه وأطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد وأطنب في الكلام إذا أبعد وأطنب الإبل إذا تبع بعضها بعضاً في السير" [٢] .

وفـــي اصطلاح البلاغيين : الإطناب : "تطويل اللفظ والمعنى جميعاً للمبالغة في الإفهام" [٣] .

والإطناب له صور متعددة منها :

١- **التفصـــيل بعد الإجمال** : التفصيل : الفصل بَوْنٌ بين الشيئين وفصّلتُ الوشاح إذا كـــان نظمه مفصلاً بأن يجعل بين كل لؤلؤتين مرجانة أو شذرة أو جوهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد والتفصيل التبيين [٤] .

والتفصـــيل عـــند أبـــي الإصبع المصري "الشرح والتفسير وقد قسّمه إلى متصل ومنفصـــل والمتصل منـــه كـــل كـــلام وقـــع فيه أمّا وإمّا والمتصل هو مـــا يأتـــي مجمله في ســـورة ومفصلـــه في أخـــرى أو في مكانين مفترقين من سورة واحدة" [٥] .

وقـــد بيّـــن أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُـــوهٌ فَأَمَّـــا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [٦] ، فقال : "تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليها إجمالاً" [٧] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) لسان : (طنب) .

(٣) الإكسير في علم التفسير ، ص ٢٣٤ .

(٤) لسان : (فصل) .

(٥) بديع القرآن ، ص ١٥٤ ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

(٦) آل عمران : آية ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٥ .

وأحـــياناً يجمع أبو السعود بين التفصيل والتقسيم ، والتقسيم من "قسّم جزّأ والتقسيم هو التجزئة والتفريق" [١] .

قال ابن أبي الإصبع المصري : "وصحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً" [٢] .

وقد بيـــّن أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** ﴾ [٣] ، فقال : "وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه إلى ما يوصل إليها فـــي حالَيْه جميعـــاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه" [٤] .

كمـــا تحدث عن التفصيل والتقسيم في قوله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَـــدَقُوا مَـــا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ** ﴾ [٥] ، فقال : "تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين" [٦] .

وقـــد يترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل اكتفاء بذكر جزاء أحدهما وقد أوضـــح أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُـــمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** ﴾ [٧] .

"فقـــد تـــرك ذكـــر أحد الفريقين في التفصيل مع عموم الخطاب لهما اعـــتمـــاداً علـــى ظهـــور اقتضـــاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل" [٨] .

---

(١) لسان : (قسم) .

(٢) تحرير التحبير ، ص ١٧٣ ، وانظر البرهان للزركشي ، ج٣ ، ص ٤٧١ .

(٣) الإنسان : آية ٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٤٠ .

(٥) الأحزاب : آية ٢٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢١٨ .

(٧) النساء : آية ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٢٨ .

٢- **التفسير بعد الإبهام أو "الإيضاح بعد الإبهام"** : وقد اختلف علماء البلاغة في تعريف المصطلح . قال ابن الأثير : "وأما التفسير بعد الإبهام فإن المبهم مُقدَّم أولاً وهو أن يذكر شيء يقع عليه محتملات كثيرة ثم يفسر بإيقاعه على واحد منها" (١) .

وقد ذكر ابن أبي الإصبع المصري أنّ الإيضاح : "وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه" (٢) .

ثم فرّق بين الإيضاح والتفسير بقوله : "والفرق بين الإيضاح والتفسير : أن التفسير تفصيل الإجمال والإيضاح رفع الإشكال لأن المفسر من الكلام لا يكون فيه إشكال البتة" (٣) .

وقال القرطاجني في تعريف تفسير الإيضاح : "إرداف معنى فيه إبهام ما بمعنى مماثل له إلا أنه أوضح منه" (٤) .

وقد تحدث أبو السعود عن الإيضاح بعد الإبهام عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ** ﴾ (٥) ، فقال : "بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها" (٦) .

كما أوضح أبو السعود هذه المسألة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ** ﴾ (٧) ، وذلك بقوله : "ذكرى الدار بيان للخالصة بعد إبهامها للتفخيم أي تذكر للدار الآخرة دائماً فإن خلوصهم في الطاعة بسبب تذكر لها وذلك مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك إلا في الآخرة وإطلاق الدار للإشعار بأنها

---

(١) المثل السائر ، ج٢ ، ص ٢٥ .

(٢) تحرير التحبير ، ص ٥٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

(٤) منهاج البلغاء ، ص ٥٧ ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ، ١٩٦٦م .

(٥) غافر : آية ٣٦ ، ٣٧ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٢٠ .

(٧) ص : آية ٤٦ .

الدار الحقيقية وإنما الدنيا معبر" [١] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ** ﴾ [٢] ، قال أبو السعود : "وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالأمر والإشارة إليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وإبهامه أولاً ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على فخامة الأمر وفظاعته" [٣]

٣- **عطف العام على الخاص** : قال الزركشي : "وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ" [٤] ولكن السيوطي أتم ذلك فقال : "وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وأفرد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه" [٥] .

وقد ذكره أبو السعود من خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ [٦] ، وذلك بقوله : "إنْ أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص والمثاني بيان للسبع ، وهي الفاتحة من التثنية ، وهي التكرير لأنها تكرر قراءتها في الصلاة ، أو من السور ، فَوَجْهُ كونها من المثاني أنّ كلاً من ذلك تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواعظه" [٧] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [٨] ، "فقد عمّهم بالدعاء إثر ما خص به من يتصل به نسباً ودِيناً" [٩] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٦٦ .

(٢) الحجر : آية ٦٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٨ .

(٤) البرهان ، ج٢ ، ص ٤٧١ .

(٥) الإتقان ، ج٣ ، ص ٢١٣ .

(٦) الحجر : آية ٨٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٢ .

(٨) نوح : آية ٢٨ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣١٢ .

٤- **عطف الخاص على العام** : قال الزركشي : "فيؤتى به معطوفاً عليه بالواو للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات" (١) .

وقد أظهر أبو السعود ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ** ﴾ (٢) ، فقال : "وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وإنافته" (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ (٤) ، وقد أوضح أبو السعود ذلك : "مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لإظهار فضلهما وعلوهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام" (٥) .

٤- **الاعتراض** : ومن صور الإطناب الاعتراض "وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكته" (٦) .

وقد أظهر أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ** ﴾ (٧) ، "وذواتا أفنان" : "صفة (لجنتان) وما بينهما اعتراض وسِّط بينهما تنبيهاً على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ" (٨) .

وأحياناً يؤتى بالاعتراض في نهاية الجملة أو في آخر الكلام وقد أظهر أبو السعود ذلك كثيراً في تفسيره ، ومثال ذلك حديثه عنه في قوله تعالى :

---

(١) البرهان ، ج٢ ، ص ٤٦٤ ، الإيضاح ، ج٣ ، ص ٢٠٠ .
(٢) الأنبياء : آية ٧٣ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٤٨ .
(٤) آل عمران : آية ١٠٤ .
(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤ .
(٦) الإيضاح ، ج٣ ، ص ٢١٤ .
(٧) الرحمن : آية ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .
(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٨١ .

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [١] ، قال : "وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرّهم وعلنهم" [٢] .

٥- **الإطناب "بالتكرير"** : ومن صور الإطناب التكرير ، قال القزويني : "وإما بالتكرير لنكته كتأكيد الإنذار" [٣] ، وقد بين أبو السعود ذلك في مواطن كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [٤] ، قال : "وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية" [٥] ، وقد سمّاه أبو عبيدة : "مجاز المكرر للتوكيد" [٦] .

٦- **التذييل** : "وهو من صور الإطناب ، والتذييل : الذيل : آخر كل شيء وذيّل فلان ثوبه تذييلاً أي طوّله" [٧] ، قال السيوطي : "وهو أنْ يؤتى بجملة عقب جملة ، والثانية تشتمل على المعنى الأول ، لتأكيد منطوقه ، أو مفهومه ، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه" [٨] .

وقد تحدث أبو السعود كثيراً في تفسيره عن التذييل وذكره في كثير من المواطن أثناء شرحه للآيات القرآنية ومثال على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٩] ، قال أبو السعود : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تذييل مقرر لما قبله ، أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم" [١٠] .

---

(١) التغابن : آية ٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٥٥ .

(٣) الإيضاح ، ج٣ ، ص ٢٠٠ .

(٤) فاطر : آية ٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧٢ .

(٦) مجاز القرآن ، ج١ ، ص ١٢ ، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م .

(٧) لسان : (ذيل) .

(٨) الإتقان ، ج٣ ، ص ٢٢١ .

(٩) الحجرات : آية ١٦ .

(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٢٠ .

٧- **التعليل** : وهو : "من علّله بطعام وحديث ونحوهما شغله بهما يقال فلان يعلل نفسه بتعلَّة وتعلل به أي تلهى به" (١) .

"وهو أنْ يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدّم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة أنْ تقدّم على المعلول" (٢)

وقــد جعله السيوطي من صور الإطناب ، وذلك بقوله : "وفائدته التقرير والأبلغية .

فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها وغالب التعليل في القــرآن علــى تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة وحروفه : اللام وإنّ وأنّ ، وإذ والباء وكي ومن ولعلّ" (٣) .

وقــد بيّن أبو السعود ذلك في تفسيره وتحدث كثيراً عن التعليل ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ (٤) ، فقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أي يفعل البتة كل ما يريده من الأفعــال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها إثابة من آمن به وصدّق رسوله وعقاب من أشرك به وكذب برسوله عليه السلام" (٥) .

الثاني عشر : النعت وأغراضه البلاغية

الوصـــف : وصــف الشــيء له وعلــيه وصفاً وصفةً : حلاّه ، وقال الليث : الوصف : وصفك الشيء بحليته ونعته ، وتواصفوا الشيء من الوصف (٦) .

و"الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات" (٧) .

---

(١) لسان : (علل) .

(٢) تحرير التحبير ، ص ٣٠٩ .

(٣) الإتقان ، ج٣ ، ص ٢٢٤ .

(٤) الحج : آية ١٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ٣٧٢ .

(٦) لسان : (وصف) .

(٧) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص ١١٨ ، تحقيق كمال مصطفى ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

ومن هذه الفوائد والمعاني البلاغية للنعت :

- **المدح** : كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ** ﴾ [١] ، قال أبو السعود : "ووصف الرسول بقوله (النبي الأمي) لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين" [٢] .

- **التوضيح والتفسير** : كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً** ﴾ [٣] ، وقد بين أبو السعود ذلك فقال : "الهلع سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مس الخير ، وقد فسّره أحسن تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ** ﴾ أي الفقر والمرض ونحوهما (جزوعاً) أي مبالغاً في الجزع مُكثراً منه ، ﴿ **وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ** ﴾ أي السعة والصحة (منوعاً) مبالغاً في المنع والإمساك . والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جُبل الإنسان عليها" [٤] .

- **التعميم والشمول** : كما يفيد الوصف في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ** ﴾ [٥] ، وقد أوضح أبو السعود ذلك بقوله : "كلام مستأنف لبيان كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية ، ومن متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل : وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى : ﴿ **وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ** ﴾ مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد" [٦] .

---

(١) الأعراف : آية ١٥٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٠ .

(٣) المعارج : آية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٠٢ .

(٥) الأنعام : آية ٣٨ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

- **إثبات الوحدانية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [١] ، "وإنما ذُكر العدد مع أن صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على أن مساق النهي هو الاثنينية وأنها منافية للألوهية كما أنّ وصف الإله بالوحدة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية وأنها من لوازم الإلهية" [٢] .

- **الترغيب والندب** : كما في قوله تعالى : ﴿ **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا** ﴾ [٣] ، فقد بين أبو السعود فائدة الوصف في قوله تعالى : ﴿ **يُوصِي بِهَا** ﴾ بقوله : "وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب إليها" [٤] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا** ﴾ [٥] ، فقد أوضح أن قوله تعالى : ﴿ **يُوصِينَ بِهَا** ﴾ "صفة لوصية وفائدتها ما مرّ من ترغيب الميت في الوصية وحثّ الورثة على تنفيذها" [٦] .

- **الاستعظام** : وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِم** ﴾ [٧] ، فقوله : ﴿ **تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِم** ﴾ : "صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها وإسناد الخروج إليها من أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها" [٨] .

- **إزالة الشك أو الاحتمال** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ [٩] "أي من كل نوع لا بد منه في الأرض والزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للأنثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما

---

(١) النحل : آية ٥١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٦٩ .

(٣) النساء : آية ١١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٠٥ .

(٥) النساء : آية ١٢ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٠٦ .

(٧) الكهف : آية ٥ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٦٨ .

(٩) سورة هود : آية ٤٠ .

فـيقابل الفـــرد ولإزالة الاحتمال قيـل : (اثنين) كل منهما زوج للآخر وقريء على الإضافة" [١] .

- **التأكـيد** : وقـد يفـيد الوصـف التأكيد كما في قولـه تعالى : ﴿ **ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ** ﴾ [٢] ، قـال أبو السعود : "إمّا تأكيد لنسبة القول المذكور إليهم ونفي الـتجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان من غير أن يكون له مصداق في الخارج" [٣] .

وكمـا في قوله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ** ﴾ [٤] ، قال أبو السعود "هو تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك : كتبتُه بيميني" [٥] .

وقـد يوصـف الموصـوف بعدة صفات ولكنه يقدم إحداها لأنها أبلغ في الوصـف كمـا في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ** ﴾ [٦] ، فقد بين أبو السعود السر من تقديم الصفة الأولـى بقولـه : "تقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر" [٧] .

وكذلـك فـي قولـه تعالى : ﴿ **مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً** ﴾ [٨] "وسط بينهما العاطف لتنافيهما" [٩] ، فهنا جاءت الـواو العاطفـة بين الاسمين الأخيرين لتناقضهما فلا يجتمعان لأنهما متضادان ومختلفان .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣١٣ .
(٢) التوبة : آية ٣٠ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٤١ .
(٤) البقرة : آية ٧٩ .
(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٥٥ .
(٦) القلم : آية ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٨٦ .
(٨) التحريم : آية ٥ .
(٩) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ٢٦٨ .

الثالث عشر : التوكيد وأغراضه البلاغية

التوكـــيد : "أكّـــد العهـــد والعقد لغة في وكّده والتأكيد لغة في التوكيد وقد أكّدتُ الشيء ووكدته" (١) .

قـــال العلوي : "التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده" (٢) .

لقـــد تحدث أبو السعود في تفسيره عن التوكيد وبين الأغراض البلاغية له ومن هذه الأغراض :

- **الـــتهويل** : مثل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ (٣) ، فقـــد أوضـــح أبو السعود أن هذا النوع من التوكيد : "تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائـــرة علـــوم الخلق على معنى أن عِظَم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها" (٤) .

- **الإحاطـــــة** : مـــثل قولـــه تعـــالى : ﴿ **فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** ﴾ (٥) ، والمعـــنى : "لـــم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ، ولكن شاع استعماله تأكيداً ، وأقيم مُقام كلّ في إفادة معنى الإحاطة من غير نظر إلى الكمال" (٦) .

- **دفع توهم المجاز** : كقوله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ** ﴾ (٧) فيقول أبو السعود : "تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك : كتبته بيميني" (٨) .

- **التحقيق** : كما في قوله تعالى : ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ** ﴾ (٩) ، "وفائدة التوكيـــد إمّا تحقيق معنى الابتلاء تهويناً للخطب ، وإمّا تحقيق وقوع المُبتلى به ،

---

(١) لسان : (آكد) .

(٢) الطراز ، ج٢ ، ص ٧٦ .

(٣) القارعة : آية ٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٦٣ .

(٥) الحجر : آية ٣٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٧) البقرة : آية ٧٩ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٥٥ .

(٩) آل عمران : آية ١٨٦ .

مبالغة في الحث على ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد" [١] .

- **التوبيخ والعتاب** : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [٢] ، فقوله تعالى : ﴿ **وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ : "حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب ، أي تؤثرونها على الآخرة والحال أنّ الآخرة خير في نفسها لما أنّ نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدي لا انصرام له" [٣] .

- **وقد يكون التوكيد للغرابة** : كما في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً** ﴾ [٤] ، "فتأكيد الفعلين بمصدريهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة ، أي موراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يُدرك كنههما" [٥] .

عناصر التوكيد وأدواته

وقد تحدث أبو السعود في تفسيره عن أدوات كثيرة للتوكيد فأحياناً يكون التكرار للتوكيد والاعتراض والحال والمصدر والالتفات وغير ذلك مما يفيد التوكيد .

فمن أدواته كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "وأياً ما كان فإيثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها ، فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية أيضاً بمعونة المقام دوام النفي لا نفي الدوام" [٧] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٧٤ .

(٢) الأعلى : آية ١٦ ، ١٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤١٧ .

(٤) الطور : آية ٩ ، ١٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٤٤ .

(٦) المائدة : آية ٣٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٦٨ .

وقـــد أظهـــر أبو السعود من فنون التوكيد في هذه الآية : ﴿ **أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [١] ، وذلك بقوله : "وفي تصدير الجملـــة بحرفـــي التنبيه والتحقيق وإظهار المضافين معاً في موقع الإضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التوكيد ما لا يخفى" [٢] .

ومـــن فنون التوكيد : التوكيد بإن واللام كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ فِي الآخِـــرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [٣] ، فقد ذكر أبو السعود ذلك بقوله : "وإيثار الاسمية لمـــا أنّ انـــتظامه فـــي زمرة صالحي أهل الآخرة أمر مستمر في الدارين لا أنه يحـــدث فـــي الآخـــرة والتأكـــيد بـــإنّ واللام لما أن الأمور الأخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها إلى التأكيد أشد من الأمور التي تُشاهد آثارها" [٤] .

وقـــد يكـــــون التوكيد بالجملة الحالية كما في قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِـــيهَا مَنْ يُفْســـدُ فِيهـــَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ [٥] ، فقد بين أبو السعود ذلك بقوله : ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ "جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجِدُّ في خدمة مولاه وهو يأمـــرُ بها غيره أتستخدم العُصاة وأنا مجتهد فيها ! كأنه قيل : أتستخلف مَنْ شأنُ ذريته الفساد مع وجود مَنْ ليس من شأنه ذلك أصلاً ؟"[٦] .

وقـــد تحـــدث أبـــو الســـعود عن التوكيد القسمي في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جَـــاءَتْهُمْ رُسُـــلُنَا بِالْبَيِّـــنَاتِ** ﴾ [٧] ، وذلـــك بقوله : "جملة أكِّدت بالتوكيد القسمي وحـــرف التحقـــيق لكمـــال العناية بتحقيق مضمونها وإنما لم يقل ولقد أرسلنا الخ للتصريح بوصـــول الرســـالة إليهم فإنه أدل على تناهيهم في العتـــوّ والمكابرة ،

---

(١) المجادلة : آية ١٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٢٠ .

(٣) البقرة : آية ١٣٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٠١ .

(٥) البقرة : آية ٣٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١١١ .

(٧) المائدة : آية ٣٢ .

أي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما أرسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيداً لوجوب مراعاته وتأييداً لتحتم المحافظة عليه" (١) .

وأحياناً يكون التوكيد بالمصدر كما في قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً** ﴾ (٢) ، فقد أوضح أبو السعود ذلك بقوله : "إما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون ، أي مفسدين أو مفعول له ، أي الفساد أو مصدر مؤكد ليسعون لأنه في معنى يفسدون على أنه مصدر من أفسد" (٣) .

وأحياناً يكون (بلن) كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ (٤) ، "فتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما" (٥) .

وقد يكون التوكيد بالسين كما في قوله تعالى : ﴿ **سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ (٦) ، فقد أوضح ذلك بقوله : "والسين لتأكيد الوعد حيث أوعد الأولون بالعذاب ووُعد الآخرون بالأجر العظيم كأنه قيل إثر قوله تعالى : ﴿ **وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾ (٧) لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم أجراً عظيماً" (٨) .

وقد يكون التوكيد بسوف كما في قوله تعالى : ﴿ **سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ** ﴾ (٩) ، قال أبو السعود : "وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإنْ تراخى" (١٠) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .
(٢) المائدة : آية ٣٣ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .
(٤) فاطر : آية ٤٣ .
(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٨٦ .
(٦) النساء : آية ١٦٢ .
(٧) النساء : آية ١٦١ .
(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٢٠ .
(٩) النساء : آية ١٥٢ .
(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢١٥ .

وقد يكون التكرير للتوكيد كما في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] ، فجاء تكرير الضمير (لهم) لزيادة التقرير والتأكيد" [٢] .

وقد يكون التوكيد بزيادة الحرف مثل قوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "أي هل خالق مغايرٌ له تعالى موجود على أنّ خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم" [٤] .

ومثله في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [٥] ، وأوضح هذين النوعين من التوكيد بقوله : "وفي زيادة كلمة (لي) مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بإبهام المشروح والميسّر أولاً وتفسيرهما ثانياً ، وفي تقديمها وتكريرها إظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به" [٦] .

وكذلك التوكيد "بقد" كما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ [٧] ، قال أبو السعود : "وكلمة (قد) لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (النور: ٦٤) ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ ﴾ (الأحزاب: ١٨) ونحوهما بإخراجها إلى معنى التكثير" [٨] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٩] ، قال أبو السعود : "وقد لإفادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل

---

(١) المائدة : آية ٤١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٧٣ .

(٣) فاطر : آية ٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧١ .

(٥) طه : آية ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٧٦ .

(٧) الأنعام : آية ٣٣ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٧٤ .

(٩) آل عمران : آية ١٠١ .

فهـو يُخْـبر عنه حاصلاً ومعنى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للندى" (١) .

الرابع عشر : البدل وأغراضه البلاغية

البدل : بـدلُ الشيء غيره والبديل البَدَل ويقال بدْل ، وبدّل الشيء وبَدَله وبديله الخلف منه وتبدّل الشـيء وتبـدل به واستبدله واستبـدل بـه : اتخذ منه بديلاً وأبدل الشيء وبدّله اتخذه بدلاً (٢) .

وفـي اصـطـلاح البلاغييـن : "الإيضـاح بعـد الإبهـام وهو يفيد البيان والتأكيد" (٣) .

تحـدث أبـو السـعود عن البدل بأنواعـه وقرنـه بعطف البيان لأنهما يشـتركان فـي التأكيـد والتفسـير والتوضيح وتحدث عن أنواع البدل والمعاني التي تستفاد منه .

١- **التوكـيد والتنصيص** : قال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَـيْهِمْ** ﴾ (٤) بدل من الأول بدل كل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصـود بالنسبة ، وفائدته التأكيد والتنصيص على أن طريق الذين أنعم الله عليهـم وهـم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهمُ عند ذكر الطريق المستقيم إلا إليه" (٥) .

٢- **المـدح** : وكذلـك فـي قوله تعالى : ﴿ **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلـنَّاسِ** ﴾ (٦) ، قـال أبو السعود : "البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك" (٧) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١١ .

(٢) لسان : (بدل) .

(٣) البرهان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ٤٥٣ .

(٤) الفاتحة : آية ٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٨ .

(٦) المائدة : آية ٩٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٢٣ .

٣- **التوضيح** : في قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾[١] ، فقوله تعالى : ﴿ **رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾ : "بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللإشعار بأن الموجب لإيمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة" [٢] .

٤- **التعميم** : ومما يفيده البدل من معنى ما ذكره أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [٣] على أنه بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصِّصٌ لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف ، أي مَنْ استطاع منهم ومَنْ شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه ، وكذا العائد إلى الناس ، أي من استطاع منهم إليه سبيلاً فلله عليه حج البيت" [٤] .

٥- **التقرير** : في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [٥] ، "صراط الله بدل من الأول وإضافته إلى الاسم الجليل ثم وصفُه لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملْكاً وتصرُّفاً مما يوجب ذلك أتم إيجاب" [٦] .

٦- **التحذير** : ويوضح أبو السعود فائدة البدل في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ** ﴾ [٧] ، "من الذين فرقوا دينهم " : "وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين" [٨] .

---

(١) الشعراء : آية ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤١ .

(٣) آل عمران : آية ٩٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٧ .

(٥) الشورى : آية ٥٢ ، ٥٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٤ .

(٧) سورة الروم : آية ٣١ ، ٣٢ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٧٦ .

٧- **التفسير والتفصيل** : في قوله تعالى : ﴿ **يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ** ﴾ (١) ، يقتلون أبناءكم "بدل من يسومونكم مبين ومفسر له" (٢) .

٨- **التعظيم** : في قوله تعالى : ﴿ **يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ** ﴾ (٣) ، زيتونة : "بدل من شجرة وفي إبهامها ووصفها بالبركة ثم الإبدال منها تفخيم لشأنها" (٤) .

٩- **التخصيص** : في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ** ﴾ (٥) ، "لمن آمن منهم بدل من الموصول بإعادة العامل بدل الكل إن كان ضمير منهم لقومه ، وبدل البعض إن كان للذين استُضعفوا على أن من المستضعفين مَنْ لم يؤمن والأول هو الوجه إذ لا داعي إلى توجيه الخطاب أولاً إلى جميع المستضعفين مع أن المجاوبة مع المؤمنين منهم على أن الاستضعاف مختص بالمؤمنين ، أي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم" (٦) .

١٠- **الدعاء** : وقد ذكر أبو السعود أيضاً من إفادة البدل في قوله تعالى : ﴿ **وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ (٧) ، من آمن منهم بالله واليوم الآخر : "بدل من أهله بدل البعض خصَّهم بالدعاء إظهاراً لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماماً بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيباً وترهيباً لقريش وغيرهم من أهل الكتاب" (٨) .

---

(١) الأعراف : آية ١٤١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٥ .

(٣) النور : آية ٣٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٦٢ .

(٥) الأعراف : آية ٧٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٥١١ .

(٧) البقرة : آية ١٢٦ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

١١- **التهويل والتأكيد** : كما في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [١] ، يوم لا ينفع مال ولا بنون : "بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيداً للتهويل وتمهيداً لما يعقبه من الاستثناء ، أي لا ينفع مال وإن كان مصروفاً في الدنيا إلى وجوه البرّ والخيرات ولا بنون وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحداً" [٢] .

الخامس عشر : العطف (الوصل والفصل)

الوصل : وصل الشيء بالشيء تصله وصلاً وصِلةً وصُلَة واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع ، **والفصل** : الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل ، وفصلتُ الشيء فانفصل ، أي قطعته فانقطع [٣] .

وفي اصطلاح البلاغيين : الوصل : عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه [٤] .

تحدّث أبو السعود في تفسيره عن العطف سواء عطف الجملة على الجملة أو عطف المفرد على المفرد وبيّن سبب ذكر حروف العطف أو تركها فمما ذكر من عطف المفرد على المفرد في قوله تعالى : ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ** ﴾ [٥] ، فقد ذكر أبو السعود أن قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ** ﴾ : "عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد والجملة عطف على الجملة السابقة ، أي ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق ، أي تمهّروا فيه من مَرَن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ، ومهر فيه ، غير أن مرد لا يكاد يستعمل إلا في الشر فالتمرُّد على الوجهين الأولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الأخير خاص بمنافقي أهل المدينة وهو الأظهر والأنسب بذكر منافقي

---

(١) الشعراء : آية ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٨ .

(٣) لسان : (وصل – فصل) .

(٤) الإيضاح ، ج٣ ، ص ٩٧ ، والتلخيص ، ص ١٧٥.

(٥) التوبة : آية ١٠١ .

أهـــل الـــبادية أولاً ثـــم ذكـــر منافقـــي الأعـــراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي أهلها" (١) .

ومـــن عطـــف الجملة على الجملة في قوله تعالى : ﴿ **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّـــهَ شَـــدِيدُ الْعَذَابِ** ﴾ (٢) ، فقد أوضح أبو السعود فائدة العطف في قوله تعـــالى : ﴿ **وَأَنَّ اللَّـــهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** ﴾ : "عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً مع القدرة عليه" (٣) .

وأيضـــاً من عطف الجملة على الجملة قوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَـــنْ تَـــابَ مَعَـــكَ** ﴾ (٤) ، فقولـــه تعالى : ﴿ **وَمَنْ تَابَ مَعَكَ** ﴾ : "معطوف على المســـتكن فـــي قولـــه : فاستقم وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة إذ المعنى وليستقمْ من تاب معك" (٥) .

وكذلـــك فـــي عطـــف الفعـــل علـــى الاســـم في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَـــرَوْا إِلَـــى الطَّيْـــرِ فَوْقَهُـــمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ** ﴾ (٦) ، فقد بيّن أبو السعود ذلك بقولـــه : "ويضممنها إذا ضربـــن بها جنوبهـــنّ حيناً فحيناً للاستظهار به على الـــتحرك وهـــو السر في إيثار يقبضن الدال علـــى تجـــدد القبض تارة بعد تارة على قابضات" (٧) .

وكذلـــك فـــي قوله تعالى : ﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّـــكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ (٨) ، ويهدي : "عطف على الحـــق عطف الفعل على الاسم لأنه في تأويله كأنه قيل : ويرى الذين أوتوا العلم

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) البقرة : آية ١٦٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٢٨ .

(٤) هود : آية ١١٢ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٥٦ .

(٦) الملك : آية ١٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٧٩ .

(٨) سبأ : آية ٦ .

لـــذي أنزل إليك الحق وهادياً" [1] ، وقد أوضح أبو السعود عطف المفرد في قوله تعـــالى : ﴿ **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً** ﴾ [2] ، فقال : "فإنّ الثانية معطوفة على الأولى عطف المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو" [3] .

وقـــد أوضـــح أبو السعود سبب عطـــف الجملـــة الاسمية على الفعلية في قولـــه تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** ﴾ [4] ، فقال : "جملة اســـمية فـــي معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لأنها في قوة أم صمتم عُدل عنها للمـــبالغة فـــي عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر والمعنى : وإن تدعوا المشركين إلى الهدى ، أي الإسلام لا يتبعوكم ... الخ" [5] .

وكذلـــك أسباب العطف بالواو كما في قوله تعالى : ﴿ **إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** ﴾ [6] ، فقد أوضح أبو السعود ذلك بقوله : "أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها نوع شبهة والعطف لتغاير الوصفين" [7] .

وعطـــف الموصـــولات في قوله تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَـــى الأَرْضِ هَوْنـــاً** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا** ﴾ [8] فقـــال : "وإعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الموصولات بطريق العطـــف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصـــول المذكـــور وصـــف جلـــيل على حياله شأن خطير حقيق بأن يُفرد له موصـــوف مســـتقل ولا يجعـــل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي" [9] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٤٧ .

(٢) الملك : آية ٢٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٨١ .

(٤) الأعراف : آية ١٩٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٦٨ .

(٦) الأنفال : آية ٤٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٠٢ .

(٨) الفرقان : آية ٦٣-٧٤ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧ .

وقد أشار أبو السعود إلى سبب الفصل والوصل في قوله تعالى : ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ (١) بقولـــه : "كلاهما على صيغة الدعاء ، أي احكم به قوتي واجعله شريكي في أمر الرســـالة حـــتى نتعاون على أدائها كما ينبغي ، وفصل الأول عن الدعاء السابق لكمـــال الاتصال بينهما فإن شد الأزر عبارة عن جعلـــه وزيـــراً ، وأما الإشراك في الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط بينهما العاطف" (٢) .

وقـــد أشـــار أبو السعود إلى العلـــة من توسط الفـــاء في قولـــه تعالى : ﴿ **وَالْعَادِيَـــاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً** ﴾ (٣) ، فأثرن به : "عطف على الفعل الذي دلّ عليه اسم الفاعل إذ المعـــنى : واللاتـــي عدون فأورين فأغرن فأثرن به ، أي فهيجن بذلك الوقت والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله :

يا لهفَ زيَّابة للحارث الصابح فالغانمِ فالآيبِ

فإنّ توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة على الإغارة المترتبة على الإيراء المترتب على العدو" (٤) .

وقد أشـــار أبو الســـعود إلـــى تـــرك العاطف في قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَـــئِذٍ نَاعِمَـــةٌ** ﴾ (٥) ، لأن ما قبلها حكاية أهل النار في قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ** ﴾ فقدم الحديث عن أهل النار ، لتهويل أمر الغاشية وتفخيم أمرها ، أمـــا هـــنا فهو حديث عن أهل الجنة وما فيها من نعيم ، فترك العاطف لاختلاف الموضـــوعين ، قـــال أبـــو الســـعود : "وإنما لم تعطف عليها إيذاناً بكمال تباين مضمونيهما" (٦) .

---

(١) طه : آية ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٧٨ .

(٣) العاديات : من آية (١-٥) .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .

(٥) الغاشية : آية ٨ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٢٠ .

ثم بيَّن دلالة عطف البيان في قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ (١) ، فقد بين معنى كلمة صديد ثم بين عطف البيان بقوله : "وهو قيح أو ورم مختلط بمدَّة يسيل من الجرح وهو عطف بيان لما أبهم أولاً ثم بُيِّن بالصديد تهويلاً لأمره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدور على أنه من أشد أنواعه" (٢) .

كما تحدث أبو السعود عن العطف التفسيري أو التفصيلي في قوله تعالى : ﴿ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٣) ، فقوله تعالى : (وقالوا) : "عطف تفسيري لاستأذنك مغنٍ عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود" (٤) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ﴾ (٥) ، فقوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ﴾ : "عطف على كذّب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير" (٦) ، وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ (٧) ، فهو : "تفسير لذلك التكذيب المبهم وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب" (٨) .

وكقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ (٩) فقد قال أبو السعود : "أي أراد ذلك بدليل الفاء والفاء لتفصيل ما فيه من الإجمال" (١٠) .

---

(١) إبراهيم : آية ١٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٧٨ .

(٣) التوبة : آية ٨٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٧٧ .

(٥) سبأ : آية ٤٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٦٥ .

(٧) القمر : آية ٩ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٦٧ .

(٩) هود : آية ٤٥ .

(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣١٧ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾ [١] ، فقد بيّن أبو السعود ذلك بقوله : "(فاستوى) عطف على علّمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم ، أي فاستقام على صورته التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك أن رسول الله ﷺ أحبّ أن يراه في صورته التي جُبل عليها وكان رسول الله ﷺ بحراء فطلع جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأرض من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله ﷺ فنزل جبريل عليه السلام في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه" [٢] .

وقد أشار أبو السعود إلى الاستئناف وما يفيده كما في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [٣] ، وذلك بقوله : "استئناف مسوق لتقرير ما فُصِّل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره" [٤] .

ومن الاستئناف التعليلي قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ** ﴾ [٥] ، فقوله تعالى : ﴿ **فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ** ﴾ : "استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجُناح ، أي فيها حقٌّ تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والرِّحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها" [٦] .

وأشار أبو السعود إلى الاستئناف التحقيقي كما في قوله تعالى : ﴿ **كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [٧] ، فقد بيّن

---

(١) النجم من آية (٥-١٠) .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٥٣ .

(٣) الغاشية : آية ١٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٢٠ .

(٥) النور : آية ٢٩ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٥٢ .

(٧) الشورى : آية ١٣ .

أبـــو الســـعود أن قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ : "استئناف وارد لتحقـــيق الحـــق وفـــيه إشعار بأنّ منهم من يجيب الدعوة ، أي الله يجتلب إلى ما تدعوهم إليه من يشاء أن يجتبيه" (١) .

السادس عشر : خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

١- **الالـــتفات** : لفـــت وجهه عن القوم إذا صرفه ، والتفت التفاتاً ، والتلفت أكثر مـــنه وتلفت إلى الشيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه ، ويقال : لفتُ فلاناً عن رأيه ، أي صرفته عنه وفيه الالتفات (٢) .

وفـــي اصطلاح البلاغيين : "هـــو الرجوع عن أسلوب من أساليب الكلام إلـــى غـــيره ومن فوائده : تطرية سمع السامع وإيقاظه للإصغاء ، فإن اختلاف الأساليب أجدر بذلك من الأسلوب الواحد" (٣) .

ذكـــر أبو السعود تعريف الالتفات أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّـــاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ (٤) ، فقال عن هذا النوع من الالتفات : "التفات من الغيبة إلى الخطـــاب وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام ، لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخَلُ فـــي اســـتجلاب الـــنفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين" (٥) .

فقـــد بيّن هنا أهمية الالتفات وتغيير الأسلوب في استجلاب النفوس وإبعاد الملل عنها وتنشيط للسامع .

وأحـــياناً يســـتعمل أبو السعود كلمة "التلوين" (٦) في الخطاب ويُطلق على تغيـــير أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر وهو أعم من الالتفات كما في قوله تعالى :

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٢ .

(٢) لسان : (لفت) .

(٣) الإكسير في علم التفسير ، ص ١٧٦ ، وانظر أسلوب الالتفات ، د. محمد نزيه فراج ، ص ٣١ .

(٤) الفاتحة : آية ٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٥ .

(٦) انظـــر مادة : (لون) المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٨٥٤ ، دار التراث العربي ، بيروت ، وانظر أمثلته في "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" لابن قيم الجوزية ، ص ٢٥٥ ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

﴿ فَـإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّه ﴾ [1] ، فقد ذكر أنّ ذلك : "تلوين للخطاب وتوجيه لـــه إلى النبي ﷺ تسلية له أي إن أعرضوا عن الإيمان بك (فقل حسبي الله) فإنه يكفيك ويعينك عليهم" [2] .

وكذلـــك في قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُـــنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِـــيَاءَ ﴾ [3] ، فقولـــه : (اتبعوا ما أنزل إليكم) : "كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وأمروا باتباع ما أمر النبي ﷺ قبل تبليغه بطريق الإنذار والتذكير وجعلهُ منزلاً إليهـــم بواســـطة إنزاله إليه عليه الصلاة والسلام إثر ذلك ما يصححه من الإنذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه" [4] .

فوائد الالتفات وأغراضه البلاغية :

العناية والاهتمام : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْـــنَا بِـــهِ ﴾ [5] ، "أي بذلك الماء والالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة" [6] .

وكما في قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ * فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ [7] ، فقد أوضـــح أبـــو السعود هذا النوع من الالتفات في قوله تعالى : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ : "التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي ، أي لا تشركوا به شيئاً والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النهي عن الإشراك به تعالى في شأن من الشؤون" [8] .

---

(١) التوبة : آية ١٢٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٠٤ .

(٣) الأعراف : آية ٢ ، ٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٧٣ .

(٥) فاطر : آية ٢٧ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٨٠ .

(٧) النحل : آية ٧٣ ، ٧٤ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٧٨ .

التشريف : في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا** ﴾ [١] ، قال أبو السعود : "التفات إلى الخطاب تشريفاً لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور" [٢] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ** ﴾ [٣] ، فقد أوضح أبو السعود ذلك بقوله : "أُوثر الالتفات تشريفاً لهم بإضافة الرب وإشعاراً بعلة الهداية" [٤] .

التهديد : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [٥] ، "أي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة (وإليه ترجعون) للجزاء والالتفات للتهديد" [٦] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ [٧] ، قال أبو السعود : "فإنْ تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد" [٨] .

التوبيخ والتقريع : كما في قوله تعالى : ﴿ **هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [٩] ، قال : "تلوين للخطاب وتوجيه له إليهم بطريق الالتفات إيذاناً بأن تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع" [١٠] ، وكما في قوله تعالى ﴿ **ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ** ﴾ [١١] ، "أي تبطرون وتتكبرون وتتوسعون في البطر والالتفات للمبالغة في التوبيخ" [١٢] .

---

(١) التوبة : آية ١١١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٩٦ .

(٣) يونس : آية ٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢١٥ .

(٥) الزخرف : آية ٨٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٤ .

(٧) التوبة : آية ٣ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٢٢ .

(٩) النساء : آية ١٠٩ .

(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٩٤ .

(١١) فاطر : آية ٧٥ .

(١٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٢٨ .

التحريض والتأكيد : في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [١] فقد ذكر أبو السعود أن ذلك : "خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيداً لوجوبه" [٢] .

التهويل : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ** ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "وقوله تعالى : ﴿ **فَأَهْلَكْنَاهُمْ** ﴾ تفسير لدأبهم الذي فُعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمة وأما دأب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفي في كل من التشبيهين بتفسير أحد الطرفين والالتفات إلى نون العظمة في أهلكنا لتهويل الخطب" [٤] .

التنشيط : مثل قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ [٥] ، قال أبو السعود : "من الفدية أو من تطوع في الخير أو منهما التأخير إلى أيام أخر والالتفات إلى الخطاب للهزّ والتنشيط" [٦] .

العتاب : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ [٧] ، "هذا خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب" [٨] .

التعظيم : كقوله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ [٩] ، قال أبو السعود : "ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبَّدُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والالتفات إلى

---

(١) النساء : آية ٧٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

(٣) الأنفال : آية ٥٤ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٠٥ .

(٥) البقرة : آية ١٨٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

(٧) التحريم : آية ٣ ، ٤ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٦٧ .

(٩) الإسراء : آية ١ .

التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات" [١] .

٢- **التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي** : وهذه صورة أخرى من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وهي : التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ، "وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بَعْدُ كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأنَّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها" [٢] ، وقد بيّن أبو السعود ذلك كثيراً في تفسيره وأوضح القيمة البلاغية لهذا التعبير فمن ذلك :

قوله تعالى :﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ** ﴾ [٣] فقد ذكر أبو السعود ذلك بقوله : "وإيثار صيغة الماضي بعد نسيِّر وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور أمر الجزاء" [٤] .

وكقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ** ﴾ [٥] ، فقد ذكر أبو السعود ذلك فقال : "فإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورِّث لزيادة التوبيخ والتحسير" [٦] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ** ﴾ [٧] ، والمعنى : "أي يوردهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة ، شُبِّه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وأتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه" [٨] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١١٠ .

(٢) المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٥ .

(٣) الكهف : آية ٤٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٩٤ .

(٥) يونس : آية ٢٨ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٣٤ .

(٧) هود : آية ٩٨ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٤٩ .

وكقولـــه تعـــالى : ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ (١) ، فقال : "وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرُّره" (٢) .

وكذلـــك في قوله تعالى : ﴿ **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً** ﴾ (٣) ، فقـد بين أبو السعود تلك المسألة فقـــال : "(وبرزوا لله جميعاً) أي يبرزون يوم القيامة وإيثـــار صيغـــة الماضي للدلالـــة علـــى تحقـــق وقوعـــه والمـــراد بروزهم من قبورهم لأمر الله تعالى ومحاسبته" (٤) .

وكما ذكر أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِـــي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ (٥) ، فقال : "ما يعتري الكل عـــند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات من الرعب والتهيُّب الضـــروريين وإيـــراد صـــيغة الماضي مع كـــون المعطوف عليـــه أعني ينفخ مضارعاً للدلالة على تحقق وقوعه إثر النفخ" (٦) .

٣- **التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل** : ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل ، "فالفعل المستقبل إذا أُتِي به في حالـــة الإخـــبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ؛ لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأنَّ السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي" (٧) ، وقد أوضح أبو السعود كثيراً منه أثناء تفسيره للآيات القرآنية وبين قيمته البلاغية :

---

(١) التوبة : آية ٤٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٥٦ .

(٣) إبراهيم : آية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٨٠ .

(٥) النمل : آية ٨٧ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٠٥ .

(٧) المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٢ .

مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [١] ، قال أبوالسعود : "وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بتجدد أثر الإنزال واستمراره أو لاستحضار صورة الاخضرار" [٢] .

وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ ﴾ [٣] ، "فآثر القرآن صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وأنها سنته الجارية على مر الدهور أو لاستحضار صورة الإنبات" [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ [٥] ، قال أبو السعود : "وصيغة المضارع في قوله تعالى : (فتثير سحاباً) لحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان إحداثها لتلك الخاصية ولذلك أسند إليها للدلالة على استمرار الإثارة" [٦] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً ﴾ [٧] ، فقد ذكر أبو السعود أنّ : "صيغة المضارع في قوله (نخرج منه) لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة ، أي تخرج من ذلك الخضر" [٨] .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ [٩] ، فقال : "وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدُّده

---

(١) الحج : آية ٦٣ .
(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٩٤ .
(٣) النحل : آية ١٠ ، ١١ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٦ .
(٥) فاطر : آية ٩ .
(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧٤ .
(٧) الأنعام : آية ٩٩ .
(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٢٠ .
(٩) الأنفال : آية ٥٦ .

وكونهم على نيته في كل حال ، أي ينقضون عهدهم الذي أخذته منهم" [١] .

وقد بيّن أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾ [٢] ، فقال : "أي على ما قلنا في أثناء طلب الموثِق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدي إلى تثبتهم ومحافظتهم على تذكُّره ومراقبته" [٣] .

٤- **وضع المفرد موضع المثنى** : مثل قوله تعالى : ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ** ﴾ [٤] ، قال أبو السعود : "أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ، أيْ مقاعدُ كالجليس بمعنى المجالس لفظاً ومعنى فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال :

رَمَانِي بأَمْرِ كُنْتُ منه ووالدي بريئاً ومن أجل الطَّوِيِّ رماني [٥]

ومثل قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "فأخبراني من ربكما الذي أرسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب إليهما لما أنه الأصل في الرسالة وهارون وزيره" [٧] .

٥- **وضع المثنى موضع المفرد** : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾ [٨] ، قال أبو السعود : "خطاب من الله للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال :

فإنْ تَزْجُراني يا ابنَ عَفَّانَ أنزجِرْ " [٩]

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٠٧ .

(٢) يوسف : آية ٦٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤١٢ .

(٤) ق : آية ١٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٢٥ ، الطَّوِي : البئر المطوية بالحجارة .

(٦) طه : آية ٤٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٨٤ .

(٨) ق : آية ٢٤ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

ومـــثله قولـــــه تعالـــى : ﴿ **وَقَالُـوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْـنِ عَظِيمٍ** ﴾ [١] ، "أي من إحدى القريتين مكة والطائف (عظيم) أي بالجاه والمـــال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل : حبيب بن عمـــر بـــن عمير الثقفي ، وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد يا ليل ولم يـــتفوهوا بهـــذه العظـــيمة حَسَـــدَاً على نزوله إلى الرسول ﷺ دون مَنْ ذُكر من عظمـــائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالاً على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآناً لنزل على أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من أن الرسالة مَنْصب جليل لا يليق به إلا مَنْ له جلالة من حيث المال والجاه" [٢] .

٦- **وضع المفرد موضع الجمع** : كقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً** ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "أي حال كونكـــم أطفالاً والإفـــراد باعتبـــار كـــل واحد منهم أو بإرادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد" [٤] .

وكمـــا في قوله تعالى : ﴿ **وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ [٥] ، "فرفيقـــاً إما تمييز أو حـــال على معنى أنهم وُصِفوا بالحُسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهـــم رُفقـــاء وإفراده كما أنه كالصديـــق والخليـــط والرســـول يستوي فيـــه الواحد والمتعدد" [٦] .

وكمـــا فـــي قوله تعالى : ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَـــدُوٌّ** ﴾ [٧] ، أوضح أبو السعود ذلـــك فقـــال : "أي أعداء كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِيـــنَ** ﴾ [٨] ، أي فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين

---

(١) الزخرف : آية ٣١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) الحج : آية ٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٦٨ .

(٥) النساء : آية ٦٩ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٦٠ .

(٧) الكهف : آية ٥٠ .

(٨) الشعراء : آية ٧٧ .

يحبونهم كحب الله تعالى والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع" [1] .

٧- **وضع الجمع موضع المفرد** : في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاس** ﴾ [2]

"يعنـــي الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس ، أو نُعيم بن مسعود الأشجعي وإطـــلاق الناس عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم ، يقال : فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس وغيرُ ثوب واحد" [3] .

وكقولـــه تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّه** ﴾ [4] ، فقد تحـــدث أبـــو الســـعود عـــن ذلك فقال : "أي المسجد الحرام وإنما جُمع لأنه قِبْلة المســـاجد وإمامها فعامرُه كعامرها أو لأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة" [5] .

٨- **وضع المثنى موضع الجمع** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ** ﴾ [6]

قـــال أبو السعود : "أي اثنان وإيثار ما ورد به النظم الكريم عليه للإيذان بأن حقهمـــا أن يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة ، والمعنى أن التطابق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفرق دون الجمع بين الطلقتين أو الثلاث" [7] .

وكما يفيده قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ** ﴾ [8] ، قال أبو السعود "أي رجعتيـــن أخريـــن في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ، أي رجعة بعد رجعة وإن كثرت" [9] .

٩- **وضـــع الجمـــع موضع المثنى** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَـــاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَـــا** ﴾ [10] ، قال أبو السعود : "والمراد بأيديهما أيمانهما كما

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٩٦ ، ج٥ ، ص ٤٦ .

(٢) آل عمران : آية ١٧٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٦٥ .

(٤) التوبة : آية ١٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٣٠ .

(٦) البقرة : آية ٢٢٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٧٢ .

(٨) الملك : آية ٤ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٧٥ .

(١٠) المائدة : آية ٣٨ .

يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والسارقات فاقطعوا أيمانهم ، ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى : ﴿ **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ (١) اكتفاء بتثنية المضاف إليه" (٢) .

١٠- **التغليب** : التغليب : غلبه : قهره ، وغُلِّب على صاحبه : حُكِمَ له عليه بالغلبة ، وتغلّب على بلد كذا : استولى عليه قهراً ، وغلَّبت أنا عليه تغليباً (٣) .

يقول الزركشي : "وحقيقة التغليب إعطاء الشيء حكم غيره ، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظة عليهما إجراء للمختلفيْن مجرى المتفقيْن" (٤) ، وقد بين أبو السعود في تفسيره أنواع التغليب منها :

١. **تغليب المذكر على المؤنث** : مثل قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** ﴾ (٥) ، قال أبو السعود : "رجالاً ونساءً بدل من إخوة والأصل وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث" (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾ (٧) ، قال أبو السعود : "أي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصُرْ عن طاعات الرجال حتى عُدَّت من جملتهم أو من نسلهم لأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام" (٨) .

٢. **تغليب المخاطب على الغائب** : مثل قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ** ﴾ (٩) ، قال أبو السعود : "أي مخاطباً للرسول والمُرْسِل تغليباً

---

(١) التحريم : آية ٤ .
(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٦٩ .
(٣) لسان : (غلب) .
(٤) البرهان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص ٣٠٢ .
(٥) النساء : آية ١٧٦ .
(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٣١ .
(٧) التحريم : آية ١٢ .
(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٧١ .
(٩) النمل : آية ٣٦ .

للحاضر على الغائب وقيل : للرسول ومن معه يؤيده أنه قريء فلما جاءوا والأول أولى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ، ويؤيده الإفراد في قوله تعالى : ﴿ **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ** ﴾ (١) ، أي ارجع أيها الرسول" (٢) .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ** ﴾ (٣) ، والمعنى : "أي جزاؤك وجزاؤهم فغُلِّب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية" (٤) .

٣. **تغليب العاقل على غير العاقل** : كقوله تعالى : ﴿ **كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** ﴾ (٥) ، فقد أوضح أبو السعود ذلك فقال : "وصيغة جمع العقلاء في (قانتون) للتغليب ، أي كل من جعلوه لله تعالى ولداً له قانتون ، أي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته" (٦) .

وقد أوضح أبو السعود نوع التغليب وهو تغليب العاقل على غير العاقل في قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ** ﴾ (٧) ، فقال : "وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف بكلمة (مَنْ) ليوافق التفصيل الإجمال والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة" (٨) .

٤. **تغليب غير العقلاء** : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ (٩) قال أبو السعود : "أي ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما

---

(١) النمل : آية ٣٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٨٤ .

(٣) الإسراء : آية ٦٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٤٤ .

(٥) البقرة : آية ١١٦ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٨٧ .

(٧) النور : آية ٤٥ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٧٣ .

(٩) يونس : آية ٥٥ .

أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما وكلمة "ما" لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقريـــر لكمـــال قدرتـــه سبحانه على جميع الأشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً وإثابة وعقاباً" (١) .

٥. **تغليـــب الجماعـــة على الواحد** : كما في قوله تعالى : ﴿ **لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِيـــنَ آمَـــنُوا مَعَـــكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** ﴾ (٢) ، فقد أوضح أبو الســـعود هـــذا الـــنوع فقـــال : "وإدخالهم له عليه السلام في خطاب العَوْد مع اســـتحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك إنما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد" (٣) .

٦. **تغليـــب المحقـــق على المقدّر** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْـــزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ (٤) ، قال أبو السعود : "والمـــراد (بمـــا أنزل إليك) هو القرآن بأسره والشريعة عن آخرها ، والتعبير عن إنزاله بالماضي مع كون بعضه مُتَرقّباً حينئذ لتغليب المحقق على المقدر ، أو لتنزيل ما في شرف الوقوع – لتحققه – منزلة الواقع" (٥) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَـــرَّةٍ وَإِلَـــيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (٦) ، "فإنّ من قدر على خلقكم وإنشائكم أولاً وعلى إعـــادتكم ورجعكم إلى جزائه ثانياً لا يُتعجبُ من إنطاقه لجوارحكم ، ولعل صيغة المضـــارع مـــع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لمّا أنّ المراد بالرجع ليس مجـــرد الـــرد إلـــى الحياة بالبعث بل ما يعمُّه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقّب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع" (٧) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٥١ .

(٢) الأعراف : آية ٨٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣ .

(٤) البقرة : آية ٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٤٧ .

(٦) فُصِّلت : آية ٢١ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٤١ .

١١- **وضـــع الظاهـــر موضـــع الضمير** : ذكر أبو السعود في تفسيره كثيراً من مواطـــن هذه المسألة البلاغية وقد تحدث عن الغرض البلاغي منها ، ومن هذه الأغراض :

١. **التعجيـــب والتفخـــيم** : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَـــنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ** ﴾ (١) ، قال أبو السعود : "فـــإنّ ما وإنْ شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال ، وتقول ما زيد فيقال : عالم أو طبيب فوضْعُ الظاهر موضع الضمير لكونـــه أدخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى : ﴿ **وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْـــحَابُ الْمَشْـــأَمَةِ** ﴾ والمـــراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعـــة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحابُ المشأمة في نهاية سوء الحال" (٢) .

٢. **المـــدح** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (٣) ، "أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال وإنما وضع المُظهرُ موضعَه مدحاً لهم بالتقوى وحثاً للقاصرين عليه وإيذاناً بأنه المدارُ في النصر" (٤) .

٣. **الذَّم** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ** ﴾ (٥) ، فقد أوضح أبـــو الســـعود فائدتـــه فقال : "وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك والإشعار بأنَّ علة الإخزاء هي كفرُهم" (٦) .

٤. **التّعظـــيم** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **فَـــإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ (٧) ، فقد أوضح أبو السعود أن ذلك : "من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى

---

(١) الواقعة : آية ٨ ، ٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٨٦ .

(٣) التوبة : آية ٣٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٤٦ .

(٥) التوبة : آية ٢ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٢٠ .

(٧) المائدة : آية ٥٦ .

(مَـنْ) أي فـإنهم الغالـبون لكـنهم جُعلوا حزب الله تعالى تعظيماً لهم وإثباتاً لغلبتهم" [١] .

٥. **زيـادة البيان** : كما يفيـده قولـه تعالـى : ﴿ **أَلا إِنَّ ثَمُـودَ كَفَرُوا** ﴾ [٢] ، فقد أوضح أبو السعود الغرض من ذلك بقوله : "وضَع موضعَ الضمير لزيادة البـيان صـرح بكفـرهم مع كونه معلوماً مما سبق من أحوالهم تقبيحاً لحالهم وتعلـيلاً لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى : ﴿ **أَلا بُعْداً لِثَمُودَ** ﴾ [٣] .

٦. **الاسـتعظام** : كما في قوله تعالى : ﴿ **لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ** ﴾ [٤] ، "فقد أظهره في مقام الإضمار استجلاباً لشفقتهم عليه أو استعظاماً لقتله وهو هو" [٥] .

٧. **التوبـيخ** : كقولـه تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [٦] ، "فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به" [٧] .

٨. **زيادة التعيين** : كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْـنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** ﴾ [٨] ، فقوله : "ليحكم أي الكتاب أو الله سبحانه وتعـالى أو كل واحد من النبيين والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التعيين (فيما اختلفوا فيه) أي في الحق الذي اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم" [٩] .

٩. **الـتقريـع** : وهـذا مـا يفيده قوله تعالى : ﴿ **بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْـرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [١٠] ، فقـد أوضح أبو السعود الغرض من قوله تعالى :

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) هود : آية ٦٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٣١ .

(٤) يوسف : آية ١٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٦٩ .

(٦) الأنفال : آية ١٤ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٨٥ .

(٨) البقرة : آية ٢١٣ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٥٨ .

(١٠) المؤمنون : آية ٧١ .

﴿ عَنْ ذِكْرِهِمْ ﴾ ، فقال : "وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع" (١) .

١٠. **زيادة التقرير** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ** ﴾ (٢) ، فقد ذكر أبو السعود الغرض من ذلك بقوله : "وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بأن الألوهية من موجبات أحكام آياته الباهرة" (٣) .

١١. **الاستقباح** : وهذا يستفاد من قوله تعالى : ﴿ **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ (٤) ، "فإن إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لمزيد استقباح ما فعلوا وأفٍّ صوتُ المتفجِّر ومعناه قبحاً ونتناً" (٥) .

١٢. **التوكيد والتحضيض** : كما يفيده قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ (٦) ، قال أبو السعود : للإيذان بأنّ الأخوة الدينية موجبة للإصلاح ووضع المظهر مقام المضمر للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك لتضاعف الفتنة والفساد فيه" (٧) .

١٣. **الاهتمام** : كما هو في قوله تعالى : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ (٨) ، قال أبو السعود : "أي في أيامه والإظهار في مقام الإضمار لإظهار كمال الاعتناء بشأنه والإشعار بصلة الحكم فإن زيارة البيت المعظّم والتقرُّب بها إلى الله

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٢٦ .

(٢) الحج : آية ٥٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٨٩ .

(٤) الأنبياء : آية ٦٦ ، ٦٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٤٦ .

(٦) الحجرات : آية ١٠ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١١٦ .

(٨) البقرة : آية ١٩٧ .

عز وجل من موجبات ترك الأمور المذكورة" [١] .

١٤. **تربيةُ المهابةِ** : وقد أظهر أبو السعود ذلك الغرض في مواطن كثيرة ومنها تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [٢] ، فقال : "ومن يبدل نعمة الله يعاقبه أشد عقوبة فإنه شديد العقاب وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة" [٣] .

١٢- **وضع الضمير موضع الظاهر** : مثل ضمير الشأن : بيّن أبو السعود أهمية هذا الضمير كثيراً في تفسيره ، كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [٤] ، فقال : "الضمير للشأن ، ومدار وضعه وموضعه مع عدم سبق ذكره الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كلُّ أحد ، وإليه يشير كلُّ مشير ، وإليه يعود كل ضمير ، كما ينبئ عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ، ومحلُّه الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الوسط لأنهما عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به والتنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالة خيرها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يُفهم من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقي الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن" [٥] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "وجه التشبيه ظاهرٌ ، والمقصود : تهويل أمر القتل ، وتفخيم شأن الإحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في إيجاب الرهبة والرغبة ، ولذلك صُدِّر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ، ونباهته ،

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٥٠ .

(٢) البقرة : آية ٢١١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٥٧ .

(٤) الإخلاص : آية ١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٨٧ .

(٦) المائدة : آية ٣٢ .

وتبادره إلى الأذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن ، فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهمٌ له خطر فيبقى في الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكُّن كأنه قيل : إنّ الشأن الخطير هذا" (١) .

وكذلك ضمير القصة : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ** ﴾ (٢) قال أبو السعود : "الضمير للقصة ، أو مبهم ، يفسره الأبصار ، أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة" (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ (٤) ، فقد ذكر أبو السعود ذلك فقال : "والضمير للقصة أو مبهم يفسره ما بعده" (٥) .

وأيضاً فقد أوضح أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (٦) ، "الضمير البارز الأول لجبريل عليه السلام ، والثاني للقرآن أُضمر من غير ذكر إيذاناً بفخامة شأنه ، واستغنائه عن الذكر ، لكمال شهرته ، ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته" (٧) .

السابع عشر : المعاني البلاغية لصيغ الجمع والإفراد

وقد تحدّث أبو السعود عن موضوع الجمع والإفراد في القرآن الكريم وذلك من خلال تفسيره للآيات ، وبين استخدام الكلمة مفردة أو جمعاً وأوضح السر البلاغي من هذا الاستخدام فنجده في قوله تعالى : ﴿ **فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ (٨) بقوله : "والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه الصلاة

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) الحج : آية ٤٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٨٧ .

(٤) الأنبياء : آية ٩٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٥٧ .

(٦) البقرة : آية ٩٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٦٩ .

(٨) فاطر : آية ٨ .

والسلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسُّر" [1] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** ﴾ [2] ، فقد ذكر أبو السعود أن الجمع في كلمة "صلوات" للكثرة والتنوع ، وقد بين سر الجمع بين صلوات وكلمة رحمة في هذه الآية بقوله : "الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة في قوله تعالى : ﴿ **رَأْفَةً وَرَحْمَةً** ﴾(الحديد :آية ٢٧) ،﴿ **رَءوفٌ رَحِيم** ﴾(البقرة : آية ١١٧ ، ١٢٨) ،(النور : آية ٢٠) ،(الحشر :آية ١٠)" [3] .

ونجد أنّ أبا السعود يبين مسألة الجمع والإفراد في الآية الواحدة كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ** ﴾ [4] ، فقد عدل إلى صيغة الجمع مع أن ما قبلها حديث عن المفرد وذلك بقوله : "والعدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الإفراد أيضاً ، لإفادة تهويل الخطب ، بكون الإسرار بطريق المعية والاجتماع ، وإنما لم يراعَ ذلك فيما سبق لتحقيق ما يُتوخَّى من فرض كون جميع ما في الأرض لكل واحدة من النفوس وإيثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكور مدلوله على إناثه" [5] .

وقد بيّن أبو السعود استخدام الجمع في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا** ﴾ [6] مع أن المخاطب هو رسول الله ﷺ وذلك بقوله : "نزلت في ناس كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً ، فالخطاب لرسول الله ﷺ والجمع للتعظيم أو له مع من عنده من المسلمين ، أي إذا جاءوكم أظهروا الإسلام" [7] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧٣ .

(٢) البقرة : آية ١٥٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٢١ .

(٤) يونس : آية ٥٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٥٠ .

(٦) المائدة : آية ٦١ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٩٣ .

كمـــا أظهر أبو السعود السر البلاغي من استخدام الجمع مع أن المخاطب هو رسول الله ﷺ وذلك في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنـــزِلَ عَلَيْنَا** ﴾ [١] فقـــد ذكـــر أبو السعود أن قوله تعالى : ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ** ﴾ أمر للرسول بأن يخبر عن نفسه ومن بعده من المؤمنين بالإيمان وجمع الضمير في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُنْـــزِلَ عَلَيْـــنَا** ﴾ وهو القرآن لما أنه منزل عليهم أيضاً بتوسط تبليغه إليهم أو لأن المنسوب إلى واحد من الجماعة قد ينسب إلى الكل أو عن نفسه فقط وهو الأنسب لما بعده ، والجمع لإظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بأمره ، بأن يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ، ويجوز أن يكون الأمر عاماً والإفراد لتشريفه عليه السلام والإيذان بأنه أصل في ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ (الطلاق : ١)" [٢] .

كما تحـــدث أبو السعود عن مقابلـــة الجمع بالجمع وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمَـــا لِلظَّالِمِيـــنَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ [٣] ، وذلك بقوله : "وجمع الأنصار بالنظر إلى جمـــع الظالميـــن ، أي ما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار على أن المراد بالظالمين هم الكفار" [٤] .

وكذلـــك في قولـــه تعالى : ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ** ﴾ [٥] ، قـــال : "وصـــيغة الجمع لوقوعها في مقابلـــة الجمع ، أي لم يكـــن لواحـــد منهم شفيع أصلاً" [٦] .

كما أنه قد تحدث عن ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** ﴾ [٧] وذلـــــك بقولـــــه : "وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع ، أي ليس لواحد منهم ناصر واحد" [٨] .

---

(١) آل عمران : آية ٨٤ .
(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٨٧ .
(٣) آل عمران : آية ١٩٢ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٨٥ .
(٥) الروم : آية ١٣ .
(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٦٧ .
(٧) آل عمران : آية ٥٦ .
(٨) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٧٧ .

ونلاحظ أنّ أبا السعود قد تحدث عن قضية اللفظ والمعنى عند حديثه عن استخدام صيغة الجمع والإفراد ونجد مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ (١) ، قال أبو السعود : "والجمع باعتبار معناه كما أنّ الإفراد في الأفعال الثلاثة باعتبار لفظه ، أي أولئك الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح" (٢) ، وهذه القضية نجد أن أبا السعود يتحدث عنها في تفسيره كثيراً .

كما تحدث عن استخدام الكلمة المفردة مبيناً السر البلاغي من ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا** ﴾ (٣) ، فقد بين سر الإفراد في قوله تعالى : (قَدَمٌ) وذلك بقوله : "وإفراد القدم وتنكيرها للإيذان بأن زلل قدم واحدة أيَّ قدم كانت عزّت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة" (٤) .

كما بيّن أبو السعود السر من استخدام كلمة (نهر) وهي "مفردة" بعد كلمة جنات وهي "جمع" في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ** ﴾ (٥) ، فقد نبه أبو السعود على ذلك وقال : "أي أنهار كذلك والإفراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل" (٦) .

كما تحدث عن استخدام صيغة الجمع للمفرد كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ** ﴾ (٧) ، قال أبو السعود : جَمَع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غير هود عليه الصلاة والسلام تفظيعاً لحالهم وإظهاراً لكمال كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه الصلاة والسلام

---

(١) الفرقان : آية ٧٠ .
(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٦ .
(٣) النحل : آية ٩٤ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٨٩ .
(٥) القمر : آية ٥٤ .
(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٧١ .
(٧) هود : آية ٥٩ .

عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد" [١] .

كمـــا تحدث عن صيغة جمع القلة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ** ﴾ [٢] ، فقال : "صفة ثالثة لأمـــة وإنمـــا أوثر صيغة جمع القلة للإيذان بأنه عليه السلام كان لا يُخِلّ بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بأنعم الله تعالى" [٣] .

الثامن عشر : المعاني البلاغية لصيغ الأفعال

وقد تحدث أبو السعود عن صيغ الأفعال وبين السر البلاغي من استخدامها كمـــا هـــو الحال في استخدام صيغة الماضي في قوله تعالى : ﴿ **فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّـــتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ** ﴾ [٤] ، فقال : "وإيراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقيق ، وإسنادهما إلى نون العظمة المنبئ عن اختصاصـــهما بـــه تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ، ولتكميل المماثلة بين إحياء الأرض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ النُّشُورُ** ﴾ " [٥] .

وكذلك استخدام صيغة الماضي في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِيـــنُ** ﴾ [٦] ، فقد بيّن استخدام صيغة الماضي وذلك بقوله : "ذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على أنه أمين مُجَرَّب" [٧] .

كما تحدث أبو السعود عن الأسرار البلاغية لاستخدام صيغة المضارع أو الاســـتقبال ومـــثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّـــمَاءِ رِزْقاً** ﴾ [٨] وذلك بقوله : "صيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل واستمرارهما" [٩] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٢٩ .
(٢) النحل : آية ١٢٠ ، ١٢١ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٠٢ .
(٤) فاطر : آية ٩ .
(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧٤ .
(٦) القصص : آية ٢٦ .
(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٢٠ .
(٨) غافر : آية ١٣ .
(٩) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤١٢ .

وقد أوضح أبو السعود الغرض من صيغة الاستقبال في قوله تعالى : ﴿ **وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ** ﴾ [١] ، فقال : "إيثار صيغة الاستقبال في الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة واستمرارها" [٢] .

كما تحدث أبو السعود عن صيغة المضارع في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [٣] ، فقال : "إيثار صيغة المضارع للدلالة على أنّ علمه بذلك مستمر نظراً إلى أن أصله لم يتغير ولم يتبدل بل إنما يتبدل بالعيان وصفه" [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا** ﴾ [٥] ، فقد ذكر أن صيغة المضارع في يريدون ويشترون تدل على الاستمرار وذلك بقوله : "وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فإن تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرُّره ، أي لا يكتفون بضلال أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته عليه السلام" أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون [٦].

وقد تحدث أبو السعود عن المعاني البلاغية لصيغة التفعيل والأغراض من استخدامها كما في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ** ﴾ [٧] ، فقد أوضح ذلك بقوله : "وورود الإجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء فيه عليه السلام بصيغة الأفعال لإظهار اللطف والإحسان كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ** ﴾ (الأنعام : ٦٤) الخ بعد قوله تعالى : ﴿ **لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ** ﴾ (الأنعام: ٦٣) مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين ، وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل

---

(١) الكهف : آية ٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٦٧ .

(٣) البقرة : آية ٢٥٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٠٣ .

(٥) النساء : آية ٤٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤٢ .

(٧) المائدة : آية ١١٥ .

خبرها اسماً لتحقيق الوعد وإيذان بأنه منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه وإشعار بالاستمرار ، أي إني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة" (١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ (٢) ، فقال : "وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير" (٣) .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ (٤) ، فصيغة التفعيل هنا أيضاً في الفعلين مفيدة للتكثير كما بين ذلك أبو السعود أثناء تفسيره لها" (٥) .

وقد تفيد صيغة التفعيل التجدد كما في قوله تعالى : ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (٦) ، فقد بين أبو السعود ذلك بقوله : "وإيثار صيغة التفعيل ههنا للإيذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الإنزال وتكثُّره حسب تكثره" (٧) .

وقد تفيد صيغة التفعيل التفخيم كما في قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ (٨) ، كما ذكر أبو السعود بقوله : "وصيغة التفعيل للدلالة على التفخيم" (٩) .

ونلاحظ أنّ أبا السعود قد تحدث عن صيغة التفعُّل في قوله تعالى : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (١٠) ، فقال : "أي أن يَطُوفَ بهما أصله

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٤٢ .
(٢) المائدة : آية ٣٣ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٦٥ .
(٤) طه : آية ٧١ .
(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٩٥ .
(٦) البقرة : آية ٩٠ .
(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٦٤ .
(٨) آل عمران : آية ٣ .
(٩) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٣٢ .
(١٠) البقرة : آية ١٥٨ .

يتطوف قلبت التاء لهاء فأدغمت الطاء في الطاء ، وفي إيراد صيغة التفعّل إيذان بأنّ من حق الطائف أن يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده" (١) .

وتحدث أبو السعود عن صيغة المفاعلة في قوله تعالى : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى** ﴾ (٢) ، فقال : "أي داوموا على أدائها لأوقاتها من غير إخلال بشيء منها كما تنبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام الإيذان بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال بشأنهم وبشأن أنفسهم" (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** ﴾ (٤) ، قال أبو السعود : "وفي العدول إلى صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عِدَة بالنصر والغلبة" (٥) .

التاسع عشر : المعاني البلاغية في أبنية المشتقات

تحدث أبو السعود عن أبنية المشتقات وبيّن المعاني البلاغية فيها :

ومن هذه المشتقات "**اسم الفاعل**" فقد بيّن أبو السعود الأسرار البلاغية من استخدامها كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** ﴾ (٦) ، وقد أوضح أبو السعود استعمال تلك الصيغة بقوله : "واسم الفاعل بمعنى المضارع وأوكد منه لدلالته على أنه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه" (٧) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٢٣ .
(٢) البقرة : آية ٢٣٨ .
(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٨١ .
(٤) البقرة : آية ١٩١ .
(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٤٧ .
(٦) البقرة : آية ١٢٤ .
(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٩٣ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [١] ، قال أبو السعود : "وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه فاعل ذلك لا محالة" [٢] .

كما بيّن الغرض من استخدام صيغة الفاعل في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ [٣] ، فقال : "والعدول إلى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار وأما الإنفاق فحيث كان أمراً متجدداً عبّر عنه بما يفيد الحدث وهو التجدد" [٤] .

ونرى أن أبا السعود قد تحدث عن صيغة الفاعل وبين الغرض البلاغي فيها في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً** ﴾ [٥] ، والمعنى : "أي فإنهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أنّ كلاً من الإهلاك والتعذيب مترتب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة وكأنهما واقعان وإنما قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينجع فيهم أو ترهيباً للقوم أو سؤالاً عن حكمة الواعظ ونفعه" [٦] .

وكذلك نجد أبا السعود يتحدث عن صيغة اسم الفاعل في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا** ﴾ [٧] ، فقال : "وهو السر في إيراد الأوّلين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى : وما أصابكم يومئذ فهو كائن لتمييز الثابتين على الإيمان والذين أظهروا النفاق" [٨] .

---

(١) البقرة : آية ٣٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(٣) آل عمران : آية ١٣٤ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٣ .

(٥) الأعراف : آية ١٦٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٤ .

(٧) آل عمران : آية ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٦٠ .

كما بيّن السر من استخدام صيغة اسم الفاعل في قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (١) ، فقال : "وإيثار صيغة اسم الفاعل على الموصول للدلالة على أنّ المعتبر هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على الفواصل" (٢) .

كما أوضح أبو السعود السر من استعمال صيغة اسم الفاعل بدلاً من الفعل المضارع في قوله تعالى : ﴿ **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً** ﴾ (٣) ، فقال : "أي كل واحد منهم آت إياه تعالى منفرداً من الأتباع والأنصار ، وفي صيغة الفاعل من الدلالة على إتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع ، لو قيل : يأتيه" (٤) .

كما بيّن السر من استخدام صيغة **اسم المفعول** في قوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ** ﴾ (٥) ، فقال : "وإيراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها أدخل في الدلالة على الوقوع" (٦) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ** ﴾ (٧) .

فالتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه ، فهو أبلغ من قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ** ﴾ (آية : ٩) (٨) .

ومن المشتقات التي تحدث عنها أبو السعود وبيّن أسرارها البلاغية **صيغ المبالغة** ، فقد أوضح سر استخدام كلمة "قوامون" في قوله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ**

---

(١) آل عمران : آية ١٤٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٠ .

(٣) مريم : آية ٩٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٦١ .

(٥) الحجر : آية ٦٦ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٨ .

(٧) هود : آية ١٠٣ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٥١ .

أَمْوَالِهِمْ ﴾ [1] ، فقال : "وإيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للإيذان بعراقتهم في الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه ، أي شأنهم القيام عليهن بالأمر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلّل ذلك بأمرين : وهبي وكسبي : أي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن أو ملتبسين بتفضيله تعالى الخ .

وبسبب إنفاقهم من أموالهم أو بسبب ما أنفقوه من أموالهم أو كائناً من أموالهم وهو ما أنفقوه من المهر والنفقة" [2] .

كما أوضح أبو السعود الغرض البلاغي من استخدام صيغة المبالغة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [3] ، وذلك بقوله : "أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذِّب لعبيده بغير ذنب من قِبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم – على ما تقرر من قاعدة أهل السنة ، فضلاً عن كونه ظلماً بالغاً – لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم – كما يعبّر عن ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها مع أن الأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزمَ مِنْ تخلُّفه عنها ضياعُها ، وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم" [4] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [5] ، قال أبو السعود : "وصيغة المبالغة في "شهيد" للتشديد في الوعيد" [6] .

---

(١) النساء : آية ٣٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) آل عمران : آية ١٨٢ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٧٤ .

(٥) آل عمران : آية ٩٨ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٨ .

الفصل الثالث

مسائل علم البيان في تفسير أبي السعود

الفصل الثالث

مسائل علم البيان في تفسير أبي السعود

علـــم البـــيان : "هو علم يُعْرَفُ به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[١].

وقـــد بيّـــــن أبـــو الســـعود في تفســـيره مســـائل علـــم البيان وظهرت جهوده جلية في هذا العلم وهي :

أولاً : التشبيه .

ثانياً : المجاز .

ثالثاً : الاستعارة والترشيح .

رابعاً : الكناية والتعريض والتلويح .

أولاً : التشبيه

التشبيه : الشبه والشبيه : المثل ، وأشبه الشيء : ماثله ، وأشبهتُ فلاناً وشابهته واشـــتبه علـــيّ ، وتشـــــابه الشـــــيئان واشتبها : أشبه كل واحد منهما صاحبه والتشبيه التمثيل [٢] .

أمـــا فـــي اصـــطلاح البلاغيين : فقد عرّفه القزويني بقوله : "التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى" [٣] بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة [٤] .

وبعض البلاغيين لم يفرق بين التشبيه والتمثيل ، قال ابن الأثير : "وجدتُ علمـــاء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل ، وجعلوا لهذا باباً مفرداً ، ولهذا باباً مفـــرداً ، وهمـــا شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ، يقال : شبهت هذا الشيء بهذا الشيء ، كما يقال : مثلته به" [٥] .

---

(١) التلخيص ، ص ٢٣٥ .

(٢) اللسان : (شبه) .

(٣) التلخيص : ص ٢٣٨ .

(٤) علم البيان ، ص ٣ ، د. بكري أمين ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٢م .

(٥) المثل السائر ، ج١ ، ص ٣٧٣ .

ونجـــد أن أبا السعود عندما يتحدث عن التشبيه فإنه يسميه التمثيل ، فليس هنا فرق بينهما عنده : "فإنّ التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس ، وإبـــراز لأوابـــــد المدركـــــات على هيئة المأنوس ، فيكون في غاية الإيضاح والبيان" (١) .

أنواع التشبيه : وقد بيّن أبو السعود أنواع التشبيه في تفسيره منها :

١- **التشـــبيه البليغ** : "وهـــو ما حذفـــت منه الأداة ووجه الشبه (٢) ، وقد سماه أبـــو الســـعود التمثـــيل البليغ كما في قوله تعالى : ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ** ﴾ (٣) ، "وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم من حيث سدوا مسامعهم عـــن الإصـــاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم ، وأبوا أن يتلقوها بالقـــبول ويُـــنطقـــوا ألسنتهم ، ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة علـــى يدي رسول الله ﷺ ، ولم ينظروا إلى آيات التوحيد في الآفاق والأنفس بعيـــن الـــتدبُّر ، وأصرُّوا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية ، وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول القائل :

ويصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأنَّ له حاجة في السماء

لمـــا أنّ المقـــدر في النظم في حكم الملفوظ ، لا من قبيل الاستعارة التي يُطـــوى فـــيها ذكر المستعار له بالكلية ، حتى لو لم يكن هناك قرينة تحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير :

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّفٍ له لِبَـــدُ أظفاره لم تُقَلّمِ (٤)

وهنا نجده يفرق بين التشبيه والاستعارة .

ومـــنه أيضـــاً قولـــه تعالـــى : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ** ﴾ (٥) ، "أي مواضـــع حرث لكم شُبِّهن بها لما بين ما يُلقى في أرحامهن وبين البذور من

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٧٤ .

(٢) جواهر البلاغة ، للهاشمي ، ص ٢١٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) البقرة : آية ١٨ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٧١ .

(٥) البقرة : آية ٢٢٣ .

المشـــابهة من حيث إن كلاً منهما مادة لما يحصل منه ، ولما عبر عنهنّ بالحرث عبّر عن مجامعتهن بالإتيان" [1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَـاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ** ﴾ [2] .

فقولـــه تعالى : ﴿ **لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ** ﴾ بيان لثمرات ما وُصفوا به من نعـوت الكمـال ، أي لهـم مثـل أجرهـم ونورهـم المعروفين : بغاية الكمال وعـزة المنـال ، وقـد حـذف أداة التشـبيه تنبيهـاً علـى قوة المماثلة وبلوغهـا حـدّ الاتحـاد كمـا فعـل ذلـك حيـث قيـل هـم الصديقـون والشـهداء ، وليسـت المماثلـة بيـن ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمـام مـا للفريقين الأخيرين ، بل بين تمام ما للأول من الأصل والأضعاف ، وبيـن ما للآخرين من الأصل بدون الأضعاف ، وأما على الوجه الثاني فمرجع الكـل واحـد ، والمعـنى لهم الأجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم" [3] .

ومـنه قولـه تعـالى : ﴿ **وَتَـرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّـحَابِ** ﴾ [4] ، "أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها تمر مرّ السحاب التي تسـيرها سيراً حثيثاً ، وذلك أن الأجرام إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال :

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقـوف لحاج والركاب تُهملج

وقـد أدمـج في هذا التشبيه : تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها" [5] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) الحديد : آية ١٨ ، ١٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٤) النمل : آية ٨٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٠٦ .

٢- **التشـــبيه التمثيلـــي أو المركب** : وهو كما قال القزويني : "ما وجهه وصف منـــتزع مـــن مـــتعدد أمرين أو أمور" (١) مثل قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَـــالُهُمْ كَسَـــرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ (٢) . أي أعمالهم التي هي من أبواب الخير كصلة الأرحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت وقـــرى الأضياف وإغاثة الملهوفين ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الـــثواب ، وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل ما يراه كائناً ما كان مـــن العطشـــان والريّان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الـــذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس ، كأنه قيل : حتى إذا جاء الكفرة يـــوم القـــيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً ووجدوا الله ، أي حكمه وقضاءه عند المجيء" (٣) .

هذا عن أعمالهم الخيّرة ، أما عن أعمالهم القبيحة فقد مُثِّلت بقوله تعالى : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَـــاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴾ (٤) .

"إثـــر ما مُثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بهـــا في كل وادٍ ونادٍ بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب ، مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغترّ بها المغترون بظلمات كائنة في بحـــر لجي يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها فوق بعض ، وهذا بيان لكمال شـــدة الظلمـــات كما أن قوله تعالى : ﴿ **نُور على نُور** ﴾ (النور : آية ٣٥) بيان لغاية قـــوة النـــور خلا أن ذلـــك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده" (٥) .

---

(١) الإيضاح ، ج٤ ، ص ٩٠ .

(٢) النور : آية ٣٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٦٨ .

(٤) النور : آية ٤٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٦٩

وتحدث أبو السعود عن التشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ (١) .

"أي لتثبيت أنفسهم على الإيمان فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها أو تصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم ، والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الأحوال .

ويجوز أن يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما أصابها من المطر الكثير واليسير ، فكما أنّ كل واحد من المطرين يُضعف أكلها فكذلك نفقتهم جلّت أو قلّت بعد أن يُطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله" (٢) .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ (٣) .

"وأياً ما كان فالحال المدلول عليها بالمثل وهي التي يدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الأحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الأول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر إليها بعين الاعتبار ، وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم ، ومن استعمال الفريق الثاني لكل من أبصارهم وأسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه ، فإن اعتبار ذلك ينزع إلى كون التشبيه تمثيلياً بأن ينتزع من حال الفريق الأول في تصامّهم وتعاميهم المذكورين ، ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مَشْعَري البصر والسمع

---

(١) البقرة : آية ٢٦٥.

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) هود : آية ٢٤ .

فتخبّط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ، ولم يجد مقصده سبيلاً ، وينتزع من الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي ونورهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملها في مهماته فيهتدي إلى سبيله وينال مَرامه" (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ** ﴾ (٢) .

أي صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة كقولك : صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب ، وما بال أعمالهم التي عملوها من وجوه البر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفداء الأسارى وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل أمرهم إلى هذا المآل ؟ فأجيب بأن ذلك كرماد ، شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به والتوجه بها إليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة .

أي لا يرون له أثراً من ثواب أو تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل" (٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾ (٤) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٢) إبراهيم : آية ١٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٧٨ .

(٤) الفتح : آية ٢٩ .

"مَـثَل ضـربه الله عز وجل لأصحابه عليه الصلاة والسلام قلّوا في بدء الإسـلام ، ثـم كـثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس وقولـه تعـالى : ﴿ **لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾ علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه" (١) .

وكمـا أوضـح أبو السعود التشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْـتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾ (٢) .

"تمثـيل مسـوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين إثر تحذيرهم عنها بالإشـارة إلـى أنهـم مستضيئون بأنوار الوحي الإلهي والمشركون خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يُعقل إطاعتهم لهم ؟

وهـذا مَـثَل أريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها أصلاً كما أنَّ الأول مثل أريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الإسلام وهداه بالآيات البينة إلى طـريق الحـق يسـلكُه كيف يشاء ، لكن لا على أن يدل على كل واحد من هذه المعانـي بما يليق به من الألفـاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه مـن معانـيهـا ، فـإن ألفـاظ المثل باقيـة في معانيها الأصلية بل على أنه قد انتزعـت من الأمور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حِـدة فشُبِّهت بهما الأُوْليان ونُزِّلتا منزلتيهما فاستُعمل فيهما ما يدل على الأُخْريين بضرب من التجوز" (٣) .

وبعـد أن تحدث أبو السعود عن هذين المثلين فرّق بين التشبيه والاستعارة بقولـه : "إن التمثيل قسمٌ برأسه لا سبيل إلى جعله من باب الاستعارة حقيقة وأن الاسـتعارة التمثيلـية مـن عـبارات المتأخرين ، نعم قد يجري ذلك على سنن الاسـتعارة بـأن لا يُذكـر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما ، وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله :

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) الأنعام : آية ١٢٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٣٨ .

وما الناسُ إلا كالديار وأهلُها بها يوم حلُّوها وغَدَوْا بلاقعُ" (١)

٣- **التشبيه الضمني** : وهو "تشبيه لا يُوضَع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب ، وهذا النوع يُؤْتَى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن" (٢) .

وقد بيّن أبو السعود هذا النوع من التشبيه في قوله تعالى : ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ (٣) .

فهذا "تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً من مبالغات ، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخاً للآكل وميتاً وإخراج تماثلها مخرج أمرٍ بيّنٍ غنيٍ عن الإخبار به وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة" (٤) .

٤- وقد أشار أبو السعود إلى التشبيه المفرد في أماكن كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ** ﴾ (٥) ، "أي كل شررة كالقصر من القصور في عِظَمِها ، وإن الشرار لما فيه من النار به يكون أصفر والأول تشبيه في العظم ، وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة" (٦) .

كما بيّنه في قوله تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** ﴾ (٧) ، "شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقي أجساداً وجثثاً بلا رؤوس" (٨) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٣٨ .

(٢) جواهر البلاغة ،ص ٢٢٤ ، البلاغة الواضحة للجارم ، ص ٤٥ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، وانظر علم البيان ، د. بكري أمين ، ص ٥٣ .

(٣) الحجرات : آية ١٢ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١١٨ .

(٥) المرسلات : آية ٣٢ ، ٣٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٥٠ .

(٧) القمر : آية ٢٠ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٦٨ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ** ﴾ (١) ، "شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جَدّت في نفارها مما أفزعها ، وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى" (٢) .

التمثيل والتصوير والتخييل : قلنا إن أبا السعود قد ذكر في تعريفه للتمثيل بأنه : "تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس" وأشار إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم** ﴾ (٣) ، فهو "تمثيل لإحاطة علمه تعالى وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا" (٤) .

والتخييل كما عرّفه العلوي : "هو اللفظ الدال بظاهره على معنى والمراد غيره على جهة التصوير" (٥) .

وقد أشار إليه أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ (٦) ، أي : "مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبُعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل ، والمعنى أنها من الارتفاع بحيث لو قُدِّر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا" (٧) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾ (٨) ، فهو : "تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ (قّ: ١٦) وتنبيه على أنه تعالى مطّلع من مكنونات القلوب ،

---

(١) المدثر : آية ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٣٣ .

(٣) الحديد : آية ٤ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٩٩ .

(٥) الطراز ، ج٣ ، ص ٥ .

(٦) المعارج : آية ٤ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٠٠ .

(٨) الأنفال : آية ٢٤ .

أو تصـــوير وتخيـــيل لـــتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ، ويغير نياته ومقاصـــده ويحـــول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ويبدله بالأمن خوفاً والذكر نسياناً ، وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة" (١) .

ثانياً : المجاز

المجـــاز : "من جزتُ الطريق ، وجاز الموضع جوازاً ، وجاز به وجاوزه وأجاز غـــيره ، وجازه سار فيه وسلكه وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى جزته والمجاز والمجازة : الموضع" (٢) .

وفي اصطلاح البلاغيين : "المجاز كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع الواضـــع إلى ما لم تُوضَع له من غير أنْ تستأنف وضعاً لملاحظة بين ما تُجوِّز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز" (٣) .

وقـــال الســـكاكي : "وأمـــا المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع" (٤) .

المجاز العقلي

ونجـــد أن أبا السعود قد تحدث عن المجاز العقلي وهو المجاز الإسنادي ، وقـــد أوضـــح هـــذا المجاز في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـــار** ﴾ (٥) ، قال : "والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون الـــبحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة ، والمراد بها ماؤها على الإضمار أو علـــى المجـــاز اللغوي ، أو المجاري أنفسها ، وقد أُسند إليها الجريانُ مجازاً عقلياً كما في سال الميزاب" (٦) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٩١ .

(٢) اللسان : (جوز) .

(٣) أسرار البلاغة ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ١٩٩١م .

(٤) مفتاح العلوم ، ص ١٩٨ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٩٩٠م .

(٥) البقرة : آية ٢٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٩٤ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً** ﴾ [١] ، "أي تسيل بشدة وهو أبلغ من يفيض دمعها لإفادتها أنّ العين صارت دمعاً فيّاضاً وحزناً منصوب على الحالية أو المصدرية لفعل دلّ عليه ما قبله ، أي تفيض للحزن ، فإنّ الحزن يُسْنَدُ إلى العين مجازاً كالفيض" [٢] .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ [٣] ، "والمراد به يوم القيامة أو يومُ الطوفان ، ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم" [٤] .

وقد عرّف السكاكي هذا النوع من المجاز بقوله : "هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة وضع كقولك : أنبت الربيع البقل ، وشفي الطبيب المريض" [٥] .

وبيّن أبو السعود علاقاته في مواضع عدّة من تفسيره ، ومنها :

١- **المكانية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ** ﴾ [٦] ، "فإنْ أريد بها ما يسيل فيها مجازاً فإسناد السيلان إليها حقيقي ، وإنْ أريد معناها الحقيقي ، فالإسناد مجازي كما في جرى النهر" [٧] .

فهو مجاز عقلي علاقته المكانية فإن إسناد السيلان إلى الأودية لأنها مكان جري الماء فيها ، فالأودية لا تسيل ، وإنما يسيل ماؤها فأسند إلى غير فاعله" .

٢- **الزمانية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً** ﴾ [٨] ، "وإسناد الأبصار إلى النهار مجازي كالذي في نهاره

---

(١) التوبة : آية ٩٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٧٩ .

(٣) هود : آية ٢٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٠٣ .

(٥) مفتاح العلوم ، ص ٢١٥ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٩٩٠م .

(٦) الرعد : آية ١٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٤٩ .

(٨) يونس : آية ٦٧ .

صائم"[1]، فالنهار لا يبصر وإنما يبصر مَنْ فيه ، فالإسناد إلى زمان الفعل .

٣- **المفعولية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً** ﴾ [2] ، أي مأموناً "فالحرم مصون من النهب والتعدي ، سالماً أهله من كل سوء" [3] .

٤- **الفاعلية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً** ﴾ [4] ، أي يأتيه مَنْ وُعد له لا محالة بغير خُلْف ، وهو مفعول بمعنى فاعل ، أي مفعولاً منجزاً من أتى إليه إحساناً ، أي فعله" [5] .

٥- **المصدرية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾ [6] ، قال أبو السعود : "وإنما حَسُن إسناد الفعل إلى المصدر لتقييده ، وحَسُن تذكيره للفصل" [7] ، والمصدر هنا وقع نائباً عن الفاعل ، ولم يسند إلى فاعله الحقيقي .

٦- **السببية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً** ﴾ [8] ، "وإسناد الإضلال ، أي خلق الضلال إليه سبحانه مبنيٌ على أنّ جميع الأشياء مخلوقة له تعالى ، وإنْ كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم ، وجعله من قبيل إسناد الفعل إلى سبب يأباه التصريح بالسبب" [9] .

المجاز المرسل

وقد عرّف القزويني المجاز المرسل بقوله : "والمرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه سموه كذلك لإرساله عن التقييد بعلاقة المشابهة" [10] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢) العنكبوت : آية ٦٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٦١ .

(٤) مريم : آية ٦١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٤٨ .

(٦) الحاقة : آية ١٣ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٩٥ .

(٨) البقرة : آية ٢٦ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٠١ .

(١٠) التلخيص ، ص ٢٩٥ .

وقد أوضح أبو السعود هذا النوع من المجاز في تفسيره وبيّن علاقاته ومنها :

١- **السببية** : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ** ﴾ [١] ، "أي جزاء ما عملت بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب وإشعاراً بكمال الاتصال بين الأجزية والأعمال" [٢] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [٣] ، "فالعلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب ، أي ليميز الثابتين على الإيمان من غيرهم" [٤] .

٢- **المسببية** : بأن يطلق لفظ المسبب على السبب كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ [٥] ، "أي لفقد رزق من ربك إقامة للمسبب مُقام السبب فإنّ الفقد سببٌ للابتغاء" [٦] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** ﴾[٧] ، "أي إذا أردت قراءته عبّر بها عن إرادتها على طريقة إطلاق اسم المسبّب على السبب إيذاناً بأنّ المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة" [٨] .

٣- **اعتبار ما يكون** : أي تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه : وذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِراً كَفَّاراً** ﴾ [٩] ، قال أبو السعود : "أي إلا من سيفجُر ويكفُر فوصفهم بما يصيرون إليه وكأنه اعتذار مما عسى يردُ عليه من أنّ الدعاء بالاستئصال

---

(١) النحل : آية ١١١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٩٦ .

(٣) آل عمران : آية ١٤٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٨ .

(٥) الإسراء : آية ٢٨ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٢٥ .

(٧) النحل : آية ٩٨ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٩١ .

(٩) نوح : آية ٢٧ .

مـــع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكرٌ وإنما قاله لاستحكام علمه بمـــا يكـــون منهـــم ومن أعقابهـــم بعدما جربهم واستقرأ أحوالهم قريباً من ألف سنة" [1] .

٤- **اعتـــبـــار مـــا كان** : أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه : وأيضاً في قوله تعـــالى : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْـــتُمُ النِّسَـــاءَ فَبَلَغْـــنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُـــنَّ** ﴾ [2] ، "فأزواجهن إن أريـــد بهم المطلقون فالزوجية إما باعتبار ما كان وإما باعتبار ما يكون وإلا فاعتبار الأخير" [3] .

وبالنسبة لاعتبار ما كان عليه قبل الطـــلاق فقد كانت زوجه ، وإما باعتبار مـــا يكـــون عـــندما تتزوج برجل آخر بعد طلاقها الأول ، أي ما يؤول إليه الزواج بعد الطلاق .

٥- **الكلية** : أي إطلاق اسم الكل على الجزء : كما في قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ شَهِدَ مِـــنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [4] ، أي "من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنـــه مفعول به كقولك : شهدتُ الجمعة أي صلاتها فيكون ما بعده مخصِّصاً لـــه كأنـــه قيل : (ومن كان مريضاً) وإن كان مقيماً حاضراً فيه ، (أو على ســـفر) وإنْ كان صحيحاً ، (فعدة من أيام أخر) أي فعليه صيامُ أيام أخر لأن المريض والمسافر ممن شهد الشهر" [5] .

وكقولـــــه تعـــالـــى : ﴿ **الْحَـــجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ** ﴾ [6] ، وإنما سمي شهران وبعـــض شـــهر أشهراً إقامة للبعض مُقام الكل أو إطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد ، وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالألف والتاء" [7] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(٢) البقرة : آية ٢٣٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٧٥ .

(٤) البقرة : آية ١٨٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

(٦) البقرة : آية ١٩٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٥٠ .

٦- **الجزئيـــة** : أي إطـــلاق اســـم الجـــزء علـــى الكل : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَـــةِ** ﴾ (١) ، "والمراد بالأيـــدي الأنـــفس ، أي لا توقعوا أنفسكم إليها فحذف المفعول" (٢) .

٧- **إطـــلاق اســـم العام على الخاص** : مثل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحـــاً وَآلَ إِبْرَاهِـــيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (٣) ، "والمراد بالعالمين أهـــل زمـــان كـــل واحـــد منهـــم ، أي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه" (٤) .

٨- **إطـــلاق اســـم الخاص على العام** : مثل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِيـــنٍ** ﴾ (٥) ، "أي فـــي موضـــع قيام والمراد المكان على الإطلاق فإنه من الخـــاص الـــذي شـــاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع إقامة" (٦) .

٩- **(المحلّـــية) إطـــلاق اســـم المحلّ على الحالّ**: ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ** ﴾ (٧) ، "أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم ، أي يجتمعون ، رُوي أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ فقال : ألم أنهكَ ؟ فأغلظ له رسول الله ﷺ فقال : أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً فنزلت" (٨) .

١٠- **(الحالّـــية) إطلاق اسم الحالّ على المحلّ** : ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـــتْ وُجُوهُهُـــمْ فَفِـــي رَحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ (٩) ، قال أبو السعود : "أعني الجنة والنعيـــم المخلّـــد ، عُبِّر عنها بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإنْ استغرق

---

(١) البقرة : آية ١٩٥ .
(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٤٨ .
(٣) البقرة : آية ٣٣ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٥٨ .
(٥) الدخان : آية ٥١ .
(٦) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٥٤ .
(٧) العلق : آية ١٧ .
(٨) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٥١ .
(٩) آل عمران : آية ١٠٧ .

عمره في طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى" [1] .

١١- **الآليـــة** : أي إطلاق اسم آلة الشيء عليه : مثل قوله تعالى : ﴿ **وَاجْعَلْ لِي لِسَـــانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** ﴾ [2] ، "أي جاهاً وحسن صيت في الدنيا بحيث يـــبقى أثـــره إلى يوم الدين ولذلك لا ترى أمة من الأمم إلا وهي محبَّةٌ له ومثنيةٌ عليه" [3] .

وقـــد أوضـــح ابن القيم الجوزية علاقات كثيرة للمجاز وتوسّع فيها فقال : "فإنّ المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام ، وكثرة معاني الألفاظ ، ليكثر الالتذاذ بها ، فإنّ كل معنى للنفس به لذة ، ولها إلى فهمـــه ارتياح وصبوة ، وكلما دقّ المعنى رقّ مشروبه عندها ، وراق في الكلام انخـــراطه ، ولـــذ للقلب ارتشافه وعظم به اغتباطه ، ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً مورداً عذب الارتشاف ، وسبيلاً مسلوكاً لهم على سلوكه انعكاف ، ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالاً من الحقائق ، وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائق ، ولفظ فائق" [4] .

ثالثاً : الاستعارة والترشيح

١- الاستعارة

الاســـتعارة : "مـــأخوذة مـــن العارية أي : نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه ، واستعاره الشيء ، واستعاره منه : طلب منه أن يعيره إياه" [5] .

وفي اصطلاح البلاغيين : قال السكّاكي : هي أنْ تذكر أحد طرفَي التشبيه وتريد به الطـــرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٥ .

(٢) الشعراء : آية ٨٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٧ .

(٤) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان ، ص ١٠ وما بعدها ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

(٥) اللسان : (عور) .

للمشبه ما يخصُّ المشبه به" [1] .

وقال القزويني : "هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له" [2] .

وأشار أبو السعود في تفسيره إلى أنواع الاستعارة ، وكان له جهود بارزة في هذا المجال ، فقد بين علاقة الاستعارة بالتجريد ، **والاستعارة التصريحية** ، وهي كما قال السكاكي : "أنْ يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به" [3] .

في قوله تعالى : ﴿ **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** ﴾ [4] ، "وشبه أثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس للابس فاستُعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد ، فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة ، جرت مجرى الحقيقة كقول كثّير :

غمرُ الرداء إذا تبسم ضاحكاً غَلِقت لضحكته رقاب المال

فإن الغمر مع كونه في الحقيقة من أحوال الماء الكثير لمّا كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت إضافته إلى الرداء المستعار للمعروف تجريداً . أو شبه أثرهما وضررهما من حيث الإحاطة واللزوم تشبيه معقول لمحسوس فاستُعير له اسمه استعارة تصريحية ، وأخرى بطعم المرّ البشع الملائم للجوع الناشيء مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الأمن المقدم فيما تقدم على إتيان الرزق لكونه أنسب بالإذاقة أو لمراعاة بينها وبين إتيان الرزق" [5] .

---

(١) مفتاح العلوم ، ص ٢٠٢ ، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط٢ ، ١٩٩٠م .

(٢) الإيضاح ، ج٥ ، ص ٤٢ .

(٣) مفتاح العلوم ، ص ٢٠٥ .

(٤) النحل : آية ١١٢ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٩٨ .

الاستعارة التبعية :

وقد بين أبو السعود العلاقة بين التمثيل والاستعارة وبين نوع الاستعارة التبعية وهي "ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف بناء على دعوى أن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً والأفعال والصفات المشتقة منها والحروف عن أن توصف بمعزل فهذه كلها عن احتمال الاستعارة في أنفسها بمعزل وإنما المحتمل لها في الأفعال والصفات المشتقة منها مصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها" (١) .

مثل قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾ (٢) ، فقد ذكر أبو السعود ذلك بقوله : "ثم كفرُهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم إضلالهم لقومهم المؤدي إلى إحلال دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره والإيذان بأنّ كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وإحلال القوم دار البوار واتخاذ الأنداد للإضلال أمرٌ يقضي منه العجب وأياً ما كان فليس ذلك غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شُبه بالغرض وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية" (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾ (٤) ، قال في معرض تفسيره للآية : "والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده ، وقد عُبِّر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإنّ ذلك مما يوجبه الانتهاء عن التمني المذكور" (٥) ، وأيضاً

---

(١) مفتاح العلوم ، ص ٢٠٩ .

(٢) إبراهيم : آية ٣٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٨٦ .

(٤) النساء : آية ٣٢ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٣١ .

في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [1] .

قال أبو السعود : "وتعليقُ فعل البلوى ، أي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم إيراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ، ولذلك أُجري مُجراه بطريق التمثيل أو الاستعارة التبعية" [2] .

كما بين أبو السعود هذه العلاقة بين التمثيل والاستعارة في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [3] ، وذلك بقوله : "شبه شمول قدرته وانطواء ملكوته عليهم بإحاطة المحيط بما أحاط به في استحالة الفوت أو شبه الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من أحوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الأول : استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة ، والمبنية على الثانية تمثيلية ، قد اقتُصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها أعني الإحاطة والباقي منوي بألفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مرّ تحريره في قوله عز وجل : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ البقرة : ٧) [4] .

ومن الاستعارة التبعية الحرفية التي تحدث عنها أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [5] ، "أي أمرتكم بما مرّ لإتمامي للنعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة ولإرادتي لما أنه صراط مستقيم مؤدٍّ إلى سعادة الدارين ، وفي التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية – من الدلالة على كمال العناية بالهداية – ما لا يخفى" [6] .

---

(١) هود : آية ٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٨٨ .

(٣) البقرة : آية ١٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٧٥ .

(٥) البقرة : آية ١٥٠ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢١٨ .

وفـــي قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (١) ، فقد بين أبو السعود ذلك بقوله : "فإنْ روعيت في الآية الكـــريمة جهـــة المتكلم يستحيل إرادة ذلك المعنى لاقتناع التوقع من علام الغيوب عـــز وجـــل فيُصار إما إلى الاستعارة بأن يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنةٌ لها لتعاضُد أسبابها برجاء الراجي من المرجوّ منه أمراً هيِّن الحصول في كون متعلَّق كلٍّ منهما متردداً بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول فيستعار له كلمـــة لعـــل اســـتعارة تبعـــية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلـــوب مـــن الوقوع ، وإما إلى التمثيل بأن يلاحظ خلقُه تعالى إياهم مستعدين للـــتقوى وطلبه إياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لأسبابها ، وينتزع ذلك هيئة فتُشـــبَّه بهيـــئة منـــتزعة مـــن الراجي ورجائه من المرجو منه شيئاً سهل المنال فيســـتعمل فـــي الهيئة الأولى ما حقه أن يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلـــية ، قـــد صُرِّح من ألفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبّه بها أعني كلمـــة الترجـــي والباقـــي منوي بألفاظ متخيلة بها يحصـــل التركيب المعتبر في التمثيل . وأما جعل المشبه إرادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فأمرٌ مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن إرادته تعالى" (٢) .

ومن الاستعارة التبعيـــة التمثيلية فقد بيّنها أبو السعود في قولـــه تعالـــى : ﴿ **يُغْشِـــي اللَّـــيْلَ النَّهَارَ** ﴾ (٣) ، "استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه إزالة نور الجـــو بالظلمـــة بتغطـــية الأشـــياء الظاهرة بالأغطية ، أي يستر النهار بالليل ، والتركيـــب وإن احـــتمـــل العكس أيضـــاً بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الأول فـــإن ضـــــوء النهـــار أيضـــاً ساتر لظلمة الليل إلا أن الأنسب بالليل أن يكون هو الغاشي" (٤) .

---

(١) البقرة : آية ٢١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) الرعد : آية ٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٣٨ .

فالاستعارة التمثيلية كما سماها القزويني : المجاز المركب فقال : "وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة ، أي تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه" (١) .

وقد بين أبو السعود الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ (٢) ، فقوله تعالى كيف تعملون : "استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فإن ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه ، أيْ أيَّ عمل أو على الحالية ، أيْ على أيّ حال تعملون الأعمال اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحسن كقوله تعالى : ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ هود : آية ٧ ، والملك : آية ٢ ، ففيه إشعار بأن المراد بالذات والمقصود الأصلي من الاستخلاف إنما هو ظهور الكيفيات الحسنة للأعمال الصالحة (٣) .

ثم تحدث عن الاستعارة التبعية في قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾ (٤) فقال : "وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه يتصرّف فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة بالاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للإيذان بقوة تمكنهم منه وكما ل رسوخهم فيه" (٥) .

كما بين أبو السعود الاستعارة **بالكناية أو الاستعارة المكنية** ، وهي التي قال عنها السكاكي : "هي أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالاً على ذلك

---

(١) التلخيص ، ص ٣٢٢ .

(٢) يونس : آية ١٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٢٠ .

(٤) البقرة : آية ٥ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٤٨ .

بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية" [1] .

وقد مثّل لها أبو السعود لقوله تعالى : ﴿ **وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ ...** ﴾ [2] ، أي : "واهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأمر والنهب والسلب يتفزعون منها ويتطاير شرارها إليهم ، شُبّهت القارعة بالعدو المتوجّه إليهم فأسند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى فيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح" [3] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ** ﴾ [4] ، "أي : جُعلتا محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقتا بهم وجعلتا لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية" [5] .

أو كما قال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** ﴾ [6] ، "أي الحكمة وُصف بها لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونُطقه بها أو هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه أو من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة" .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ** ﴾ [7] ، "أي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف ألسنتكم الكذب وتصوير حاله بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كأن ألسنتكم لكونها منشأ للكذب ومنبعاً للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرّفه أوضح

---

(١) مفتاح العلوم ، ص ٢٠٨ .

(٢) الرعد : آية ٣١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٦٠ .

(٤) البقرة : آية ٦١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٤٠ .

(٦) يونس : آية ١ .

(٧) النحل : آية ١١٦ .

وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال : وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر" [1] .

الاستعارة التخييلية :

كما بين أبو السعود الاستعارة التخييلية والمراد بالتخييلية كما قال السكاكي "أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً لا تحقق له إلا في مجرد الوهم" [2] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾ [3] ، فقال : "والخزائن جمع خزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن أرزاق الناس ، شُبِّهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها ، وكونها مهيأة متأتية لإيجاده وتكوينه ، بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وُجدت بلا تأخر بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية ، فذكرُ الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية" [4] .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ** ﴾ [5].

فقوله تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ** ﴾ : "بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيثُ العلمُ إثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة ، والمفاتح إما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازنُ خُزنت فيها الأمور الغيبية يُغلق عليها ويُفتح ، وإما جمع مفتح بكسرها ، وهو المفتاح ، ويؤيده قراءة من قرأ **(مفاتيح الغيب)**

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٠٠ .

(٢) مفتاح العلوم ، ص ٢٠٥ .

(٣) الحجر : آية ٢١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٤ .

(٥) الأنعام : آية ٥٨ ، ٥٩ .

فهو مستعار لما يُتوصل به إلى تلك الأمور بناء على الاستعارة الأولى ، أي عنده تعالى خاصة خزائن غُيوبه أو يُتوصل به إليها" (١) .

ونجـد أن أبا السعود يتحدث عن علاقة التشبيه بالاستعارة وذلك في قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا** ﴾ (٢) ، ويوضح الاستعارة التصريحية فيقول : "الحرث في الأصل : إلقاء البذور في الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطرق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور ، أي من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة وحرث الدنيا هو متاعها وطيباتها" (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ (٤) ، والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة إيذاناً بكونه في أقصى مراتب التسخُّر والتذلل ، لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جُعلت كلمة "مَنْ" عامة لغيرهم أيضاً وهو الأنسب بالمقام لإفادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما أو بطريق الجزئية منهما لشهرتهما واستبعاد ذلك منها عادة" (٥) .

٢- الترشيح

الرشح : ندى العرق على الجسد ، والترشيح التربية والتهيئة للشيء ، ورُشِّح للأمر : رُبِّيَ له وأهّل ، ورشّح الغيث النَّبات : ربّاه ، ورشحت الأرض البُهمى : ربّتها وبلغت بها" (٦) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٩٣ .

(٢) الشورى : آية ٢٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٥ .

(٤) الحج : آية ١٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٧٤ .

(٦) اللسان : (رشح) .

وهـو فـي **اصطلاح البلاغيين** كما قال عنه ابن أبي الإصبع المصري : "هو أنْ يُؤْتى بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة تؤهلها لذلك" (١) .

وقـد بين أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾ (٢) .

فقـال : "والتجارة صناعة التجار ، وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال ، يقال : ربح فلان في تجارته ، أي استشف فـيها وأصـاب الربح ، وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران إليها ، وهو لأربابها – بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة ، وفائدته المبالغة فـي تخسـيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى مـا يلابسـهم ، وإيـرادهما إثـر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاسـتعارة ، وتصـوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسارة التجارة الذي يتحاشـى عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتحسير ، ولا ينافي ذلك أن التجارة فـي نفسـها اسـتعارة لانهمـاكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى ، وتمـرُّنهم عليه معرفة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة إذ ليس من ضروريات الترشـيح أن يكـون باقياً على الحقيقة ، تابعاً للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتها ، كمـا فـي قولـك : رأيت أسداً وافى البراثن ، فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير للشـجاع ، وأنه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البراثـن معنـى آخر ، بل قد يكون مستعاراً من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحاً لأصل الاستعارة" (٣) .

وقـد أوضح الترشيح للاستعارة في قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا** ﴾ (٤) ، قال أبو السعود: "والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق

---

(١) تحرير التحبير ، ص ٢١٧ .

(٢) البقرة : آية ١٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٦٨ .

(٤) البقرة : آية ٢٥٦ .

الـــذي لا يحـــتمل النقـــيض أصلاً لثبوته بالبراهين النيّرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ، ويجـــوز أن تكـــون العـــروة الوثقـــى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الإيمان والتوحـــيـــد لا للـــنظر الصـــحيح المؤدي إليه كما قيل فإنه غير مذكور في حيز الشـــرط ، والاستمســـاك بهـــا مســـتعاراً لمـــا ذكر من الملازمة ، أو ترشيحاً للاستعارة الأولى" (١) .

وقولـــــه تعـــالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ (٢) ، "إما تمثـــيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمســـك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز فـــي المفردات ، وإما استعارة للحبل لما ذكر من الدين أو الكتاب ، أو الاعتصام ترشيح لها أو مستعار للوثوق به والاعتماد عليه" (٣) .

وقـــد ذكـــر الترشيح في قوله تعالى : ﴿ **ثُـــمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ** ﴾ (٤) ، "وإسناد الأكل إليهن مع أنه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم ، وفيه تلويح بأنه تأويل لأكل العجاف السمان واللام في لهنّ ترشيح لذلك فكأن ما ادُّخر في السنابل من الحبوب شيء قد هُيئ وقُدِّم لهنَّ كالذي يقدم للنازل وإلا فهو في الحقيقة مقدّم للناس فيهن" (٥) .

كمـــا تحـــدث أبـــو السعود عن الترشيح للمجاز في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَنْقُضُـــونَ عَهْـــدَ اللَّهِ** ﴾ (٦) ، "النقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما ، واستعماله في إبطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه مـــن ارتباط أحد كلامي المتعاقدين بالآخر ، فإن شفع بالحبل وأريد به العهد كان

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٩٨ .

(٢) آل عمران : آية ١٠٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٢ .

(٤) يوسف : آية ٤٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٠٠ .

(٦) البقرة : آية ٢٧ .

ترشـــيحاً للمجاز ، وإن قُرن بالعهد كان رمزاً إلى ما هو من روادفه وتنبيهاً على مكانـــه ، وأن المذكـــور قـــد استعير له كما يقال : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس تنبيهاً على أنه أسد في شجاعته وبحرٌ في إفاضته" (١) .

وبيـــن أبـــو السعود الترشيح والتجريد في قوله تعالى : ﴿ **أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْـــيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ** ﴾ (٢) ، "أي مُستحقر لا يُؤبـــه له ، وفي ترشيح الحياة الدنيا بما يُؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها ، وتجـــريد الآخـــرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها" (٣) .

رابعاً : الكناية والتعريض والتلويح

١- الكناية

الكـــناية : "أن تـــتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنّى عن الأمر بغيره ، يكني كناية ، وتكنّى : تستر ، من كنّى عنه إذا ورّى ، أو من الكنية" (٤) .

وفـــي اصـــطلاح البلاغيين : قال السكاكي : "هي ترك الصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك" (٥) .

وقـــال القزوينـــي : "الكنايـــة لفـــظ أُريـــد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" (٦) .

ونجـــد أن أبـــا الســـعود يذكر تعريف الكناية : "والكناية هي الدلالة على الشـــيء بذكـــر لوازمـــه وروادفه كقولك : طويل النجاد للطويل ، وكثير الرماد للمضياف" (٧) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٠٢ .

(٢) التوبة : آية ٣٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٤٨ .

(٤) اللسان : (كني) .

(٥) مفتاح العلوم ، ص ٢١٩ .

(٦) التلخيص ، ص ٣٣٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٧٨ .

وقد قسمها السكاكي إلى ثلاثة أقسام : كناية عن صفة ، وكناية عن موصوف ، وكناية عن تخصيص الصفة بالموصوف (النسبة) [١] .

وقد أشار أبو السعود إلى الكناية وتحدث عنها خاصة في الصفات المتضادة كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ [٢] .

"ونفي المحبة كناية عن البغض ، أي : أن الله يبغض كل خوّان في أماناته تعالى وهي أوامره ونواهيه ، أي في جميع الأمانات التي هي معظمها كفورٌ لنعمته" [٣] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً** ﴾ [٤] ، فهذا : "إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل ، المؤدي إليه أعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذُكر من الفرح وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المُخبر ، ويجوز أن يكون الضحك كناية : عن الفرح ، والبكاء كناية : عن الغمّ ، وأن تكون القلّة عبارة عن العدم ، والكثرة عن الدوام" [٥] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ [٦] ، أي : "ما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدُّهم شفعاء وأصدقاء على أنّ عدمهما كناية عن عداوتهما كما أن عدم المحبة في مثل قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾ (البقرة: ٢٠٥) كناية عن البغض" [٧] .

وأشار إلى الكناية في قوله تعالى : ﴿ **لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾ [٨] ، "فإنه في معنى لا يُبَشَّر يومئذ المجرمون ، والعدول إلي نفي الجنس للمبالغة في

---

(١) مفتاح العلوم ، ص ٢٢٠ وما بعدها .

(٢) الحج : آية ٣٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٨٣ .

(٤) التوبة : آية ٨٢ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٧٥ .

(٦) الشعراء : آية ١٠٠ ، ١٠١ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٥٠ .

(٨) الفرقان : آية ٢٢ .

نفـــي البشرى ، فنفيها بالكلية كناية عن إثبات ضدها كما أن نفي المحبة في مثل قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ (آل عمران: ٣٢) كناية عن البغض والمقت دلّ على ثبوت النذري لهم على أبلغ وجه وآكده" [١] .

كمـــا أشار أبو السعود إلى الكناية عن الموصوف في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ كُنْـــتُمْ مَرْضَـــى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِـــدُوا مَاءً** ﴾ [٢] ، "هو المكان الغائر المطمئن ، والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعـــتاد أو مَـــنْ يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس ، وإسناد المجيء منه إلى واحد منهم من المخاطبين ، دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يُسْتحيا منه أو يستهجن التصريح به ، وكذلك إيثار الكناية فيما عطف عليه مـــن قوله عز وجل ﴿ **أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ على التصريح بالجماع ، ونظمهما في ســـلك سَبَبيْ سقوط الطهارة والمصير إلى التيمم مع كونهما سببيْ وجوبها ، ليس باعتـــبار أنفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى : ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً** ﴾ بـــل هو السبب في الحقيقة ، وإنما ذكرا تمهيداً له وتنبيهاً على أنه سبب للرخصة بعد انفقاد الماء سبب الطهارة الصغرى والكبرى" [٣] .

وكذلـــــك في قولـــه تعالـــى : ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلاماً** ﴾ [٤] ، "أي فضـــول كـــلام لا طائل تحته ، وهو كناية عن عدم صدور اللغو من أهلها ، وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يجتنب عنه في هذه الدار ما أمكن" [٥] .

وأشار أبو السعود إلى الكناية في قوله تعالى : ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِـــكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ** ﴾ [٦] ، فقوله تعالى : ﴿ **فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ** ﴾ لترتيـــب النهي أو موجبه على ما قبلها ، فإن تعيينه تعالى لكل أمة من الأمم التي

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤ .

(٢) النساء : آية ٤٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤٠ .

(٤) مريم : آية ٦٢ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٤٩ .

(٦) الحج : آية ٦٧ .

مـــن جملتهم هذه الأمة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى أمةٌ منهم شريعتها المعينة لهـــا موجـــبٌ لطاعـــة هؤلاء لرسول الله ﷺ ، وعدم منازعتهم إياه في أمر الدين زعمـــاً مـــنهم أن شـــريعتهم ما عيّن لآبائهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخها ، وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجـــيد فحســـب ، والنهـــي إما على حقيقته أو كناية عن نهيه عليه السلام عن الالـــتفات إلـــى نزاعهم المنبئ على زعمهم المذكور ، وإما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام من منازعتهم فلا يساعده المقام" (١) .

كمـــا أشار أبو السعود إلى موطن الكناية في قوله تعالى : ﴿ **وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ** ﴾ (٢) ، "أي نتبعهم فـــي ديـــنهم إنْ كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام ، وليس مرادهم بذلك أن يتـــبعوا ديـــنهم حقيقة ، وإنما هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام ، لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حَمْلاً لهم على الاهتمام والجدّ في المغالبة" (٣) .

وبيـــن أبـــو الســـعود علاقة المجاز بالكناية في مثل قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُـــونَ الْعَـــرْشَ وَمَـــنْ حَوْلَهُ** ﴾ (٤) ، "وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهـــم وجوداً وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده" (٥) .

وكذلـــــك في قولـــه تعالـــى : ﴿ **لَأَقْعُـــدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (٦) ، "أي لأقعدن إلى آدم وذريته ترصداً كما يَقْعُد القطاع للقطع على السابلة ، صراطك المســـتقيم : الموصـــل إلى الجنة وهو دين الإسلام ، فالقعود : مجاز متفرع على الكناية" (٧) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٩٦ .

(٢) الشعراء : آية ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٠ .

(٤) غافر : آية ٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٠٨ .

(٦) الأعراف : آية ١٦ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٨٣ .

ونجد أن أبا السعود قد خالف الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ (١) .

قال الزمخشري : "عفا الله عنك : كناية عن الجناية لأن العفو مرادف لها ومعناه : أخطأت ، وبئسما فعلت : لم أذنت لهم ، بيان كنى عنه بالعفو" (٢) .

وقد ردّ عليه أبو السعود بقوله : "والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين ، وعما يتعلق بالكذب بالعلم ، لما هو المشهور من أن مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي ، وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه الصلاة والسلام وتعهده بحسن المفاوضة ، ولطف المراجعة ما لا يخفى على أولي الألباب ، قال سفيان بن عيينة : "انظر إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو" (٣) .

ويتابع أبو السعود ردة على الزمخشري بقوله : "ولقد أخطأ ..... وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم أنّ الكلام كناية عن الجناية ، وأن معناه أخطأت وبئسما فعلت هَبْ أنه كناية ، أليس إيثارها على التصريح بالجناية للتلطف في الخطاب ، والتخفيف في العتاب ؟ وهَبْ أن العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح ، واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء أو يسوّغ إنشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح إلى رتبة يُتَعَجَّبُ منها ! ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين بل كان فساداً وخبالاً" (٤) .

---

(١) التوبة : آية ٤٣ .

(٢) الكشاف ، ج٢ ، ص ٢٦٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٥٤ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٥٥ .

٢- التعريض

التعريض : عرّض لفلان وبه : إذا قال فيه قولاً وهو يعيبه ، يقال : عرّض تعريضاً ، إذا لم يبيّن ، والتعريض خلاف التصريح ، والمعاريض : التورية بالشيء عن الشيء" (١) .

والتعريض في اصطلاح البلاغيين : كما عرّفه ابن الأثير : "فهو اللفظ الدالّ على الشيء من طريق المفهوم ، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي ، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عُريان والبرد قد آذاني ، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب ، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً ، إنما دلّ عليه من طريق المفهوم وإنما سمي التعريض تعريضاً لأن المعنى فيه يفهم من عُرضه : أي من جانبه ، وعُرْض كل شيء : جانبه" (٢) .

وقد بيّن أبو السعود هذه المسألة البلاغية في كثير من المواضع منها قوله تعالى : ﴿ **وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ (٣) ، ونفي المحبة كناية عن البغض ، وفي إيقاعه على الظالمين تعريضٌ بمحبته تعالى لمقابليهم ، والمراد بهم إما غير الثابتين على الإيمان ، فالتقرير من حيث إن بغضه تعالى لهم من دواعي إخراج المخلصين المصطَفَيْن للشهادة من بينهم ، وإما الكفرة الذين أُديل لهم ، فالتقرير من حيث إن ذلك ليس بطريق النصرة لهم" (٤) .

كما بين أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴾ (٥) .

---

(١) اللسان : (عرض) .

(٢) المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٨٦ .

(٣) آل عمران : آية ١٤٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٩ .

(٥) البقرة : آية ٢٣٥ .

فقـــال : الـــتعريض ، والتلويح إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً ، كما تقول في التعريض لخطبتهن : إنك جميلة أو صالحة ، ومن غرضي أن أتـــزوج ، ونحـــو ذلك مما يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليها إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح" (١) .

وكذلـــك فـــي قوله تعالى : ﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي** ﴾ (٢) ، "أي فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحـــب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عـــدوه ، أو لأن مـــن يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو أعدى عدو الإنسان لكنه عليه الصلاة والسلام صوّر الأمر في نفسه تعريضاً بهم فإنـــه أنفـــع في النصيحة من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول" (٣) .

كمـــا أوضح أبو السعود هذه المسألة في قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـــذَا بِآلِهَتِـــنَـــا يَـــا إِبْرَاهِيـــمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَـــنْطِقُونَ** ﴾ (٤) ، فقد : "سلك عليه السلام مسلكاً تعريضياً يؤديه إلى مقصده الذي هـــو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقّي من الكذب ، ويحكى أنه عليه السلام قال : فعله كبيرهم هذا غضب أن نعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها فيكون تمثيلاً أراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادته الأصنام" (٥) .

وهـــنا يـــناقش أبو السعود رأي الزمخشري في تفسيره للآية معارضاً له وآخـــذاً عليه قوله : وأما ما قيل "من أنه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٧٨ .

(٢) الشعراء : آية ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٦ .

(٤) الأنبياء : آية ٦٢ ، ٦٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

فـيه غرضـــه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم ومُثِّل لذلك : بما لو قال لك أُمِّي فيما كتبـتَهُ بخـط رشيق وأنت شهير بحسن الخط : أأنت كتبتَ ؟ كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك وإثباتها له" (١) .

فبمعزل من التحقيق لأن خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد "تقرير الكـتابة لنفسـك وادعاء ظهور الأمر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على أن صدورها من غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك" (٢) .

ولا ريب في أن مراده عليه السلام من إسناد الكسر إلى الصنم ليس مجرد تقريـره لنفسـه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عـندهم بـل إنما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم كما ينبـيء عنه قوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ** ﴾ (٣) ، أي إن كانوا ممن يمكـن أن ينطقوا وإنما لم يقل عليه السلام : إن كانوا يسمعون أو يعقلون مع أنَّ السؤال موقوف على السمع والعقل أيضاً لما أن نتيجة السؤال هو الجواب ، وأن عدم نطقهم أظهر وتبكيتهم بذلك أدخل ، وقد حصل ذلك أولاً حسبما نطق به قوله تعالى : ﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ** ﴾ (٤) ، أي راجعوا عقولهم وتذكروا أن ما لا يقدر علـى رفـع المضـرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره" (٥) .

ونجد أن ابن الأثير قد فرّق بين الكناية والتعريض فقال : "واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً ؛ فتأتي على هذا تارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما الـتعريض فإنه يختص باللفظ المركب ، ولا يأتي في المفرد البتة ، والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ، وإنما يفهم من جهة التلويح والإشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج في الدلالة

---

(١) الكشاف ، ج٣ ، ص ١٢١ .

(٢) الكشاف ، ج٣ ، ص ١٢١ .

(٣) الأنبياء : آية ٦٣ .

(٤) الأنبياء : آية ٦٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٤٦ .

عليه إلى اللفظ المركب" [١] .

٣- التلويح

التلويح : "ألاح بالسيف ولوّح : لمع به وحرّكه ، وألاح بثوبه ، ولوّح به : أخذ طرفه بيده من مكان بعيد ثم أداره ولمح به ليريه من يحب أن يراه" [٢] .

وفي اصطلاح البلاغيين فقد عرّفه السكاكي فقال : "متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً وإذا لم تكن كذلك ، نظر فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنّى عنها متباعدة لتوسط لوازم كما في : "كثير الرماد" وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً ، لأن التلويح : هو أن تشير إلى غيرك عن بعد" [٣] .

ونجد أن أبا السعود قد بيَّن هذه المسألة البلاغية في مثل تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ [٤] ، "وإيثار غيرُ صالح على فاسد إما لأن الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصّاً فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم ، وإما للتلويح بأن نجاة من نجا إنما هي لصلاحه" [٥] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً** ﴾ [٦] ، أي متروكاً بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرمقوا إليه رأساً ولم يتأثروا بوعيده ، وفيه تلويح بأنّ من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم" [٧] .

---

(١) المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٨٦ ، وانظر البيان في ضوء أساليب القرآن ، ص ٢٧٨ .

(٢) اللسان : (لوح) .

(٣) مفتاح العلوم ، ص ٢٢٤ .

(٤) هود : آية ٤٦ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣١٨ .

(٦) الفرقان : آية ٣٠ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٨ .

وأيضـــاً فـــي قولـــه تعالـــى : ﴿ **فَلَمـــَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّـــهُ هُوَ** ﴾ [1] ، أي : "لم تقل هُو هُو مع علمها بحقيقة الحال تلويحاً بما اعتراه بالتنكـير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في محاورته عليه الصلاة والسلام" [2] .

---

(١) النمل : آية ٤٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٨٧ .

الفصل الرابع
مسائل علم البديع في تفسير أبي السعود

الفصل الرابع

مسائل علم البديع في تفسير أبي السعود

"وهـــو علـــم يُعـــرف بـــه وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[1] .

فقد أشار أبو السعود إلى موضوعات هذا العلم وتحدث عنها في تفسيره ، وقد ظهرت جهوده في هذه المواطن :

١- المقابلة والمطابقة .

٢- التضمين .

٣- اللف والنشر .

٤- أسلوب الحكيم .

٥- المشاكلة .

٦- التجريد .

٧- المماثلة .

٨- الاستطراد .

---

(١) التلخيص ، ص ٣٤٧ .

المقابلة أو المطابقة

المقابلة : "قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً : عارضه والمقابلة : المواجهة والتقابل مثله" (١) .

نجد أن أبا السعود قد استخدم هذين المصطلحين بمعنى واحد ، قال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾ (٢) ، "الفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله" (٣) .

كما قال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (٤) ، "وتفصيل هذه الآية الكريمة بـ (لا يعلمون) لما أنه أكثر طباقاً لذكر السفه الذي هو فنٌّ من فنون الجهل" (٥) .

ثم قال في تفسيره لنفس الآية : "والسفه : خفةٌ وسخافةُ رأيٍّ يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والأناة" (٦) .

فهو يستخدم مصطلح المطابقة بمعنى المقابلة ، ولذلك نجد ابن الأثير يقول : "والأليق أن يسمى هذا النوع المقابلة لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين : إما أنْ يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده" (٧) .

فالطباق معناه : التضاد والتكافؤ (٨) ، وقال ابن الأثير : "وقد وجدنا الطباق في اللغة من طابق البعير في سيره إذا وضع رجله موضع يده ؛ لأن اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذي يقعان فيه" (٩) .

---

(١) اللسان : (قبل) .

(٢) البقرة : آية ١١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٦١ .

(٤) البقرة : آية ١٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٦٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٦٣ .

(٧) المثل السائر ، ج٢ ، ص ٢٦٥ .

(٨) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص ١٤٣ ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨م .

(٩) المثل السائر ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .

وقد فسّر أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا** ﴾ (١) ، فقال : "مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل" (٢) .

قال الزركشي عن الطباق : "هو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل من مثل البياض والسواد والليل والنهار ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً** ﴾ فقد طابق بين الضحك والبكاء والقليل والكثير" (٣) .

وقال أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ** ﴾ (٤) .

(الأعمى والبصير) : أي الكافر والمؤمن ، **(ولا الظلمات ولا النور)** أي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ، **(ولا الظل ولا الحرور)** أي ولا الثواب ولا العقاب ، وإدخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد ، **(وما يستوي الأحياء ولا الأموات)** تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ، ولذلك كُرِّر الفعل وأوثر صيغة الجمع بين الطرفين تحقيقاً للتباين بين أفراد الفريقين" (٥) .

كما يستخدم أبو السعود مصطلح المطابقة باسم المقابلة في قوله تعالى : ﴿ **وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً** ﴾ (٦) ، فيقول : وإنما هو بمقابلة قوله تعالى : ﴿**حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ (الكهف : آية ٣١) (٧) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ** ﴾ (٨) ، قال : وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلها" (٩) .

---

(١) الأعراف : آية ١٩٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٦٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص ٤٥٥ .

(٤) فاطر : آية ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٦) الكهف : آية ٢٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٨٨ .

(٨) المؤمنون : آية ٩٦ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٣٠ .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾ [١] ، قال أبو السعود : "وتقديمها على النور لتقدم الإعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين" [٢] .

ونجد أن السيوطي يستخدم مصطلح المقابلة تحت اسم المطابقة يقول : "ومنه نوع يسمى المقابلة وهو أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادهما على الترتيب" [٣] .

وقد استخدم أبو السعود ذلك المصطلح بما يشبه اللف ، وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [٤] قال أبو السعود : "يقيمون الصلاة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى : (نسوا الله) ، (يؤتون الزكاة) بمقابلة قوله تعالى : (ويقبضون أيديهم) ، (ويطيعون الله ورسوله) أي في كل أمر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة" [٥] .

وهو يرجع ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [٦] .

كما بين أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ** ﴾ [٧] ، قال أبو السعود : فالموصول مبتدأ والشرطية

---

(١) الأنعام : آية ١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٤٨ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص ٢٨٥ .

(٤) التوبة : آية ٧١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٦٩ .

(٦) التوبة : آية ٦٧ .

(٧) الرعد : آية ١٨ .

كمـــا هـــي خبره لكن لا على أنهـــا وُضعت موضع (السوأى) فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الأولـــى لمراعاة حسن المقابلة فصار كأنه قيل : للذين لـــم يستجيبوا له السوأى كما يوهم فإن الشرطية وإن دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل عن القيام مقام لفظ الســـوأى مصحوباً باللام الداخلة على الموصول أو ضـــميره وعلـــيه يـــدور حصول المرام ، وإنما الواقـــع في تلك المقابلة سوء الحســـاب في قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ** ﴾ وحيث كان اسم الإشارة الواقـــع مبـــتدأ فـــي هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقـــع مبتـــدأ في الجملة الســـابقة كـــان خبرها أعني الجملة الظرفية خبراً عنه أولاً ، ولذلك ترك العطف فصـــار كأنه قيل : والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلـــك في قوة ، أي يقـــال : وللذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتمّ حسنُ المقابلة على أبلغ وجه وآكده" [١] .

وأحـــياناً يُحذف أحد المتقابلين كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَـــرّاً وَلا رَشَـــداً** ﴾ [٢] ، قال أبو السعود : "كأنه أريدَ لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ولا غيّاً ولا رشداً فترك من كلا المتقابلين ما ذُكر في الآخر" [٣] .

وأحياناً يُحذف أحد الضدين كما بيّنه أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾ [٤] ، فقال : "نُزّل الملوان منزلة الملكان فعبّر عن نسبة الأشـــياء الزمانية إليهما بالسُّكنى فيهما أو السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما أو تحرّك فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر" [٥] .

ومـــن هـــذه الأمـــثلة نستخلص أن أبا السعود استخدم مصطلحي المقابلة والطـــباق بمعـــنى واحد ، وقد تبينا من الأمثلة التي ذكرها باسم المقابلة أنه يجمع بين المتقابلين سواء كانت المقابلة بين كلمتين أو أكثر .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٥١ .

(٢) الجن : آية ٢١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣١٧ .

(٤) الأنعام : آية ١٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٦١ .

فالسيوطي جمعهما في باب واحد هو المطابقة كما بيّنا فيما سبق وابن الأثير جعل الطباق أحد أنواع المقابلة .

ونريد أن نختم حديثنا هذا بقول الدكتور فضل عباس : ورأيه في المطابقة والمقابلة فيقول : "جمهور العلماء على أن المقابلة غير الطباق ، والمقابلة عندهم أن يؤتى بمعنيين فأكثر ، ثم بما يقابل هذه المعاني ، أما الطباق فلا يكون إلا بين معنى واحد وما يقابله فأنت ترى أن الطباق والمقابلة من حيث الموضوع شيء واحد ، كل ما في الأمر أن الطباق يكون بين معنيين ، أما المقابلة فيشترط لها أكثر من ذلك ، ولا نرى ضرورة لهذا الاصطلاح ما دام الموضوع واحداً ، ولِمَ لا تكون المطابقة والمقابلة شيئاً واحداً وتكون بين المعنى الواحد وما يقابله أو بين معنيين وما يقابلهما أو بين ما يزيد على اثنين ، ولا مُشاحَّة في الاصطلاح كما يقولون" (١) .

التضمين

التضمين : ضمّن الشيء للشيء : أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع ، وقد تضمنه هو ، والمضمّن من الشعر ما ضمنته بيتاً" (٢) .

وهو في الاصطلاح : "أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء وإن كان مشهوراً فلا حاجة إلى التنبيه" (٣) .

ولكن التضمين عند أبي السعود هو كما عرفه الزركشي بقوله : "وهو إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف" (٤) .

قال أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ** ﴾ (٥) "الإيلاء الحلف وحقه أن يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد ،

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها "علم البيان والبديع" ، ص ٢٧٨ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط١ ١٩٨٥م ، ولا مشاحة في الاصطلاح : لا مجادلة فيما تعارفوا عليه (شحَ) المعجم الوسيط ٤٧٦/١ .

(٢) اللسان : (ضمن) .

(٣) معاهد التنصيص للعباسي ،ج٤ ،ص ١٥٣ ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٤٧م

(٤) البرهان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص ٣٣٨ .

(٥) البقرة : آية ٢٢٦ .

أي للذيـــن يحلفـــون متباعديـــن مـــن نسائهم ، ويحتمل أن يراد لهم من نسائهم ، والإيلاء من المرأة أن يقول : والله لا أقربُـــك أربعـــة أشهر فصاعداً على التقييد بالأشهر أو لا أقربك على الإطلاق" [١] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ** ﴾ [٢] ، فهـــي : "صـــفة كاشـــفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم ، والدعـــاء أي إذا اكـــتالـــوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافياً وافراً ، وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء ، أو للإشارة إلى أنـــه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمـــة إذا لإخلالـــه بالمعـــنى بـــل في نفس الأمر بموجب الجواب ، فإن المراد بالاســـتيفاء لـــيس أخـــذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حســـبما أرادوا بـــأي وجـــه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه" [٣] .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [٤] "متذللين ومتواضعين لهم ، واستعماله (بعلى) إما لتضميـــن معنى العطف والحنو أو للتنبـــيـــه علـــى أنهـــم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحـــتهم ، أو لـــرعاية المقابلـــة بينه وبين على في قوله تعالى : ﴿ **أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ أي أشداء متغلبين عليهم من عزّه إذ غلبه" [٥] ، فالفعل ذلّ عدي بعلى وحقه أن يُعدى باللام ولكنه تضمن معنى عطف أو حنا عليه .

ومـــثل قوله تعالى : ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ** ﴾ [٦] ، "وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى : ﴿ **واصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾(طه :١٣٢)

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٧٠ .

(٢) المطففين : آية ٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٩٤ .

(٤) المائدة : آية ٥٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٨٨ .

(٦) مريم : آية ٦٥ .

لتضـمينه معـنى الثـبـات للعـبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز : اصطبر لِقَرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شدائده" (١) .

وقـد أشار أبو السعود إلى تضمين الاسـم معنـى الاسم في قوله تعالى : ﴿ **حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ** ﴾ (٢) ، "والمعنى واجب عليَّ القول الحـق أن أكـون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به ، أو ضُمّن حقيق بمعنى حـريص ، أو وضع على موضع الباء لإفادة التمكن كقولهم رميتُ على القوس ، وجئتُ على حالٍ حسنةٍ ويؤيده قراءة أُبيّ بالباء وقرئ حقيق أن لا أقول" (٣) .

اللف والنشر

وقد سماه الحموي : الطي والنشر (٤) .

الطي : نقيض النشر ، طويته طيّاً وطِيّة وطَيّة بالتخفيف (٥) .

فـي اصـطلاح البلاغيين قال القزويني : "هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمـال ثـم مـا لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه" (٦) ، وقال المـبرد : "والعـرب تلـف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كلٍّ خبره" (٧) .

وقـد ذكـر أبو السعود هذا الموضوع في مواطن متعددة ومثال في قوله تعـالى : ﴿ **كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ (٨) ، قال أبو السـعود : "فالمراد بالمكث في الأرض ما هو أعم من المكث في نفسها ومن البقاء في أيدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكـة الموافق للترتيـب الواقـع في التمثيل لمراعاة الملاءمة

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٥٠ .

(٢) الأعراف : آية ١٠٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٤ .

(٤) خزانة الأدب ، ج١ ، ص ١٤٩ ، شرح عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط٢ ١٩٩١م .

(٥) اللسان : (طوي) .

(٦) الإيضاح : ج٦ ، ص ٤٢ .

(٧) الكامل ، ص ١٠٧ .

(٨) الرعد : آية ١٧ .

بيـــن حالتـــي الذهـــاب والبقاء وبين ذكريهما فإن المعتبر إنما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله" (١) .

كما بين أبو السعود مسألة اللف في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَـارَى تَهْـتَدُوا** ﴾ (٢) ، فقال : "أي قالت اليهود كونوا هوداً والنصارى كونوا نصارى ففعل بالنظم الكريم ما فُعل بقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى** ﴾ اعتماداً على ظهور المراد" (٣) .

وقـــد بيـــن أبو السعود هذه المسألة في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّـــيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً** ﴾ (٤) ، فقال : كما أن العلة الغائية من الجملة الثانـــية محذوفـــة اعـــتماداً على ما في الأول والتقدير هو الذي جعل الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمصالحكم" (٥) .

وقـــد بيّـــن أبو السعود مسألة اللف وتحدث عنها في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَـــنْ يَشَـــاءُ مِـــنْ عِبَادِهِ** ﴾ (٦) ، قال أبو السعود : "ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان أن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما يمـــسُّ من يَمسُّه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي أو أريد معنى الفعليـــن وفـــي كـــل من الضر والخير وأنه لا رادّ لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب منهما فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة ليدل بما ذكـــر في كل جانب على ما تُرك في الجانب الآخر على أنه قد صرّح بالإصابة حيـــث قـــيل : "يصيب به إظهاراً لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاســـتثناء فـــيه ، أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه" (٧) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٥٠ .

(٢) البقرة : آية ١٣٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

(٤) يونس : آية ٦٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٥٩ .

(٦) يونس : آية ١٠٧ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٧٨ .

كمـــا بيّـــن أبو السعود طريقة اللف في قوله تعالى : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُـــوَ يُدْرِكُ الأَبْصَـــارَ وَهـــوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (١) ، قال أبو السعود في تفسيره لهـــذه الآيـــة : **(لا تدركه الأبصار)** البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيـــث إنها محلُّهـــا وإدراك الشيء عبـــارة عن الوصـــول إليـــه والإحاطة به ، أي لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به ، **(وهو يدرك الأبصار)** أي يحيط بها علمه إذ لا تخفـــى علـــيه خافـــية ، **(وهو اللطيف الخبير)** فيدرك ما لا تدركه الأبصار ويجـــوز أن يكون تعليلاً للحكمين السابقين على طريقـــة اللـــف ، أي لا تدركـــه الأبصـــار لأنـــه اللطيف وهـــو يدرك الأبصـــار لأنه الخبيـــر فيكـــون اللطيف مستفاداً من مقابل الكثيف لما لا يُدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها" (٢) .

أسلوب الحكيم

هـــو في اصطلاح البلاغيين : وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقَّبُ تنبيهاً به على أنه أولى بالقصد (٣) .

تحدث أبو السعود عن هـــذا المصطلح البلاغـــي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ (٤) ، قال أبو الســـعود : "لما ظهر بُطلان مـــا ادعـــوا مـــن أنَّ إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله تعالى ومشـــيئته بظهـــور عجـــزهم عن إخراج سر يُتمسّك به في ذلك وإحضار شهداء يشـــهدون بمـــا ادعوا في أمر التحريم بعدما كُلّفوه مرة بعد أخرى عجزاً بيّناً أمر رســـول الله ﷺ بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيـــم إيذانـــاً بأن حقهـــم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد بُيِّنت بقوله تعالى : ﴿ **قُلْ لا أَجِدُ ....** ﴾ " (٥) .

---

(١) الأنعام : آية ١٠٣ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٢٤ .

(٣) التبـــيان فـــي علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ، ص ٢٩٥ ، تحقيق د. هادي عطية الهلالي ، مكتبة النهضة العربية ، ط١ ، ١٤٠٧هـــ-١٩٨٧م .

(٤) الأنعام : آية ١٥١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٥٨ .

كمـــا أوضـــحه أبو الســـعود في قوله تعالى : ﴿ **قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَـذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْـنـاً * قَـالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّـهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى** ﴾ [١] ، قـال أبو السعود : "والجواب من باب الأسلوب الحكيم لأن الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال : أما الكافر فيراعى في حقه قوة الإسلام وأما المؤمن فلا يُتعرض له إلا بما يحب" [٢] .

المشاكلة

الشكل : الشِّبْه والمِثْل وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه [٣] .

أما في الاصطلاح البلاغي : "ذكر الشيء بلفـظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً" [٤] .

وقـــد تحـــدث أبـــو السعود كثيراً عن موضـــوع المشاكلة في تفســـيره للآيـــات القرآنـــيـــة ومن هـــذه المواضع في قوله تعالى : ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّـــهُ خَـــيْرُ الْمَاكِرِيـــنَ** ﴾ [٥] ، قال أبو السعود : "والمكـــر من حيـــث إنه في الأصـــل حـــيلـــة يُجلـــب بها غيـــرهُ إلى مضرّة لا يمكن إسناده إليه سبحانه إلا بطريق المشاكلة" [٦] .

وكذلـــك في قوله تعالى : ﴿ **قَـــالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم** ﴾ [٧] ، قـــــال أبـــو الســـعود : "أي نســـتجهلكم فيمـــا أنتم عليه وإطلاق السخرية عليه للمشاكلة" [٨] .

---

(١) الكهف : آية ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢١٥ .

(٣) اللسان : (شكل) .

(٤) الإيضاح ، ج٦ ، ص ٢٦ .

(٥) آل عمران : آية ٥٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

(٧) هود : آية ٣٨ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣١١ .

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (١) ، قال أبو السعود : "إخبار بمجازاته إياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة" (٢) .

ثم أوضح أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ (٣) ، فقد ذكر أبو السعود ذلك بقوله : "أي بمثل ما فُعل بكم وقد عبّر عنه بالعقاب علىطريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تُدان أو على نهج المشاكلة" (٤) .

كما عبّر أبو السعود عنه في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾ (٥) ، وذلك بقوله : "أي لم يزد في الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة أو لكونه سبباً له" (٦) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (٧) ، قال أبو السعود : "فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة" (٨) .

كما أظهر أبو السعود هذا النوع من قوله تعالى : ﴿ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٩) ، وقد عبّر أبو السعود عن ذلك بقوله : "فإنه يستدعي أن يكون المستحى منه أمراً حقاً متعلقاً بهم لا أنفسهم وما ذلك إلا إخراجهم فينبغي أن لا يُترك حياءً ولذلك لم يتركه تعالى وأمركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة" (١٠) .

---

(١) التوبة : آية ٧٩ .
(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٧٣ .
(٣) النحل : آية ١٢٦ .
(٤) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٠٥ .
(٥) الحج : آية ٦٠ .
(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .
(٧) التوبة : آية ٦٧ .
(٨) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٦٧ .
(٩) الأحزاب : آية ٥٣ .
(١٠) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٣٦ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ** ﴾ [1] ، قال أبو السعود : "يقال لبستُ الأمر على القوم أُلبسه إذا شبّهته وجعلتُه مُشكلاً عليهم وأصله الستر بالثوب ، أي ولخلّطنا عليهم بتمثيله رجلاً والتعبير عن تمثيله تعالى رجلاً باللّبْس إما لكونه في صورة اللبس أو لكونه سبباً للبسهم أو لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير مَلَكاً" [2] .

وقد تحدث أبو السعود عن المشاكلة في قوله تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً** ﴾ [3] ، فقد جعل وعد الشيطان في مقابل وعد الله للمشاكلة ، فقال أبو السعود : "إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وإنما عبّر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان لم يُضف مجيء الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغته في الإخبار بتحقق مجيئه كأنه نزّله في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة بحسب إرادته أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة" [4] .

التجريد

التجريد : مصدر من جردته من ثيابه إذا نزعتها عنه [5] .

وقد ذكر أبو السعود الاصطلاح البلاغي له بقوله : "على أنّ التجريد – وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرٌ آخر مثلُه – مبالغة لكماله فيها . كما يقال : في البيضة عشرون منّا حديدٌ وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ** ﴾ [6] أي هي بعينها دار إقامتهم" [7] .

---

(١) الأنعام : آية ٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٥٩ .

(٣) البقرة : آية ٢٦٨ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١١ .

(٥) اللسان : (جرد) .

(٦) فصّلت : آية ٢٨ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٤٣ ، الإيضاح ، ج٦ ، ص ٥٤ .

وقد قسمه ابن قيم الجوزية إلى قسمين فقال : وهو على قسمين : الأول خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى باسم التجريد وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له ، والقسم الثاني خطاب المتكلم لنفسه مخيّلاً لها أنّ معه غيره كما قيل وهذا النوع في القرآن العظيم منه كثير" (١) .

وقد تحدث أبو السعود في تفسيره عن هذا الموضوع كثيراً ، وبين ذلك في مواطن كثيرة من مثل قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** ﴾ (٢) ، قال أبو السعود : "أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام لا يلتفتوا إليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بأنك تراهم ينظرون إليك والحال أنهم لا يُبصرونك حق الإبصار تنبيهاً على أن ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين" (٣) .

ومثل له أبو السعود أيضاً بقوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ (٤) ، أي : "خصلة حسنة حقُّها أنْ يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون مناً حديداً ، أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد" (٥) .

وقد تحدث ابن القيم عن الصلة بين التجريد والالتفات وبين التجريد والتلوين ، فقد قال في حديثه عن موضوع التجريد وخاصة في القسم الثاني منه وهو خطاب المتكلم لنفسه فقال : "وهذا النوع في القرآن منه كثير وسنذكره في فصل تلوين الخطاب إن شاء الله تعالى وقد ذكرنا منه طرفاً في أنواع الالتفات فانظره هناك فهو كثير" (٦) .

---

(١) الفوائد المشوق على علوم القرآن وعلم البيان ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢) الأعراف : آية ١٩٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٧٠ .

(٤) الأحزاب : آية ٢١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢١٧ .

(٦) انظر الفوائد المشوق ، فصل الالتفات ، ص ٩٨ ، وفصل تلوين الخطاب ، ص ٢٥٥ .

فهـذا يؤكـد أن هنـاك صلـة بيـن علـوم البلاغة كما هي الصلة بين علم البديـع وعلـم المعانـي [١] ، من مثل قولـه تعالـى : ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَـا آمَنْـتُمْ بِـهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّـمِيعُ الْعَلِـيمُ** ﴾ [٢] ، (**فَسَـيَكْفِيكَهُمُ اللَّـهُ**) هذا "تسلية لرسول الله ﷺ وتفريح المؤمنيـن بوعـد النصـر والغلبـة ضمـان التأييد والإعزاز وتلوين الخطاب بـتجريده للنبـي ﷺ مع أن ذلك كفايـة منـه سبحانه للكل ، وقد أنجز الله وعده بقتل بني النضير" [٣] .

ومن صور التجريد ما يكـون بـ (في) التجريدية كقوله تعالى : ﴿ **مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ** ﴾ [٤] ، فقد ذكر أبو السعود ذلـك بقوله : "أي ازدجار من تعذيب ووعيد أو موضـع ازدجـار علـى أنّ (فـي) تجريدية والمعنى أنه في نفسه موضع ازدجار"[٥] .

وكذلـك فـي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [٦] ، قال أبو السعود : "وهـذه الأحـوال وإن كانـت هي الآيات نفسها لا أنها فيها إلا أنه قد جرِّدت عنها أمثالها مبالغة في كونها آية (ففي) تجريدية مثلها في قوله تعالى : ﴿ **لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ** ﴾ (فصلت: ٢٨) "[٧] .

ومـن صـور الـتجريد ما يكون بمن التجريدية كقوله تعالى : ﴿ **لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ** ﴾ [٨] ، قال أبو السعود : "أي فراش من تحتهم و(من) تجريدية" [٩] .

---

(١) انظر مقال : العلاقة بين علم البديع وعلمي المعاني والبيان ، د. محمد شعبان علوان ، مجلة الزهراء ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، العدد الرابع عشر ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

(٢) البقرة : آية ١٣٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٠٦ .

(٤) القمر : آية ٤ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٦٦ .

(٦) الرعد : آية ٤ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٣٩ .

(٨) الأعراف : آية ٤١ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٩٣ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً** ﴾ [١] ، قال أبو السعود : "أو اجعل أمرنا راشداً كلَّه على أن من تجريدية مثلُها في قولك : رأيتُ منك أسداً" [٢] .

ومنه ما يفهم من سياق الكلام كما هو في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [٣] ، قال أبو السعود : "أي حاضر بفطنته لأن مَنْ لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للإيذان بأنّ من عرِّي قلبه عنها كمن لا قلب له أصلاً" [٤] .

المماثلة

المماثلة : مثْل : كلمة مستوية يقال : هذا مِثْله ومثلُه ، والفرق بين المماثلة والمساواة أنّ المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين" [٥] .

وفي الاصطلاح البلاغي : يقول قدامة بن جعفر وقد ذكر المماثلة بمعنى التمثيل : "وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه" [٦] .

وقد تحدث أبو السعود عن المماثلة في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** ﴾ [٧] ، قال أبو السعود : "وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد رتبتها ، أي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها ، وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء ، وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن

---

(١) الكهف : آية ١٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ١٧١ .

(٣) ق : آية ٣٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٣١ .

(٥) اللسان : (مثل) .

(٦) نقد الشعر ، ص ١٥٨ .

(٧) ق : آية ١١ .

الإنـــبات وتهويـــن لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس" [١] .

وأيضـــاً فـــي قوله تعالى : ﴿ **فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَـــا كَذَلِـــكَ النُّشُـــورُ** ﴾ [٢] ، قـــال أبو السعود : "ولتكميل المماثلة بين إحياء الأرض وبيـــن البعث الذي شُـــبِّه به بقوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ النُّشُور** ﴾ ، أي مثل ذلـــك الإحـــيـــاء الـــذي تشـــاهدونه إحيـــاء الأموات في صحـــة المقدورية وسهولة التأتي" [٣] .

وكذلـــك فـــي قوله تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً** ﴾ [٤] ، قال أبو السعود : "والجملـــة عطف على أوحينا داخل في حكمه لأن إيتاء الزبور من باب الإيحاء ، أي وكمـــا آتينا داود زبوراً وإيثاره على أوحينا إلى داود لتحقيق المماثلة في أمر خـــاص وهو إيتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الإيحاء ثم أشير إلى تحقيقها في أمر لازم لهما لزوماً كلياً وهو الإرسال فإن قوله تعالى : **(ورسلاً)** نصب بمضمر يـــدل علـــى أوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله ، أي وكما أرســـلنا رســـــلاً لا بما يفســـره قوله تعالى : **(قد قصصنا عليك)** أي وقصصنا رسلاً" ، والحق أن يكون انتصابهما بأرسلنا فإن فيه تحقيقاً للمماثلة بين شأنه عليه الصـــلاة والســـلام وبين شئون من يعترفون بنبوته من الأنبياء عليهم السلام في مطلـــق الإيحاء ثم إيتاء الكتـــاب ثم في إرساله [٥] ، كما أوضح أبو السعود ذلك فـــي قوله تعالى : ﴿ **يَأْكُـــلُ مِمَّا تَأْكُلُـــونَ مِنْـــهُ وَيَشْـــرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ** ﴾ [٦] ، فقال : "تقرير للمماثلة" [٧] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٢٤ .

(٢) فاطر : آية ٩٠ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧٤ .

(٤) النساء : آية ١٦٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٢١ .

(٦) المؤمنون : آية ٣٣ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤١٣ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً** ﴾ [1] قال أبو السعود : "لباساً يستركم بظلامه كما ستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر عند النوم من اللحاف ونحوه ، فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلاً للنوم الذي جُعل موتاً كما جعل النهار محلاً لليقظة المعبر عنها بالحياة ، ومعاشاً : أي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو أخو الموت" [2] .

الاستطراد

الاستطراد : "اطّرد الشيء : تبع بعضه بعضاً وجرى ، واطّردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضاً واطّرد الكلام إذا تتابع" [3] .

وفي الاصطلاح البلاغي : قال العلوي : "هو أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل فإن تمادى فهو الخروج وإن عاد فهو الاستطراد" [4] .

وقد تحدث أبو السعود في تفسيره عن موضوع الاستطراد فمثال ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ** ﴾ [5] قال أبو السعود : "مما يماثل الفلك من الإبل فإنها سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق ، أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الإبل حيئنذ كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق" [6] .

---

(١) النبأ : آية ١٠ ، ١١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٥٥ .

(٣) اللسان : (اطرد) .

(٤) الطراز ، ج٣ ، ص ١٢ .

(٥) يس : آية ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٠١ .

وقد ذكر أبو السعود ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ** ﴾ [1] ، فقال : "رجوع إلى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط إيتائها ووقته وكيفيته إثر بيان بعض الأحكام المتعلقة بأنفسهن أعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الأجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطراداً والخطاب للأولياء نهوا أن يؤتوا المبذرين من اليتامى أموالهم مخافة أن يضيعوها" [2] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾ [3] ، قال أبو السعود : **(ومن ذريتي)** أي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من أولادهما للإشعار بأنه المقتدى في ذلك وذريته أتباع له وإن ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله : **(ربنا إني أسكنت)** الخ فإن إسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن أسكنه إنما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وإنما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى أن بعضاً منهم لا يكون مقيم الصلاة" [4] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ** ﴾ [5] وقد أوضح أبو السعود ذلك بقوله : "كان رسول الله ﷺ إذا ألقى إليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهى عن ذلك إثر ذكر الإنزال بطريق الاستطراد لما أنّ استقرار الألفاظ في الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وأمر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل : ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ [6] ، فقد ذكر أبو السعود أن هذا الاستطراد بعد

---

(١) النساء : آية ٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٩٩ .

(٣) إبراهيم : آية ٤٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٩٦ .

(٥) طه : آية ١١٤ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣١١ .

قولـــه تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ [١] .

وكذلـــك في قوله تعالى : ﴿ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ ﴾ [٢] ، قال أبو السعود : "فتكون الجملة حينئذ خالية من تأكيد التوبيخ فلا تستحق أن تقع موقـــع الحال بل الوجه حينئذ أن تكون استئنافاً مقرراً لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن" [٣] ، فقد ذُكرت بيـــــن قولـــه تعالى : ﴿ قُـــلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ [٤] ، وبين قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [٥] .

كمـــا بيّـــنه أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ أَلَـــمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٦] .

قـــال أبـــو الســـعود : "والجملـــة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطرق الاستطراد" [٧] أي قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ﴾ .

---

(١) طه : آية ١١٤ .

(٢) الأنعام : آية ٩١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤١٥ .

(٤) الأنعام : آية ٩١ .

(٥) الأنعام : آية ٩٢ .

(٦) لقمان : آية ٢٩ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٩٣ .

الفصل الخامس
القراءات القرآنية والمعاني البلاغية
في تفسير أبي السعود

الفصل الخامس

القراءات القرآنية والمعاني البلاغية في تفسير أبي السعود

عندما تحدثنا عن منهج الكتاب قلنا إن أبا السعود اهتم كثيراً بإظهار القراءات القرآنية ومن اختلاف القراءات كشف أبو السعود عن الأغراض البلاغية وأظهر المعاني التي تفيدها هذه الأغراض .

فاختلاف القراءات له أثر في توجيه المعاني وتغييرها ، وقد أظهر أبو السعود من هذا الاختلاف أغراضاً مختلفة منها الالتفات ، والاستفهام والاستئناف والحذف ، والتقديم والتأخير والتعليل والتغليب وغيرها .

وكان أبو السعود يشير في الآية الواحدة إلى أكثر من غرض بلاغي وإلى معانٍ متعددة وكان يفضل قراءة على قراءة حسب ما تفيده من معنى بلاغي وحسب المعنى الذي يتوافق مع سياق الآية ولا يتعارض مع النظم الكريم وكان يخالف من قبله في ذلك فنجده يذكر القراءة في قوله تعالى : ﴿ **كَلا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ** ﴾ [1] ، "وقرئ **(ستعلمون)** بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق لما بعده تشديداً للروع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما تُوُهِّم ، فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى" [2] .

وهنا خالف أبو السعود البيضاوي في تخريج معنى الآية ، قال البيضاوي : "وعن ابن عامر "ستعلمون" بالتاء على تقدير : قل لهم ستعلمون" [3] . فقراءة التاء قرأ بها ابن عامر جميعاً [4] .

ويبين أبو السعود في قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [5] .

---

(١) النبأ : آية ٤ ، ٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣٥٤ .

(٣) تفسير البيضاوي ، ج٢ ، ص ١١٢٥ .

(٤) السبعة لابن مجاهد ، ص ٦٦٨ .

(٥) الحج : آية ٤٧ .

المعنى الذي يناسب سياق الآية والمعنى : "جملة مستأنفة لبيان خطئهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره وإظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مُدداً طوالاً عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (المعارج : ٦-٧) ، ولذلك يرون مجيئه بعيداً ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويجترئون على الاستعجال به ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعاً وأخباراً ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة ، أي يعده المستعجلون أوفق لهذا المعنى ، وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم أيضاً بطريق الالتفات لكن الظاهر أنه للرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين" [١] ، وقراءة الياء في **(تعدون)** قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي **(يعدون)** والباقون **(بالتاء)** [٢] .

الأغراض والمعاني البلاغية التي أظهرها أبو السعود من اختلاف القراءات القرآنية :

١-الالتفات :

فقد أوضح أبو السعود الغرض البلاغي من اختلاف القراءة القرآنية وهو التوبيخ في قوله تعالى : ﴿ **سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ** ﴾ [٣] ، وذلك بعد شرحه لها بقوله : "حكاية لما قاله الله تعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعيداً لقومه ، والمراد بالغد وقت نزول العذاب ، أي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذي حمله أشره وبطره على الترفع أصالح هو أم مَنْ كذّبه ، وقرئ ستعلمون على الالتفات أو على حكاية ما أجابهم به صالح" [٤] فهذه قراءة ابن عامر وحمزة **(ستعلمون غداً)** بالتاء [٥] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٨٧ .

(٢) الحجة للفارسي ، ج٣ ، ص ١٧٤ ، إتحاف فضلاء البشر للبنّاء ، ص ٤٠٠ .

(٣) القمر : آية ٢٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١٦٩ .

(٥) السبعة لابن مجاهد ، ص ٦١٨ ، الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي ، ج٢ ، ص ٢٩٧ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٥٢٥ .

ونجد أن أبا السعود في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **هَـذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾ [1] يبين لنا القراءة بقوله : "أي لأجله فإنّ الحساب علّة للوصول إلى الجزاء ،وقُرئ بالياء ليوافق ما قبله ، والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم" [2] .

وهنا نجد أن أبا السعود يميل إلى القراءة المعروفة أي (توعدون) فالقراءة بالياء مناسبة لما قبلها من قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾ [3] ، ولكن الالتفات أكثر مناسبة لسياق الكلام وهذا ما فضله أبو السعود وهذه القراءة هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو (يوعدون) [4] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [5] على القراءة المعروفة **(ويَذَرُهم)** بالياء والرفع على الاستئناف ، أي وهو يذرُهم ، وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات ، أي ونحن نذرُهم ، وقرئ بالياء والجزم **(ويذرْهم)** عطفاً على محل فلا هادي له كأنه قيل : من يضلل الله لا يهده أحدٌ ويذرْهم ، وقد روي الجزم والنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ" [6] ، فقد أظهر أبو السعود في كل قراءة من هذه القراءات غرضاً بلاغياً مختلفاً ، فالقراءة بالنون والرفع قراءة ابن عامر ونافع وابن كثير ، والقراءة بالياء والرفع **(ويذرُهم)** لأبي عمرو ، **(ويذرْهم)** بالياء والجزم للكسائي وحمزة [7] .

---

(١) ص : آية ٥٣ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٦٨ .

(٣) ص : آية ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) السبعة لابن مجاهد ، ص ٥٥٥ .

(٥) الأعراف : آية ١٨٦ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٦١ .

(٧) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، القراءات لمكي ، ج١ ، ص ٤٨٥ ، والحجة للفارسي ، ج٢ ، ص ٢٨٢ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٩٣ .

ومن القراءات التي تحدث عنها أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ﴾ [1] ، فقوله تعالى : (يحشُرهم) قرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم وبكسر الشين أيضاً ، (فيقول) أي الله للمعبودين إثر حشر الكل تقريعاً للعَبَدة وتبكيتاً لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه ، وقرئ هذا بالياء والأول بالنون على طريق الالتفات إلى الغيبة" [2] .

وقد ذكر ابن مجاهد القراءتين بقوله : "وقرأ ابن عامر (ويوم نحشرهم فنقول) بالنون جميعاً ، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر (ويوم نحشرهم) بالنون (فيقول) بالياء [3] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [4] ، أفلا تعقلون ، أي ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، وقُرئ بالياء على الالتفات المنبئ عن اقتضاء سوء صنيعهم الإعراض عن مخاطبتهم" [5] ، فقراءة التاء قراءة أبي عمرو وحده ، وقد قرأ الباقون بالياء [6] .

وقد أظهر أبو السعود القراءة في قوله تعالى :﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [7] على الالتفات فقال : وقرئ بتاء الخطاب إما بالالتفات لتشديد التوبيخ ، وإما بتقدير القول ، أي قل لهم أفحكم ... الخ [8] ، فالقراءة بالتاء هي

---

(١) الفرقان : آية ١٧ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

(٣) السبعة ، ٤٦٣ ، وانظر الكشف عن وجوه القراءات ، ج٢ ، ص ١٤٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ، ص ٤١٦ .

(٤) القصص : آية ٦٠ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ١٣١ .

(٦) السبعة لابن مجاهد ، ص ٤٩٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ، ج٢ ، ص ١٧٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ، ص ٤٣٧ .

(٧) المائدة : آية ٥٠ .

(٨) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .

قراءة عبد الله بن عامر وحده (تبغون) ، والباقون بياء الغيب [١] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [٢] ، أي أالله الذي ذكرت شئونه العظيمة خيرٌ أم ما يشركون به تعالى من الأصنام ، وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكفرة وهو الأليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم" [٣] ، والقراءة بالياء قراءة أبي عمرو وعاصم ويعقوب ، وافقهم الحسن واليزيدي والباقون بالخطاب [٤] .

٢-الاستئناف :

وهنا نجد أن أبا السعود قد بين ذلك من اختلاف القراءات القرآنية هذه المسائل البلاغية في مثل قوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ﴾ [٥] ، فقوله تعالى : **(وسارعوا إلى مغفرة)** "عطف على أطيعوا ، وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف ، أي بادروا وأقبلوا وقرئ وسابقوا" [٦] .

فالقراءة بغير واو قراءة نافع وابن عامر فإنهما قرآ **(وسارعوا)** بغير واو [٧] .

ويشير أبو السعود إلى القراءة في قوله تعالى : ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ [٨] ، وإلى اختلاف المعنى وتغييره فقوله تعالى : **(ويقول الذين آمنوا)** : "كلام مبتدأ

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٥٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٤٥٢ .

(٢) النمل : آية ٥٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٩٤ .

(٤) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٤٣٠ .

(٥) آل عمران : آية ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٢ .

(٧) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢١٦ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٢٦٠ ، إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٨ .

(٨) المائدة : آية ٥٢ ، ٥٣ .

مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على أنه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل : فماذا يقول المؤمنون حينئذ ؟ وقرئ **(ويقول)** بالنصب عطفاً على يصبحوا ، وقيل : على **(يأتي)** باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى أن يأتيَ الله بالفتح ويقولَ الذين آمنوا ، والأول أوجه ؛ لأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط . والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به ، تعجباً للمخاطبين من حالهم وتعريضاً بهم ﴿ **أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ** ﴾ (المائدة : ٥٣) [١] .

فالقراءة بغير واو مع الرفع قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر والقراءة بإثبات الواو والنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب [٢] ، ولكن أبا السعود فضل القراءة الأولى وهي القراءة بغير واو مع الرفع لأنها تغير المعنى ، فهنا نجد اختلاف القراءة يغير في معنى الآية ويضفي عليها معنى آخر" .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا * كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [٣] ، وهنا يشير أبو السعود في هذه الآية إلى القراءة واختلاف المعنى بقوله : **(أنه من عمل منكم سوءاً)** بدلاً من الرحمة ، وقرئ بكسر **(إنه)** على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف ، وقوله تعالى : **(فأنه غفور رحيم)** أي فأمره أنه غفور رحيم ، وقرئ : **(فإنه)** بالكسر على أنه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبراً **(لمن)** على أنها موصولة أو جواباً لها عن أنها شرطية" [٤] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٨٦ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٥٤ ، السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٤٥ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ص ٤٣٣ .

(٣) الأنعام : آية ٥٤ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

فقــراءة الكسر في الطرفين قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي **(إنه من عمل فإنه غفور رحيم)** مكسوري الألف ، أما نافع فقرأ الأولى **(أنه من عمل)** بنصب الألف ، والثانية بكسر الألف **(فإنه غفور)** [1] .

ونجــد أن أبا السعود قــد أشــار إلى اختلاف القراءات في قوله تعالى : ﴿ **وَأَقْسَــمُوا بِاللَّـهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّــهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [2] ، واختلاف المعنى في ذلك ، فقولــــه تعالى : **(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ)** : "كلام مستأنف غير داخــل تحــت الأمر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية إلى ما أشعر به الجــواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون إما خاصة بطريق التلويــن لمّا كانوا راغبين في نزولها طمعاً في إسلامهم ، وإما معه عليه الصلاة والســلام بطــريق التعميم لما روي عنه ﷺ من الهم بالدعاء ، وقــد بُيّن فيه أنّ إيمــانهم فاجــرة وإيمانهــم مما لا يدخل تحت الوجود وإن أجيب إلى ما سألوه . وما استفهامية إنكارية ، أي وأيّ شيء يعلمكم أن الآية التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمــنون بــل يبقَون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد ، أي لا تعلمون ذلك فتتمــنون مجيئها طمعاً في إيمانهم فكأنه بسْط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات . وقيل : "أنّ بمعنى لعل" يقال أدخل السوق أنك تشتري اللحم وعنك وعلّك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده قراءة لعلها إذا جاءت لا يؤمنون على أن الكلام قــد تم قبله ، والمفعول الثاني ليشعركم محذوف والجملة استئناف لتعليل الإنكار وتقريــره ، أي أيُّ شــيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها إذا جــاءت لا يؤمــنون بهــا فما لكم تتمنون مجيئها ؟ فإن تمنيهم إنما يليق إذا كان إيمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم ، وقُرئ **(إنها)** بالكسر على أنــه اســتئناف حســبما ســبق مع زيادة تحقيق لعدم إيمانهم ، وقُرئ لا تؤمنون

---

(١) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٥٨ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١٠٩ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ١٠٩ ، الإتحاف ، ص ٢٦٤ .

(٢) الأنعام : آية ١٠٩ .

بالفوقانية ، فالخطـــاب في وما يشعركم للمشركين ، وقُرئ وما يشعركـــم أنهـــا إذا جـــاءتهـــم لا يؤمنون ، فمرجع الإنكار إقدام المشركين على الإقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن" [١] .

فالقـــراءات التي ذكرهـــا أبو السعود في تفسيره السابق **(لعلها إذا جاءت لا يؤمـــنون)** بأن "أنّ" هنا بمعنى "لعلّ" فهي رواية العراقيين قاطبة عن أبي بكر مـــن طريق يحيى على أنها بمعنى "لعلّ" وهي في مصحف أبيّ كذلك [٢] وقراءة أنّهـــا : "إنّ" بالكسر هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر ، وأيضاً في قوله تعـــالى : **(لا يؤمـــنـــون)** فابـــن عامر وحمزة قـــرآ بالخطـــاب **(لا تؤمنـــون)** مناســـــبة ليشعركـــم على أنها للمشركين وافقهما الأعمش ، وقرأ الباقون بالغيب **(لا يؤمنون)** على توجيه الكاف للمؤمنين والياء للمشركين [٣] .

كمـــا نجـــد أن أبا السعود قد أشار إلى القراءات في قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ وَصَّـــاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون * وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِـــي مُسْتَقِيمـــاً فَاتَّبِعُـــوهُ** ﴾ [٤] ، وما تبرزه من معانٍ وأغراض بلاغية .

وأنّ هـــذا صـــراطي : "إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي ، وقـــرئ صـــراطيَ بفـــتح الياء ومعنى إضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام انتســـابه إليه عليه الصلاة والسلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله ، والمراد بيان أن ما فُصّل من الأوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو علـــيهم بـــل متعلقة به عليه الصلاة والسلام أيضاً وأنه ﷺ مستمر على العمل بها ومـــراعاتها وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه الصلاة والسلام لا بكونه صرا ط الله تعالـــى مع أنه في نفسه كذلك من حيث سلوكه ﷺ فيه داع للخلق إلى الاتِّباع إذ بذلـــك يتضـــح عندهم كونه صراط الله عز وجل ، وقرئ بكسر الهمزة على

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٧١ .

(٣) إتحـــاف فضـــلاء البشـــر ، ص ٢٧١ ، السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٦٥ ، وابن خالويه ، ص ١٤٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(٤) الأنعام : آية ١٥٢ ، ١٥٣ .

الاســـتئناف ، وقرئ أنْ هذا مخففة من أنّ على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف" [١] .

فقـــراءة أنْ المخففة من أنّ هي قراءة ابن عامر ويعقوب ، وقراءة الكسر فـــي "أنّ" هـــي قـــراءة حمـــزة والكســـائي ، وقراءة الفتح في ياء الإضافة هي قراءة ابن عامر [٢] .

وكذلك في قولـــه تعالى : ﴿ **يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ * وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [٣] ، "بفتح أنّ ، عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشَـــر به ، والمراد بالمؤمنين : إما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيذان بسمو رتبة الإيمان وكونه مناطاً لما نالوه من السعادة ، وإمّا كافة أهل الإيمان من الشـــهداء وغيرهم ذُكرت توفيةُ أجورهم على إيمانهم وعُدّت من جملة ما يستبشرُ بـــه الشـــهداء بحكم الأخوة في الدين ، وقرئ بكسرها على أنه استئناف معترض علـــى أن ذلك أجر لهم على أن إيمانهم مُشْعِرٌ بأن من لا إيمان له أعمالُه محبطة لا أجـــر له ، وفـــيه مـــن الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازديـــاد الطاعة وبشـــرى للمؤمنين بالفـــلاح ما لا يخفـــى" [٤] . فالكسائي وحده هو الذي قرأ بكسر الهمزة [٥] .

٣-الاستفهام :

مـــثل قولـــه تعالى : ﴿ **قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً** ﴾ [٦] ، قد أظهر أبو السعود في تفســـيره للآية أن ذلك :"بطريق الإخبار بثبوت الأجر وإيجابه كأنهم قالوا : لا بد لـــنا مـــن أجر عظيـــم حينئذ أو بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ بإثباتها" [٧] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٦١ .

(٢) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٧٣ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١، ص ٤٥٧ ، الإتحاف ، ص ٢٧٧.

(٣) آل عمران : آية ١٧١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٦٤ .

(٥) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢١٩ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١١٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٣٢.

(٦) الأعراف : آية ١١٣ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ١٦ .

فـــإذا كانـــــت "إنّ" بهمزة واحـــدة يكون بطريق الخبر إذا قرئت كما هي ولكـــن إذا تغـــيرت القراءة وأثبتت الهمزة فيتحـــول إلى الاستفهام التقريري كما ذكره أبو السعود .

وقد قرأ نافع وابن كثير (إن لنا لأجراً) مكسورة الألف على الخبر ، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بهمزتين جميعاً (أئن) على الاستفهام [١] .

وفـــي قولـــــه تعالـــى :﴿ **أَوَلا يَـرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْـنِ**﴾ [٢] قـــد بيّن أبو السعود اختلاف القراءة وبين غرضه البلاغي بقوله : **(أولا يرون)** الهمزة للإنكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر ، أي ألا ينظرون ولا يرون ، أي المنافقيـــن ، وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب ، أي ألا تنظرون ولا تَرَون أحوالهـــم العجيبـــة التي هـــي افتتانهـــم علـــى وجه التتابع وعدم التنبه لذلك" [٣] .

وقـــد أدى اخـــتلاف القـــراءة إلى اختلاف الغرض البلاغي من الاستفهام وتغيير معناه ، كما نجـــد أن أبا السعود قـــد بيـــن الغرض من القراءة في قوله تعـــالى : ﴿ **وَلا تُؤْمِنُـــوا إِلا لِمَنْ تَبِـــعَ دِينَكُـــمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ** ﴾ [٤] .

فقولـــــه تعـــالى : **(أن يؤتـــى أحد مثل ما أوتيتم)** : "متعلق بمحذوف أي دبّـــرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو بلا تؤمنوا ، أي ولا تظهروا إيمانكم بأنْ يؤتى مثل ما أوتيتـــم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثـــباتُهم ولا إلـــى المشـــركين لـــئلا يدعوهم إلى الإسلام ، وقرئ أن يؤتى على الاستفهام التقريعي ،وهو مؤيد للوجه الأول ، أي لأن يؤتى أحد الخ دبرتم ؟"[٥] .

---

(١) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٨٩ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١٦١ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٤٧٢ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٨٧ .

(٢) التوبة : آية ١٢٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٠٣ .

(٤) آل عمران: آية ٧٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٨٢ .

فقـــد قـــرأ القراء كلهم أن يؤتى غير ممدود إلا ابن كثير فإنه قرأ أن يؤتى ممدوداً ، أي بهمزتين ثانيتهما مسهلة بلا فصل [١] .

ونجـــد ذلك أيضاً في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ** ﴾ [٢] ، فقد بين أبـــو السعود القراءة في هذه الآية على الإخبار أو على الاستفهام كما في **(إن لنا لأجـــراً)** بسقوط الهمزة فقال : "بهمزة واحدة إما على الإخبار المحض المتضمن للتوبـــيخ ، أو علـــى الاستفهام التوبيخي كما في **(إن لنا لأجراً)** وقد قرئ بتحقيق الهمزتيـــن معاً بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين ، أي آمنتم بالله تعالى ، فقراءة المـــد على قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر **(ءاامنتم)** بهمزة واحدة ومدة على الاســـتفهام ، أمـــا الكســـائي وحمزة فقد قرآ أامنتم بهمزتين الثانية ممدودة [٣] ، فاختلاف القراءة هنا أدى إلى اختلاف المعنى البلاغي المقصود منها .

وفـــي قولـــــه تعـــالى : ﴿ **قَالَ آمَنتُمْ لَهُ** ﴾ [٤] ، "أي لموسى عليه الصلاة والسلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع ، وقرئ على الاستفهام التوبيخي" [٥] فقـــــرأ أبـــو عمـــرو ونافع وابن عامر ءاامنتم بهمزة ممددة استفهـــام وقـــراءة همـــــزة والكســـائي وأبـــي بكر عن عاصم (ءآمنتم) بهمزتين الثانية مد والأولى استفهام [٦] .

ونجـــد أن أبـــا الســـعود قد بين الغرض من الاستفهام في هذه الآية وهو التوبيخ لهم على ما حدث منهم وهو اتباع موسى عليه السلام .

---

(١) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٠٧ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١١٠ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٣٤٧ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٢٥ .

(٢) الأعراف : آية ١٢٣ .

(٣) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٩٠ ، والحجة لابن خالويه ، ص ١٦١ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ص ٤٧٣ .

(٤) طه : آية ٧١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٩٤ .

(٦) السبعة لابن مجاهد ، ص ٤٢١ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١٦١ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٤٧٣ .

ومثل قولـــه تعالـــى : ﴿ **أَذْهَبْتُـــمْ طَيِّبَاتِكُـــمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾ [١] ، قال أبـــو السعود : "أي يُقال لهم ذلـــك ، وقرئ أأذهبتـــم بهمزتيـــن وبألـــف بينهما علـــى الاســـتفهام التوبيخـــي ، أي أصـــبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها"[٢] .

فالقـــراءة الأولـــى أذهبتم طيباتكم بهمزة واحدة على الخبر ، أي فيقال لهم أذهبتـــم طيباتكم ، فقراءة ابن عامر أأذهبتم بهمزتين ، وابن كثير بهمزة مطولة ، أي على الاستفهام في قراءة ابن كثير وابن عامر [٣] .

٤-الحذف :

حـــذف الخبر : وقد بيّن أبو السعود مواطن الحذف في تفسيره كما بين القراءات القرآنية وأبان سبب الحذف منها مثل قراءة النصب فيما يلي :

قال تعالى : ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** ﴾ [٤] ، قال أبو السعود : "وغير الله نعـــتٌ له باعتـــبار محلـــه كما أنه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه ، وقرئ بالنصـــب علـــى الاستثناء ، أي هل خالق مغاير له تعالى موجود على أنّ خالق مبتدأ محذوف الخبر" [٥] ، فقراءة الرفع على حذف الخبر عند أبي السعود وقراءة الجـــر هي قراءة حمزة والكسائي ، أما ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو فقد قرأوا رفعاً (غيرُ)" [٦] .

حذف المبتدأ :

كما نجد أن أبا السعود قـــد بيـــن قـــراءة الرفـــع فـــي قولـــه تعالـــى : ﴿ **لِـــمَ تَعِظُـــونَ قَوْمـــاً اللَّهُ مُهْلِكُهُـــمْ أَوْ مُعَذِّبُهُـــمْ عَذَابـــاً شَـــدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً**

---

(١) الأحقاف : آية ٢٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٧٥ .

(٣) الســـبعة لابن مجاهـــد ، ص ٥٩٨ ، الحجـــة لابن خالويه ، ص ٣٢٧ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج٢ ، ص ٢٧٣ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٥٠٤ .

(٤) فاطر : آية ٣ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٧١ .

(٦) السـبعة لابن مجاهد ، ص ٥٣٤ ، الحجـــة لابن خالويـــه ، ص ٢٩٦ ، الكشـــف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٤٦٧ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٤٦٢ .

إِلَـى رَبِّكُمْ ﴾ [1] ، فقال : "أي نعظهم معـذرةً إليـه تعالـى على أنه مفعول له وهـو الأنسـب بظاهـر قولهم لم تعظون أو نعتذر معذرة على أنه مصدر لفعل محـذوف ، وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي موعظتنـا معـذرةٌ إليه تعالى حتى لا نُنْسَبُ إلى نوع تفريط في النهي عن المنكر" [2] .

فقـراءة الـرفع هي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي (معذرةٌ) بالرفع [3] .

حذف المبتدأ أوالخبر :

وقد بين أبو السعود حـذف المبتـدأ أو حـذف الخبـر في قوله تعالى : ﴿ **فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّه** ﴾ [4] على قراءة النصب في كلمة (**أربع**) ، قال : "أي شهادةُ كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى : (**أربع شهادات**) خبره ، أي فشـهاداتهم المشـروعة أربـعُ شهادات ، وقرئ أربعَ شهادات بالنصب على المصـدر والعامل فشهادةُ على أنه إما خبر لمبتدأ محذوف ، أي فالواجب شهادةُ أحدهم وإما مبتدأ محذوف الخبر فشهادةُ أحدهم واجبةٌ [5] .

فقـراءة النصب قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (**أربع شهادات**) وقراءة الرفع لحمزة والكسائي [6] .

حذف خبر المبتدأ :

وفـي قولـه تعـالـى :﴿ **سُـبْحَانَ اللَّهِ عَمـَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ** ﴾ [7] قال أبو السعود : "(**عالم الغيب**) بالجر على أنه بدل من الجلالة

---

(١) الأعراف : آية ١٦٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٥ .

(٣) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٩٦ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١٦٦ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٤٨١ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٤٠٨ .

(٤) النور : آية ٦ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٤١ .

(٦) السبعة لابن مجاهد ، ص ٤٥٢ ، الحجة لابن خالويه ، ص ٢٦٠ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج٢ ، ص ١٣٤ .

(٧) المؤمنون : آية ٩١ ، ٩٢ .

وقيل صفة لها ، وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف" [١] .

فقـــراءة الـــرفـــع عن نافـــع وعاصم بروايةٍ أبي بكر وحمزة والكسائي **(عالمُ الغيبِ)** رفعاً [٢] .

حذف المفعول أو حذف المضاف :

وقـــد بين أبو السعود الغرض من الحذف في قوله تعالى : ﴿ **مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذْ** ﴾ [٣] على القراءتين فقال : على البناء للمفعول ، أي العذاب ، وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه ، وقد قرئ بالإظهار ، والمفعول محذوف وقولـــه تعالى : **(يومئذ)** ظرف للصرف ، أي في ذلـــك اليوم العظيم ، وقد جوز أن يكـــون هـــو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف ، أي عذاب يومئذ" [٤] .

فقـــد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يُصْرَف) مضمومة الياء مفتوحة الراء ، وقرأ حمزة والكسائي (يَصْرِف) مفتوحة الياء مكسورة الراء [٥] .

٥- العطف :

فـــي مـــثل قولـــــه تعالـــى :﴿**مَنْ يُضْلِـــلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْـــيَانِهِمْ**﴾ [٦] وقـــد ذكر أبو السعود القراءة الثالثة في هذه الآية بعد القراءتين الأوليتيـــن وهمـــا بالـــياء والرفع على الاستئناف ، وبالنون على الالتفات ، وهي قـــراءة اليـــاء والجـــزم فقال : "وقرئ بالياء والجزم **(ويذرْهم)** عطفاً على محل فلا هادي له كأنه قيل : من يضلل الله لا يهده أحد ويذرْهم" [٧] .

وهـــــذه القراءة قراءة حمـــزة والكسائي بالياء مع الجزم **(ويذرْهم)** ، وقد قال ابن مجاهـــد : وحدثنـــي الخـــزاز قال : حدثنا هبيرة عن حفص بن عاصم

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٣٠ .

(٢) السبعة لابن مجاهد ، ص ٤٤٧ .

(٣) الأنعام : آية ١٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٦٢ .

(٥) الحجة للفارسي ، ج٢ ، ص ١٥٠ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٦١ .

(٦) الأعراف : آية ١٨٦ .

(٧) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٦١ .

(ويذرْهم) مثل حمزة [١] .

وكذلـــك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِـيهَا ﴾ [٢] ، فقـد ذكـر أبو السعود القراءتين فقال : "وقرئ والساعةَ بالنصب عطفاً على اسم إنّ وقراءة الرفع للعطف على محل إنّ واسمها" [٣] .

فقراءة النصب لحمزة وحده والساعة نصباً ، وقرأ الباقون الساعةُ رفعاً[٤].

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَـالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ [٥] ، فقد ذكر أبـو السـعود هذه القراءة بعد ذكره للغرض البلاغي بقوله : "استئناف كما سلف وقُـرئ بـالواو عطفاً على ما قبله من قوله تعالى (يا قوم) الخ [٦] ، أي في قوله تعـالى : ﴿ يَـا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف : آية ٧٣) ، والقراءة بالواو هي قراءة ابن عامر بإثبات الواو (وقال) [٧] .

وفـي قولـه تعالى : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٨] ، فقد ذكر أبو السعود أن آيات الثانـية معطوفة على ما قبلها (لآيات) على قراءة النصب فقال : "بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم ، وقرئ آيات بالنصب عطفاً على ما قبلها من اسم إنّ والخـبر هو الخبر كأنه قيل : وإن في خلقكم ما يبث من دابة آياتٍ" [٩] ، فقراءة النصب لحمزة والكسائي ويعقوب بكسر التاء [١٠] .

---

(١) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١٦٧ ، الكشف عن وجوه القراءات ج١ ، ص ٤٨٥ .

(٢) الجاثية : آية ٣٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٦٤ .

(٤) السبعة لابن مجاهد ، ص ٥٩٥ ، الكشف عن القراءات ، ج٢ ، ص ٢٦٩ .

(٥) الأعراف : آية ٧٥ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٥١١ .

(٧) السبعة لابن مجاهد ، ص ٢٨٤ ، الحجة لابن خالويه ، ص ١٥٨ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج١ ، ص ٢٦٧ .

(٨) الجاثية : آية ٣ ، ٤ .

(٩) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٥٦ .

(١٠) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٥٠١ .

ومـــنه قولـــه تعالـــى : ﴿ **إِذَا أَرَدْنَـــاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [1] ، قال أبو السعود : وقرئ بنصب يكون عطفاً على نقول أو تشبيهاً له بجواب الأمر [2] فقراءة النصب هي قراءة ابن عامر والكسائي [3] .

٦- التقديم والتأخير :

وقـــد أظهر أبو السعود وأبان عن هذه المسألة في عدة مواضع ، ومن هذه المواضـــع فـــي قولـــــه تعالـــى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْـــرِبِ** ﴾ [4] ، فقد أوضح أبو السعود القراءتين في هذه الآية وبين كل قراءة على حدة ، ففي القراءة المشهورة وهي "البرَّ" بالنصب ، قال : "على أنّ البرَّ خبر ليس مقدم على اسمها كما في قوله :

سلي إنْ جهلتِ عني وعنهم فليس سواءً عالمٌ وجهولُ

وقوله :

أليس عظيماً أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ وليس علينا في الخطوب مقولُ

وإنما أخّر ذلك لما أنّ المصدر المؤول أعرف من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير من حيث أنه لا يُوصف ولا يوصف به ، والأعرف أحقُّ بالإسمية ولأنّ فـــي الاسم طـــولاً فلو روعي الترتيب المعهـــود لفـــات تجاوب النظم الكريم" ، وفـــي قـــراءة الـــرفع قال : "وقرئ برفع البرُّ على أنه اسمها وهو أقوى بحسب المعـــنى لأن كـــــل فـــريق يدعـــي أن البـــر هـــذا فيجب أن يكون الرد موافقاً لدعواهـــم ، ومـــا ذلك إلا يكون البرُّ اسماً كما يفصح عنه جعلُـــه مُخْبراً عنه في الاســـتدراك بقوله عز وجل : **(ولكنَّ البرَّ من آمن بالله)** أي ولكـــن البر المعهود الـــذي يحـــق أن يُهْتَمَّ بشأنه ويُجَدُّ في تحصيلـــه برٌّ من آمن بالله وحـــده إيمانـــاً بريئـــاً من شائبة الإشراك" [5] .

---

(١) النحل : آية ٤٠ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٦٢ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٣٥١ ، الحجة للفارسي ، ج٣ ، ص ٣٧ .

(٤) البقرة : آية ١٧٧ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٣٤ .

فقراءة النصب هي قراءة حمزة وحده (**ليس البرَّ**) ، أما الباقون فقد قرأوا بالرفع (**البرُّ**) ، وروى حفص عن عاصم (**ليس البرَّ**) مثل حمزة ، وروى هبيرة عن حفص عن عاصم الوجهين بالرفع والنصب" (١) .

كما بين أبو السعود القراءة في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ﴾ (٢) ، قال أبو السعود : سواءً أي مستوياً مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به ، وقرئ سواءٌ بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل" (٣) .

فقد ذكر ابن مجاهد كلهم قد قرأ رفعاً غير عاصم في رواية حفص فإنه قرأ نصباً (٤) .

٧- **التعليل :**

ومن القراءات التي أشار إليها أبو السعود في تفسيره بكسر الهمزة للتعليل في قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ (٥) ، فقوله تعالى : (**أنهم هم الفائزون**) ثاني مفعولَيْ الجزاء ، أي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به ، وقرئ بكسر الهمزة على أنه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن" (٦) .

فقراءة الكسر هي قراءة حمزة والكسائي (إنهم هم الفائزون) (٧) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ** ﴾ (٨) ، فقوله تعالى : (**إن رسلنا يكتبون ما تمكرون**) "أي مكركم أو ما تمكرونه وهو

---

(١) السبعة لابن مجاهد ، ص ١٧٥ ،الحجة لابن خالويه ،ص ٩٢ ،الكشف عن وجوه القراءات ،ص ٢٨١ .

(٢) الحج : آية ٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٧٧ .

(٤) السبعة لابن مجاهد ، ص ٤٣٥ ،الحجة لابن خالويه ،ص ٢٥٣ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج٢ ، ص ١١٨.

(٥) المؤمنون : آية ١١١ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٣٤ .

(٧) السبعة لابن مجاهد ، ص ٤٤٩ ، الحجة لابن خالويه ، ص ٢٥٩ ، إتحاف فضلاء البشر ، ص ٤٠٦ .

(٨) يونس : آية ٢١ .

تحقيق للانتقام منهم ، وتنبية على أن ما دبروا في إخفائه غيرُ خاف على الحَفَظة فضـــلاً عن العليم الخبير ، والجملة تعليل من جهته تعالى لأسرعية مكره سبحانه وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله ﷺ إليهم للتشديد في التوبيخ ، وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلاً لما ذكر أو للأمر" (١) .

وقـــال البنّاء عن القراءة في "تمكرون" التي ذكرها أبو السعود : "واختلف فـــي تمكـــرون ، فروح بالغيب جرياً على ما مرّ وافقه الحسن والباقون بالخطاب التفاتاً لقوله : قل الله ، أي قل لهم فناسب الخطاب" (٢) .

٨-التغليب :

وذلـــك فـــي قوله تعالى : ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ (٣) **(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)** : من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة فإن أعمالهم درجات في أنفسها أو من جزاء أعمالهم ، فإن كل جزاء مرتبة معينة لهم أو مـــن أجـــل أعمالهم ، **(وما الله بغافل عما يعملون)** : لا يخفى عليه عمل من أعمـــالهـــم أو قـــدر ما يستحقون بهـــا من ثواب أو عقاب ، وقرئ بالتاء تغليباً للخطاب على الغيبة" (٤) .

فالقراءة بالتاء قراءة ابن عامر وحده ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾(٥) .

القراءات القرآنية التي فضلها أبو السعود :

وقـــــد فضـــل أبو السعود بعض القراءات وخاصة القراءات التي توافق سياق ما قبلها وما بعدها .

ويظهـــر ذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَـــداً** ﴾ (٦) ، وقرئ قال على أنه حكايـــة لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٢٢٧ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٣١١ .

(٣) الأنعام : آية ١٣٢ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٤٦ .

(٥) السبعة لابن مجاهد ،ص ٢٦٩ ، والكشف عن وجوه القـــراءات ،ج١ ،ص ٤٥٢ ، إتحاف فضلاء البشر ص ٢٧٣ .

(٦) الجن : آية ٢٠ .

عليه والأول هو الأوفق والأظهر لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً** ﴾ [1] كأنه أريد لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ولا غياً ولا رشداً" [2] ، فقد فضل أبو السعود القراءة على الأمر وهي المشهورة ، وقد بيّن ابن مجاهد هذه القراءة بقوله : "قرأ عاصم وحمزة بغير ألف على الأمر ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي **(قال إنما أدعو ربي)** بالألف" [3] .

كما نجد أنّ أبا السعود قد فضّل قراءة الرفع في قوله تعالى : ﴿ **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ** ﴾ [4] وقد بين أبو السعود في هذه الآية القراءتين ، ففي قوله تعالى : **(فأسر بأهلك)** ، ذكر أبو السعود ذلك بقوله : "بالقطع من الإسراء ، وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السُّرى والفاء لترتيب الأمر بالإسراء على الإخبار برسالتهم المؤذنة بورود الأمر والنهي من جنابه عز وجل إليه عليه السلام **(بقطع من الليل)** في طائفة منه .

(ولا يلتفت منكم) : أي لا يتخلف أولا ينظر إلى ورائه ، وإنما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير أو لئلا تروا ما ينزل من العذاب فترقوا لذلك .

أما في قوله تعالى : **(إلا امرأتك)** فقال أبو السعود : "استثناء من قوله تعالى : **(فأسر بأهلك)** ويؤيده أنه قرئ فأسرِ بأهلك بقطْع من الليل إلا امرأتك ، وقرئ بالرفع على البدل من أحد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فإن النصبَ يقتضي كونه غيرَ مأمور بالإسراء بها ، والرفع كونه مأموراً بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع إنما هو مجرد كونها معهم وذلك يستدعي الأمر بالإسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز أن تسري هي بنفسها" [5] .

---

(١) الجن : آية ٢١ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٣١٧ .

(٣) السبعة ، ص ٦٥٧ ،والكشف عن وجوه القراءات ، ج٢ ، ص ٣٤٢ ،إتحاف فضلاء البشر ،ص ٥٦٠.

(٤) هود : آية ٨١ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٣٣٧ .

ويـــتابع أبو السعود مبيناً القراءة : "فإن ابن عامر قرأه بالنصب وإن كان الأفصـــح الرفع على البـــدل ولا بُعـــد في كـــون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلـــزم مـــن ذلـــك أمرُها بالالتفات بل عدم نهيهـــا عنه بطريق الاستصلاح ، ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله **(إنه مصيبها ما أصابهم)** من العذاب .

فالأولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله **(لا يلتفت)** مثل الذي في قوله تعالى : ﴿ **مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ** ﴾ (النساء : ٦٦)، ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع" [١] .

قـــال تعالى : ﴿ **هَذَا مَا تُوعدُونَ لِيـــَوْمِ الْحِســـَابِ** ﴾ [٢] ، فقـــد فضل أبو الســـعود القراءة على الالتفات بقوله : "أي لأجله فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله ، والالتفات أليقُ بمقام الامتنان الكريم" [٣] .

فقـــــد قـــرأ ابن كثير وأبو عمرو **(هذا ما يوعدون)** بالياء ، وقرأ الباقون **(هذا ما توعدون بالتاء)** [٤] .

---

(١) تفســير أبـــي السعود ، ج٣ ، ص ٣٣٨ ، انظر كتـــاب الســـبعة لابـــن مجاهـــد ، ص ٣٣٨ ، الحجة لابن خالويه ص ١٩٠ ، الإتحاف ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) ص : آية ٥٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٦٨ .

(٤) السبعة لابن مجاهد ، ص ٥٥٥ ، الكشف عن وجوه القراءات ، ج٢ ، ص ٢٣٢ .

الفصل السادس

تأثير أبي السعود في العلماء اللاحقين

أولاً : أثر أبي السعود في الآلوسي .

ثانياً : أثر أبي السعود في القاسمي .

الفصل السادس

تأثير أبي السعود في العلماء اللاحقين

لقد تحدثنا في الفصل الأول عن مسألة التأثر ، وتكلمنا عن موضوع تأثر أبي السعود بالعلماء السابقين ، فقد تأثر أبو السعود بالزمخشري والبيضاوي ، وخاصة في المسائل البلاغية ، وكما تأثر بهم فقد كان لتفسيره أثر في العلماء اللاحقين مما يدل على أهمية هذا التفسير .

وهنا سنتحدث عن عالمين جليلين قد كان لتفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" أثر بارز في كتابيهما .

أولاً : أثر أبي السعود في الآلوسي :

وإذا تحدثنا عن الآلوسي فلا بد أن نعطي ترجمة بسيطة عن هذا العالم حتى نبين العصر الذي عاش فيه وهو عصر متأخر عن عصر أبي السعود وهو القرن الثالث عشر الهجري ، أي بعد قرنين من عصر أبي السعود وهو القرن العاشر الهجري .

وهذا العالم هو : أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الآلوسي البغدادي ، والآلوسي نسبة إلى قرية اسمها آلوس وهي جزيرة في منتصف نهر الفرات بين الشام وبغداد وكانت موطن أجداده ، وقد ولد سنة ١٢١٧هـ في جانب الكرخ من بغداد .

وكانت وفاته رحمه الله في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي [١] .

ومن مصنفاته : "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" المشهور بتفسير الآلوسي ، ونجد أن الآلوسي يعتمد في تفسيره على العلماء السابقين مثل : الزمخشري ، والبيضاوي والرازي وأبي السعود وغيرهم .

---

(١) الأعلام للزركلي ، ج٧ ، ص ١٦٧ ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، ١٩٨٠م ، وانظر التفسير والمفسرون ج١ ، ص ٣٥٢ ، وما بعدها .

وكان لتفسير أبي السعود أثر في تفسير الآلوسي من الناحية اللغوية أو من الناحية البلاغية وهو أثر بارز فنجده عندما يتحدث عن أبي السعود ، فإنه يذكره بشيخ الإسلام ، أو مولانا أبي السعود ، وأحياناً يقول : وفي إرشاد العقل السليم أو في الإرشاد ، فهذه عبارات الآلوسي التي تدل على تقديره لعلم أبي السعود وأحياناً يختار رأيه ويبين إعجابه به ، كما أننا نجده ينقل عنه المسألة البلاغية دون ذكر اسمه ، ومن مواطن التأثر التي ذكرها الآلوسي والتي يظهر من خلالها إعجابه برأي أبي السعود تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ** ﴾ (١) ، قال الآلوسي : "وذكر شيخ الإسلام مولانا أبو السعود عليه الرحمة ، أنّ إسناد ذلك الحساب لا إلى الساعة ، لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عما يذكرهم إياه وفيه ما فيه ، ثم الوجه اللائح في النظر الجليل لإسناد الاقتراب إلى الحساب دون الناس مع جواز العكس هو أن الاقتراب إذا حصل بين شيئين يسند إلى ما هو مقبل على الآخر يتحرّك ويتوجّه إلى جهته حقيقة أو حكماً ، حتى إنه لو كان كل منهما متوجهاً إلى الآخر يصح إلى كل منهما وقد سمعتُ أنّ المراد من اقتراب زمانه وقد صرّح به أجلة المفسرين .

وذكر شيخ الإسلام أنّ في هذا الإسناد من تفخيم شأن المسند إليه وتهويل أمره ما لا يخفى لما فيه من تصوير شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم فيصيبهم لا محالة ... انتهى" .

وقال الآلوسي متابعاً كلامه : "وهو معنى زائد على ما ذكرنا لا يخفى لطفه على الناقد البصير واليلمعي الخبير ، والمراد من اقتراب ذلك من الناس على ما اختار الشيخ قُدِّس سره دنوه منهم بعد بُعْدِه عنهم ، فإنه في كل ساعة يكون اقتراب إليهم منه في الساعة السابقة" (٢) .

وهو هنا يشير إلى قول أبي السعود في تفسيره لهذه الآية : "والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة ، وإسناد الاقتراب إليه لا إلى

---

(١) الأنبياء : آية ١ .

(٢) روح المعاني ، م (١٠) ، ج١٧ ، ص ٦ ، دار الفكر ، ١٩٧٨م .

الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الأحوال ، والأهوال الفظيعة لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عمّا يذكّرهم ذلك ، وتقديمها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة ، فإن نسبة الاقتراب إليهم في أول الأمر مما يسوؤهم ، ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقترب ، على أن الأصل المتعارف عليه فيما بين الأوساط اقترب حسابُ الناس ، ثم اقترب للناس الحساب ، ثم اقترب للناس حسابهم مع أنه تعسُّف تام بمعزل عمّا يقتضيه المقام ، وإنما يستدعيه حسن النظام ما قدمناه ، والمعنى : دنا منهم حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب .

وفي إسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يعتبر التوجّه والإقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل أمره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ، ومعنى اقترابه لهم تقاربُه ودنوّه منهم بعد بُعْده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم منه في الساعة السابقة" [1] .

ونجد أنّ الآلوسي يؤيد رأي أبي السعود أحياناً ويأخذ به كما هو الحال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى** ﴾ [2] .

فقد ذكر الآلوسي أن ذلك : "كلام مستأنف مقرر لسوء حالهم ومسلٍّ له ﷺ لكن بنوع آخر من أنواع التسلية على ما قيل . وإذ منصوب على المفعولية بمقدر خوطب به النبي ﷺ ، معطوف على ما قبله عطف القصة على القصة ، والتقدير عند بعض واذكر في نفسك وقت ندائه تعالى أخاك موسى عليه السلام وما جرى له مع قومه من التكذيب مع ظهور الآيات وسطوع المعجزات ، لتعلم أن تكذيب الأمم لأنبيائهم ليس بأول قارورة كُسرت ولا بأول صحيفة نشرت فيهون عليك الحال وتستريح نفسك من البلبال" .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٢١ .

(٢) الشعراء : آية ١٠ .

ويتابع الآلوسي قوله ذاكراً رأي أبي السعود : "وعند شيخ الإسلام ، واذكر لقومك وقت ندائه تعالى موسى عليه السلام ، وذكّرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه عليه السلام زاجراً لهم عما هم عليه من التكذيب ، وتحذيراً من أن يحيقَ بهم مثل ما حاق بهم حتى يتضح لديك أنهم في غاية العناد ، والإصرار لا يردعهم أخذ أضرابهم من المكذبين الأشرار ، ولا يؤثر فيهم الوعظ والإنذار ، وهذا التقدير يناسب صدر القصة الآتية أعني قوله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ (الشعراء:٦٩) والأول يناسب القصص المصدرة بكذبت على ما قيل .

والأظهر عندي تقدير واذكر لقومك لوضوح اقتضاء (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ**) " [١] .

وهنا نجد أنّ الآلوسي يأخذ برأي أبي السعود في هذه المسألة وهو قوله : "كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عمّا يشاهدونه من الآيات التكوينية . وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ﷺ ، أي واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى إياه عليه الصلاة والسلام ، وذكّرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه زجراً لهم عمّا هم عليه من التكذيب ، وتحذيراً من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات ، لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة إصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم إيقاظهم بذلك كما يلوّح به تكرير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (الشعراء:٨) عقيب كل قصة" [٢] .

وبيّن أيضاً عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ (الشعراء:٦٩) ، فقد ذكر أبو السعود أن ذلك : "عطف على المضمر المقدر عاملاً لإذ نادى الخ ، أي واتل على المشركين" [٣] .

---

(١) روح المعاني ، م/١٠ ، ج١٦ ، ص ٩٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٣٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤٥ .

ومن المسائل البلاغية التي تأثر بها الآلوسي بأبي السعود :

١ – وضع الظاهر موضع المضمر :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾ (١) . قال الآلوسي : "وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ** ﴾ إما للاحتراز عند توهم اندراج الملائكة ولو على بُعْد في الحكم ، أو للإشعار بعلة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة" (٢) .

فهذا قول أبي السعود : "وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ** ﴾ (البقرة : ١٧٦) ، إما للاحتراز عند توهم اندراج الملائكة في الحكم ، أو للإشعار بعلة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون الحيثيات الخاصة" (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾ (٤) .

فقد ذكر الآلوسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾ : "أي في جميع الأوامر والنواهي ، وإيثار الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة والإشعار بعلتها ..." (٥) .

وهنا نجد أثر أبي السعود في قوله : "أي في جميع الأوامر والنواهي ، فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه الصلاة والسلام دخولاً أولياً ، وإيثار

---

(١) البقرة : آية ٢٨٥ .

(٢) روح المعاني ، م/٢ ، ج٣ ، ص ٦٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٢٧ .

(٤) آل عمران : آية ٣٢ ، ٣٢ .

(٥) روح المعاني ، م/٢ ، ج٣ ، ص ٦٦ .

الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة ، والإشعار بعلتها ، فإن الإطاعة المأمور بها إطاعته عليه الصلاة والسلام ، من حيث إنه رسول الله لا من حيث ذاته ، ولا ريب في أن عنوان الرسالة من موجبات الإطاعة ودواعيها" (١) .

٢- الالتفات :

وهذه المسألة البلاغية من المسائل التي تأثر بها الآلوسي بأبي السعود في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (٢) ، "والالتفات إلى التكلم للافتنان مع ما فيه من الرمز إلى اختلاف مبدأ فعلَيْه السابق واللاحق" (٣) .

أما أبو السعود فيقول : "أي المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة ، اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله ، والالتفات إلى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى ما مرّ من اختلاف المبدأ في فعلَيْه السابق واللاحق" (٤) .

ومن مواضع الالتفات التي تحدث عنها الآلوسي في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ (٥) .

فقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ : "من المنع والبخل فيجازيكم على ذلك ، وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ، والالتفات إلى الخطاب للمبالغة في الوعيد" (٦) .

أما أبو السعود فيقول : "من المنع والبخل فيجازيكم على ذلك ، وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد ،

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ث ٣٢٧ .

(٢) البقرة : آية ١٦٠ .

(٣) روح المعاني ، م/١ ، ج٢ ، ص ٢٨ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٢٢٤ .

(٥) آل عمران : آية ١٨٠ .

(٦) روح المعاني ، م/٢ ، ج٤ ، ص ١٤٠ .

والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشيء من ذكر قبائحهم" [1] .

٣- الاستفهام :

ونذكر هنا مسألة توضح مدى تأثر الآلوسي بأبي السعود وهذه المسألة البلاغية أشار فيها إلى الغرض البلاغي من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ [2] .

قال الآلوسي في تفسيره : ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ** ﴾ : "الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه ، والفاء للعطف على مقدر ينسحبُ عليه الكلام : أي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر ، فلم يتدبروا القرآن ليعلموا بما فيه من وجه الإعجاز ، أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به ، و"أم" في قوله تعالى : ﴿ **أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ** ﴾ منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر ، والهمزة لإنكار الوقوع لا إنكار الواقع ، أي : بل جاءهم من الكتاب ما لم يأتِ آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال . بمعنى أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل عليهم السلام لينذروا بها الناس سنة قديمة له تعالى لا تكاد تنكر ، وأنّ مجيء القرآن على طريقته فمم ينكرونه .

﴿ **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ** ﴾ : إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لإنكار الوقوع أيضاً : أي بل لم يعرفوه عليه الصلاة والسلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق إلى غير ذلك من الكمالات اللائقة بالأنبياء عليهم السلام .

﴿ **فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ** ﴾ : الفاء سببية لتسبب الإنكار عن عدم المعرفة ، فالجملة داخلة في حيز الإنكار ، وقال : المعنى هم عرفوه بالكمال اللائق بالأنبياء

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٧٣ .

(٢) المؤمنون : آية ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

علـــيهم الســـلام فكيف ينكرونه ؟ ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ** ﴾ : انتقال من توبيخ إلى توبـــيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع كالأولى ، أي بل أيقولون به جنة ، أي جنون مع أنه عليه الصلاة والسلام أرجح الناس عقلاً ، وأثقبهم رأياً ، وأوفرهم رزانة .

وقد روعي في هذه التوبيخات الأربع – التي اثنان منها متعلقان بالقرآن ، والباقـــيان به عليه الصـــلاة والســـلام – الترقي من الأدنى إلى الأعلى كما بيّنه شيخ الإسلام .

وقوله تعالى : ﴿ **بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ** ﴾ إضراب عما يدل عليه ما سبق ، أي لـــيس الأمـــر كما زعموا في حق القرآن والرسول ﷺ ، بل جاءهم بالحق ، أي بالصدق الثابت الذي لا محيد عنه أصلاً ، والمراد به التوحيد ودين الإسلام الذي تضمنه القرآن ، ويجوز به أن يراد به القرآن .

﴿ **وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ : لما في جبلتهم من كمال الزيغ والانحراف ، أي وأكـــثرهم للحـــق أي حـــق كـــــان لا لهذا الحق فقط كما يُنبئ عنه الإظهار كـــارهون ، وتخصـــيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كراهة بعضهم لكل حق من الحقوق ، وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق ، وفيه بحث" [1] .

وســـنورد نص تفسير أبي السعود لهذه الآيات من سورة "المؤمنون" لنرى مدى تأثر الآلوسي بأبي السعود الذي نقل عنه أسلوبه وعباراته ، وأشار إلى اسم أبـــي السعود في أثنائه : قال أبو السعود : "﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ** ﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه ، والفاء للعطف على مقـــدر ينسحب عليـــه الكلام : أي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر ، فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا ما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول ، والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضـــلاً عما فعلوا من شأنه من القبائح ، و"أم" في قوله تعالى : ﴿ **أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ** ﴾ منقطعة ، وما فيها من معنى "بل" للإضراب والانتقال عن التوبـــيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخـــر ، والهمزة لإنكـــار الواقع لا إنكار الوقوع : أي بـــل جـــاءهم من الكتاب ما لم يأتِ آباءهم الأولين حتى استبدعوه واستبعدوه

---

(١) روح المعاني ، م/١٠ ، ج١٧ ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .

فوقعـــوا فـــيما وقعـــوا فيه من الكفر والضلال ، يعني أن مجيء الكتب من جهته تعـــالى إلى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد ينسنّى إنكاره ، وأنّ مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه ؟

﴿ أَمْ لَـمْ يَعْـرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ : إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر ، والهمزة لإنكار الوقوع أيضاً ، أي بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلُّم من أحد ، وغير ذلك ممـــا حـــازه من الكمالات اللائقـــة بالأنبياء عليه السلام . ﴿ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ : أي جـــاحدون بنـــبوته فجحدوهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومـــن ضرورة انتفاء المبني بطـــلان ما بني عليـــه ، أي فهـــم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما مثله .

﴿ أَمْ يَقُولُـــونَ بِـــهِ جِنَّةٌ ﴾ : انتقال إلى توبيخ آخر ، الهمزة لإنكار الواقع كالأولى ، أي بل أيقولون به جنّة ، أي جنون مع أنه أرجح الناس عقلاً ، وأثقبهم ذهـــناً ، وأتقنهم رأياً ، وأوفرهم رزانة ، ولقد روعي في هذه التوبيخات الأربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن ، والباقيان به عليه السلام الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث وبّخوا أولاً بعدم التدبّر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجـــــه مـــن الوجـــــوه ، ثم وبّخوا بشرع لو اتصف به القول لكان سبباً لعدم تصـــديقهم بـــه ، ثـــم وبّخـــوا بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام مع عدم معرفتهم به عليه الصلاة والسلام .

وذلـــك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثمَّ بما لو كان فيه عليه الصلاة ذلك لقدح في رسالته عليه الصلاة والسلام .

﴿ بَـــلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ : إضراب عمّا يدل عليه ما سبق ، أي ليس الأمر كمـــا زعمـــوا فـــي حق القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام ، بل جاءهم عليه الصـــلاة والسلام بالحق ، أي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه أصلاً ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه .

﴿ وَأَكْـــثَرُهُمْ لِلْحَقِّ ﴾ : من حيث هو حق ، أي حق كان لا لهذا الحق فقط كمـــا ينبيء عنه الإظهار في موضع الإضمار . ﴿ كَارِهُونَ ﴾ لما في جبلتهم من

الزيغ والانحراف المناسب للباطل ، ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج ، وزاغوا عن الطريق الأنهج ، وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق ، وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين ... فتأمّل" (١) .

ومن الاستفهام قوله تعالى : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾ (٢) ، وهنا نجد أن الآلوسي يشير إلى نفس الأغراض البلاغية في تفسير أبي السعود لهذه الآية فيقول : "إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية ، وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب ، لأن التولي عن حكم رسول الله ﷺ ، وطلبُ حكم آخر منكر عجيب ، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب" (٣) .

وهنا في هذه المسألة نجده متأثراً بأبي السعود الذي بيّن الغرض من الاستفهام وأشار إلى الغرض من تقديم المفعول في الاستفهام فقال : "إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام : أي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية ؟ وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب ، لأن التولي عن حكمه عليه الصلاة والسلام ، وطلب حكم آخر منكر عجيب" (٤) .

٤- التقديم والتأخير :

كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ** ﴾ (٥) ، قال الآلوسي : "لكل هو المفعول الثاني له قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهُّم تعلُّق الجعْل ببعض دون بعض" (٦) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

(٢) المائدة : آية ٥٠ .

(٣) روح المعاني ، م٢ ، ج٦ ، ص ١٥٥ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٨٢ .

(٥) النساء : آية ٣٣ .

(٦) روح المعاني ، م٢ ، ج٥ ، ص ٢١ .

ونجد أن هذه المسألة قد أشار إليها أبو السعود في تفسيره بقوله : "ولكل مفعول ثان لجعلنا قُدِّم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهُّم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾ (المائدة: ٤٨) أي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويُحرزون منها أنصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط فيما بينهم وبين المورِّث من العلاقة" (١) .

٥- الحذف :

ويناقش الآلوسي مسألة الحذف أو العطف في هذه الآية متأثراً بما عند أبي السعود في قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ (٢) .

قال الآلوسي : "﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ عطف على ما قدمت فهو داخل تحت حكم باء السببية ، وسببية العذاب من حيث أن نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي بإثابة المحسن ومعاقبة المسيء – وإليه ذهب الفحول من المفسرين – وتعقبه مولانا شيخ الإسلام بقوله : وفساده ظاهر فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم شيئاً للتعذيب والحاصل أن العطف هنا مما لا بأس به وهو الظاهر ، وإليه ذهب من ذهب ، ويجوز أن يجعل – وإليه ذهب شيخ الإسلام (أنّ وما بعدها) في محل الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها ، أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم ، والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذلك ليس بظلم على ما تقرر على قاعدة أهل السنة ، فضلاً عن كونه ظالماً بالغاً لبيان كمال نزاهته تعالى بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم" (٣) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٣١ .

(٢) آل عمران : آية ١٨٢ .

(٣) روح المعاني ، م/٢ ، ج٤ ، ص ١٤٣ .

وهـنا يشـير الآلوسـي في قوله هذا إلى قول الزمخشري الذي قال : فلِمَ عطف قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ على ما قبله من قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكاً لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب ؟ قلت : معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل ، ومن العدل أن يعاقب المسيئ منهم ويثيب المحسن" وقد تابعه البيضاوي في ذلك (١) .

أما أبو السعود فقد عارض هذا القول ونجد أن الآلوسي في تفسيره السابق قد أشار إلى رأي أبي السعود الذي قال بالحذف : " ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها ، أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم ، والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم – على ما تقرر من قاعدة أهل السنة – فضلاً عن كونه ظلماً بالغاً لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدروه عنه سبحانه من الظلم ، كما يعبّر عن ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها مع أن الأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلُّفه عنها ضياعها ، وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذُكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم ، وقيل هي : لرعاية جمعية العبيد من قولهم : فلانٌ ظالمٌ لعبده وظلّام لعبيده على أنها للمبالغة كماً لا كيفاً .

هذا وقد قيل : محلُّ (أن) الجر بالعطف على ما قدّمت وسببيتُه للعذاب من حيث أن نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء ، وفساده ظاهر فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب (٢) .

---

(١) انظر تفسير "الكشاف" ، ج١ ، ص ٤٣٨ ، وكذلك انظر تفسير البيضاوي ، ج١ ، ص ١٩٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٧٤ .

ومن مواضع الحذف التي تأثر بها الآلوسي بأبي السعود قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [1] ، قال الآلوسي : "﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ عطف على محذوف ، أي نقصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر أو فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا بذلك ، ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالكفران إذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق ، وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم عليه" [2] .

ونجد هنا التأثر واضحاً بقول أبي السعود في تفسيره للآية : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ معطوف على مضمر قد حذف للإيجاز ، والإشعار بأنه أمرٌ محقق غني عن التصريح به أي : فظلموا بأن كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالكفران إذ لا يتخطاهم ضرره ، وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم ، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر" [3] .

٦- الاستئناف :

كما في قوله تعالى:﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [4] ، قال الآلوسي : جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفاً للمؤمنين لإيجاب التوكل عليه والترغيب في طاعته التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصيته التي يستحق بها الخذلان ، أي إن يردْ نصركم كما أراده في يوم بدر فلا أحد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم بجميع أفراد الغالب ذاتاً وصفة فهو أبلغ من لا يغلبكم أحد لدلالته على نفي الصفة فقط ، ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم – كما قال شيخ الإسلام – وإن كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة أيضاً

---

(١) البقرة : آية ٥٧ .

(٢) روح المعاني ، م/١ ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٣٧ .

(٤) آل عمران : آية ١٦٠ .

أيضـــاً وهـــو الـــذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهماً قطعياً هو نفي المساواة وإثبات الغالبية للمخاطبين" [١] .

وقـــال أبـــو السعود : "جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفاً للمؤمنيـــن لإيجـــاب توكلهـــم عليه تعالى وحثّهم على اللجوء إليه وتحذيرهم عما يُفضـــي إلـــى خذلانه ، أي أنْ ينصركم كما نصركم في بدر فلا أحد يغلبكم على طـــريق نفي الجنس المنتظـــم لنفـــي جميع أفراد الغالب ذاتاً وصفة ، ولو قيل : فلا يغلبكم أحـــد لـــدلّ على نفي الصفة فقط ، ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم – وإن كـــان نفـــي مغلوبيـــتهم من غير تعرض لنفي المساواة أيضاً – وهو الذي يقتضـــيه المقـــام ، لكـــن المفهوم منه فهماً قطعيـــاً هـــو نفـــي المساواة وإثبات الغالبية للمخاطبين" [٢] .

وهنـــا نـــرى تأثـــر الآلوسي واضحـــاً بما قالـــه أبو السعود وإن كـــان قـــد ذكـــر رأيـــه فيما ســـبق . ومنه قولـــه تعالـــى : ﴿ **يَعْلَـــمُ مَا بَيـــْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ [٣] .

قـــال الآلوسي : "استئناف وقع تعليلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده كأنه قيل : إنمـــا لـــم يقدموا على قـــول أو عمل بغيـــر أمـــره تعالى لأنه سبحانه لا يخفى علـــيه خافـــية ممـــا قدموا وأخروا فلا يزالون يراقبـــون أحوالهـــم حيـــث إنهم يعلمون ذلك ..." [٤] .

ونجـــد هـــنا الـــتأثر الواضح بأبي السعود : "استئناف وقع تعليلاً لما قبله وتمهـــيـــداً لمـــا بعـــــده فإنهـــم لعلمهـــم بإحاطته تعالى بما قدموا وأخروا من الأقـــــوال والأعمـــال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره"[٥].

---

(١) روح المعاني ، م/٢ ، ج٤ ، ص ١٠٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٥٦ .

(٣) الأنبياء : آية ٢٨ .

(٤) روح المعاني ، م/١٠ ، ج١٧ ، ص ٤٩ .

(٥) تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٣٣ .

٧- **التذييل :**

كما في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (١) ، فهذه أيضاً مسألة من المسائل التي تأثر بها الآلوسي بأبي السعود ، فقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه إيذان بأنّ ذلك العفو ، ولو كان بعد التوبة بطريق التفضل لا الوجوب ، أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو في جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم ، إذ الابتلاء أيضاً رحمة" (٢) .

ونجد أن أبا السعود في تفسيره للآية يقول : "تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان لا بطريق الوجوب عليه ، أي شأنه أنه يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم إذ الابتلاء رحمة" (٣) .

٨- **الأمر التعجيزي :**

مثل قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ** ﴾ (٤) ، وهنا يشير الآلوسي إلى الغرض من الأمر في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا** ﴾ فيقول : "فأتوا جوابية وأمر السببية ظاهر ، والأمر من باب التعجيز وإلقام الحجر كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ﴾ (٥) .

وهنا نجده متأثراً بأبي السعود في بيان الغرض من الأمر في هذه الآية : "والأمر في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ** ﴾ من باب التعجيز وإلقام الحجر ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ﴾ (البقرة : ٢٥٨) والفاء للجواب" (٦) .

---

(١) آل عمران : آية ١٥٢ .

(٢) روح المعاني ، م/٢ ، ج٤ ، ص ٩١ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٤٩ .

(٤) البقرة : آية ٢٣ .

(٥) روح المعاني ، م/١ ، ج٢ ، ص ٢٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٨٧ .

٩- **الاستعارة :**

كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ * لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾ (١) .

قال الآلوسي متأثراً بأبي السعود : "فإنه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ، ولعل صيغة المذكر في النهي بالبعض والمعنى : لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده ، وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه افتقار حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه ، وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجبه الانتهاء عن التمني المذكور ... انتهى" (٢) .

فتأثير أبي السعود في الآلوسي ظاهر أيضاً في هذه المسألة ، قال أبو السعود في تفسيره لهذه الآية : "فإنه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ، ولعل صيغة المذكر في النهي بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معيّن المقدار مما أصابه بحسب استعداده ، وقد عبّر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجبه الانتهاء عن التمني المذكور" (٣) .

١٠- **الكناية :**

كما في قوله تعالى : ﴿ **لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾ (٤) ، قال الآلوسي بعد أن ذكر رأي المفسرين الأوائل : "ونفي البشرى كناية عن إثبات ضدها كما أن نفي المحبة في مثل قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ كناية عن البغض والمقت فيدل على ثبوت النذرى لهم على أبلغ وجه" (٥) .

---

(١) النساء : آية ٣٢ .

(٢) روح المعاني ، م/٢ ، ج٥ ، ص ١٩ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٣١ .

(٤) الفرقان : آية ٢٢ .

(٥) روح المعاني ، م/٧ ، ج١٩ ، ص ٤ .

وهـــنا نجـــده يشـــير إلى قول أبي السعود : "فإنه في معنى لا يُبَشَّر يومئذ المجـــرمون ، والعدول إلى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وحيث كان نفيها كـــناية عن إثبات ضدها كما أن نفي المحبة في قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِيـــنَ** ﴾ (آل عمران : ٣٢) كناية عن البغض والمقت دلّ على ثبوت النذرى لهم على أبلغ وجه وآكده" [١] .

وكذلـــك في قوله تعالى : ﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾ [٢] ، فقـــد ذكر الآلوسي أن : "عدم محبته تعالى لشيء كناية عن غضبه" [٣] . ونجد أن ذلك عند أبي السعود الذي قال :"عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه" [٤] .

١١- المشاكلة :

كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ** ﴾ [٥] ، فقد ذكر الآلوســـي قول أبي السعود في تفسيره لهذه الآية : "وأيّاً ما كان تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبـــات – كما قال شيخ الإسلام – مراعاة للمشاكلة بينها وبين ما أوجبها من جنايتهم التي هي التحريف والتغيير" [٦] .

ثانياً : أثر أبي السعود في القاسمي :

هـــو محمـــد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق والي قاســـم هـــذا يُنْسَـــب حفيده فيسمى (جمال الدين القاسمي) ولد سنة ١٢٨٣هـــ في دمشق وهو إمام الشام في عصره وكان عالماً بالدين ، متضلعاً في فنون الأدب ، ومـــن مصنفاته تفسيره المسمى "محاسن التأويل" وتوفي القاسمي في دمشق ودفن بها سنة ١٣٣٢هـــ [٧] .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٤ .

(٢) النساء : آية ١٤٨ .

(٣) روح المعاني ، م/٢ ، ج٦ ، ص ٢ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢١٤ .

(٥) النساء : آية ٤٧ .

(٦) روح المعاني ، م/٢ ، ج٥ ، ص ٥١ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤٧ .

(٧) الأعلام للزركلي ، ج٧ ، ص ٧١ ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، ١٩٨٠م . وانظر كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، ج١ ، ص ١٦١ ، ط إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦هـــ .

وإذا تحدَّثنا عن مجال التأثير عند القاسمي نجده قد تأثر بالعلماء السابقين فهو في تفسيره يذكر آراء المفسرين والبلاغيين مثل الزمخشري والرازي والبيضاوي وأبي السعود وغيرهم .

أما بالنسبة لمجال دراستنا ألا وهي تأثره بأبي السعود نجد القاسمي إذا تحدث عن مسألة بلاغية فإنه يذكر رأي أبي السعود كثيراً فمن عباراته إذا نقل عن أبي السعود فإنه ينقل مباشرة ، فيقول : قال أبو السعود : أو أفاده أبو السعود وأحياناً يذكر المسألة البلاغية ثم يذكر ذلك في آخرها : قاله أبو السعود أو أفاده أبو السعود ، وأحياناً يذكر المسألة البلاغية دون ذكر اسم أبي السعود مثل الآلوسي وينقل رأي أبي السعود مباشرة .

وعندما تحدثنا عن منهج أبي السعود في تفسيره ذكرنا أنه يذكر أكثر من مسألة بلاغية في تفسير الآية الواحدة ، ونجد أن القاسمي يذكر رأي أبي السعود بكامله ويذكر هذه المسائل كلها ، وقد يقول البعض أن هذا تكراراً ، ولكننا نقول : إن هذا التكرار أو التأثر يدل على أهمية تفسير أبي السعود ، ومدى تأثيره في كتب التفسير اللاحقة به .

تأثر القاسمي بأبي السعود :

ومن المسائل البلاغية التي تأثر بها القاسمي بأبي السعود :

١ - الالتفات :

في قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [١] "التفات إلى خطاب المذكورين مبني على إيراد ما عُدَّ من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع ، والاستفهام إنكار بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه" [٢] .

وهنا يتأثر بأبي السعود : "وينقل رأيه في هذه المسألة دون ذكر اسمه" . "التفات إلى خطاب المذكورين مبني على إيراد ما عُدَّ من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع ، والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار

---

(١) البقرة : آية ٢٨ .

(٢) تفسير القاسمي ، ج٢ ، ص ٨٩ ، دار الفكر ، ١٩٧٨م .

الوقوع بل بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه" [١] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ** ﴾ [٢] ، فقد ذكر القاسمي تفسير أبي السعود لهذه المسألة البلاغية بقوله : "قال أبو السعود : وإيراده عليه الصلاة والسلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والإيذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى : ﴿ **خَالِصَةً لَكَ** ﴾"[٣] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ** ﴾ [٤] ، فقد بيّن القاسمي قوله تعالى : ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ بقوله "قال أبو السعود : والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ ، مع الالتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال" [٥] .

٢- وضع المظهر موضع المضمر :

مثل قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ** ﴾ [٦] .

﴿ **أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ** ﴾ : قال القاسمي : "والمراد به الساعة أيضاً كأنه قيل : أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل . أفاده أبو السعود" [٧] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ [٨] ، وقد نقل القاسمي ذلك التفسير عن أبي السعود بقوله : "قال أبو السعود : القرع الضرب بشدة

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٠٣ .

(٢) الأحزاب : آية ٥٠ .

(٣) انظر تفسير القاسمي ، ج١٣ ، ص ٤٨٨٦ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٥ ، ص ٢٣٣ .

(٤) البقرة : آية ٢٧٢ .

(٥) تفسير القاسمي ، ج٣ ، ص ٦٨٨ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣١٤ .

(٦) الحج : آية ٥٥ .

(٧) تفسير القاسمي ، ج١٢ ، ص ٤٣٧٣ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٩١ .

(٨) القارعة : آية ١ ، ٢ .

واعـــتماد بحيث يَحْصُلُ منه صوت شديد ، وهي القيامة ، سميت بها لأنها تقرع القلـــوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال ، وهي مبتدأ خبره قوله تعالى : ﴿ **مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لأن محط الفائدة هـــو الخبر لا المبتدأ ، ولا ريب أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما القارعـــة أي : أيُّ شـــيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة ، وقد وضع الظاهر موضـــع الضمير تأكيداً للتهويل ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظيم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها" (١) .

٣- الاستئناف :

كمـــا فـــي قولـــه تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** ﴾ (٢) ، فقد ذكر القاسمي ذلك نقلاً عن أبي السعود بقوله : "قال أبو السعود : كلام مستأنف مسوق لـــتقرير مـــا قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان استحالة المغفـــرة بدونـــه فـــإنهـــم كانـــوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة" (٣) .

وقولـــه تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ (٤) ، قال القاسمي : "جملة مســـتأنفة مؤكـــدة للأولـــى ، أي لا دين مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتدرُّع بالشريعة الشريفة ... قاله أبو السعود" (٥) .

ونجده أيضاً يتأثر بأبي السعود في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَـــنُوا** ﴾ (٦) ، فقد ذكر القاسمي ذلك بقوله : "كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم

---

(١) تفسير القاسمي ، ج١٧ ، ص ٢٣٨ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٦٣ .

(٢) النساء : آية ٤٨ .

(٣) تفسير القاسمي ، ج٥ ، ص ١٢٨٦ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٤٧ .

(٤) آل عمران : آية ١٩ .

(٥) تفسير القاسمي ، ج٤ ، ص ٨١١ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٣٤٨ .

(٦) الحج : آية ٣٨ .

ليتفرّغوا إلى أداء مناسكه ... كذا قاله أبو السعود" [١] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾ [٢] ، قال القاسمي : "قال أبو السعود : استئناف خُوطب به النبي ﷺ إيذاناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام" [٣] .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ [٤] ، فقد أشار القاسمي إلى ذلك بقوله : "قال أبو السعود : وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ** ﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال" [٥] .

٤- الاعتراض :

كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [٦] ، فقد ذكر القاسمي ذلك وأشار إلى قول أبي السعود قال : "قال العلامة أبو السعود : وقوله تعالى : ﴿ **مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ اعتراض وسِّط بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى يُتوهم كونُه مسوِّغاً لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم" [٧] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [٨] ، فقد أشار القاسمي إلى تفسير أبي السعود لقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ دون ذكر

---

(١) تفسير القاسمي ، ج١٢ ، ص ٤٣٣٥ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٨٣ .

(٢) البروج : آية ١٢ .

(٣) تفسير القاسمي ، ج١٧ ، ص ١١٧ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٠٧ .

(٤) الصف : آية ٤ ، ٥ .

(٥) تفسير القاسمي ، ج١٦ ، ص ١٤٧ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٢٤٢ .

(٦) الأنعام : آية ٥٢ .

(٧) تفسير القاسمي ، ج٦ ، ص ٢٣٢٥ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٨٩ .

(٨) البقرة : آية ٢٩ .

لـــه بقولـــه : "اعتراض تذييلـــي مقرر لما قبله من خلق السماوات والأرض وما بينهما ، على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة ، فإن علمـــه عز وجل بجميع الأشـــياء يستدعي أن يخلـــق كـــل ما يخلقه على الوجه الرائق" [1] .

وقـــال أبـــو السعود : "اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السماوات والأرض ومـــا فيهما على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقـــة فإن علمه عز وجـــل بجميـــع الأشياء ظاهرها وباطنها ، بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي أن يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق" [2] .

٥- التفصيل بعد الإجمال :

كمـــا فـــي قولـــه تعالـــى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِيـــنَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَـــانِكُمْ** ﴾ [3] ، فقـــد أشار إليه القاسمي بقوله : "هذا تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليه إجمالاً ، وتقديم بيان هؤلاء لأن المقام مقام التحذير عن التشبُّه بهم مع مـــا فـــيه من الجمع بين الإجمال والتفصيل والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الإجمال ، وقوله تعالى : ﴿ **أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ على إرادة القـــول : أي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم ... أفاده أبو السعود" [4] .

٦- الاستفهام :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ **ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّـــا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [5] ، وأشار القاسمي إلى ذلك بقولـــه : "قال أبو السعود : وقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ** ﴾ استفهام إنكاري

---

(١) تفسير القاسمي ، ج٢ ، ص ٩٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ١٠٦ .

(٣) آل عمران : آية ١٠٦ .

(٤) تفسير القاسمي ، ج٤ ، ص ٩٣٤ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٥ .

(٥) آل عمران : آية ١٣٥ .

أي لا يغفر الذنوب أحد إلا الله خلا أن دلالة الاستفهام على الانتفاء أقوى وأبلغ لإيذانه بأن كل واحد له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع إلى الجواب والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة ، والجملة معترضة بين المعطوفين أو بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والإشعار بالوعد بالقبول" (١) .

وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى** ﴾ (٢) ، أشار القاسمي إلى ذلك بقوله : "قال أبو السعود : تعديد لما أفاض عليه من أول أمره على ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره ، والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفي على أبلغ وجه كأنه قيل : قد وجدك الخ ، والوجود بمعنى العلم" (٣) .

كما أشار القاسمي إلى تفسير أبي السعود لقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ (٤) ، بقوله : "قال أبو السعود : "الخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بإنكار عدمها والرؤية علمية ، أي : ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للمشاهدة والعناية باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال : ألم تر ما فعل ربك الخ ، لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام" (٥) .

---

(١) تفسير القاسمي ، ج٤ ، ص ٩٧٦ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٣٤ .

(٢) الضحى : آية ٦ .

(٣) تفسير القاسمي ، ج١٧ ، ص ١٨٠ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٤٠ .

(٤) الفيل : آية ١ .

(٥) تفسير القاسمي ، ج١٧ ، ص ٢٥٥ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٤٧١ .

٧- **التذييل :**

كقولـــه تعالى : ﴿ **رَبَّـــنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَـــارٍ** ﴾ [١] ، فقد بيّن القاسمي ذلك بقوله : ﴿ **وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ تذييل لإظهـــار نهايـــة فظاعـــة حـــالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم ، وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع "الظالمين" موضع ضمير المُدْخَلين لذمهـــم والإشـــعار بتعلـــيل دخولهـــم النار بظلمهم ، ووضعهم الأشياء في غير مواضـــعها وجمع الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين ، أي ما لظالم من الظالمين نصـــير مـــن الأنصار ، والمراد من ينصرُ بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار ... أفاده أبو السعود" [٢] .

٨- **التعليل :**

مثل قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّـــهَ شَيْئاً** ﴾ [٣] ، أشار القاسمي إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً** ﴾ بقوله : "قال أبو السعود : تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم أبداً ، أي لـــن يضـــروا بذلك أولياء الله البتة ، وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والإيذان بأنّ مُضارّتَهم بمنزلة مضارّته سبحانه وفيه مزيد مبالغة بالتسلية" [٤] .

٩- **التقديم والتأخير :**

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً** ﴾ [٥] ، فقد أشار القاسمي إلى تفسير أبي السعود للآية بقوله : "قال أبو السعود : وتأخير قرية مع كونها مفعولاً أولاً لـــئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها ، إذ التأخير عـــن الكل مُخِلّ بتجاذب أطراف النظم وتجاوبها ، ولأن تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقباً لوروده وتشوقاً إليه لا سيما إذا كان في المقدم ما يدعو إليه ،

---

(١) آل عمران : آية ١٩٢ .

(٢) تفسير القاسمي ، ج٤ ، ص ١٠٦٩ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٨٥ .

(٣) آل عمران : آية ١٧٦ .

(٤) تفسير القاسمي ، ج٤ ، ص ١٠٤٢ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٦٧ .

(٥) النحل : آية ١١٢ .

فإن المثل مما يدعو إلى المحافظة على تفاصيل أحوال ما هو مثلٌ فيتمكن المؤخر عند وروده إليها فضل تمكن" (١) .

١٠- التعريف والتنكير :

وقد أشار القاسمي إلى التعريف بالإضافة في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي** ﴾ (٢) ، وهنا أوضح القاسمي كلام أبي السعود بقوله : قال أبو السعود : "وفي إضافة الكلمات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره ﷺ في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف إليه ما لا يخفى وإظهار البحر والكلمات في موضع الإضمار لزيادة التقرير" (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ** ﴾ (٤) ، قال القاسمي : "قال أبو السعود : وفي إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه" (٥) .

كما بيّن القاسمي الغرض من التنكير في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ** ﴾ (٦) ، قال : قال أبو السعود : "القوم مختص بالرجال لأنهم القوّام على النساء وأما تعميمه للفريقين : فإما للتغليب أو لأنهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع ، والتنكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجري بين بعض وبعض" (٧) .

---

(١) تفسير القاسمي ، ج١٠ ، ص ٣٨٦٨ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٩٧ .

(٢) الكهف : آية ١٠٩ .

(٣) تفسير القاسمي ، ج١١ ، ص ٤١٢٠ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٢٢٣ .

(٤) النور : آية ٥٥ .

(٥) تفسير القاسمي ، ج١٢ ، ص ٤٥٤٥ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٤٧٩ .

(٦) الحجرات : آية ١١ .

(٧) تفسير القاسمي ، ج١٥ ، ص ١٢٧ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ١١٦ .

١١- التوكيد وأدواته وأغراضه :

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّـــهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** ﴾ [١] ، يقــول القاســمي : "قال أبو السعود : في تصدير الكلام بكلمة التحقيق ، وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الإغناء لشأنه ما لا مزيد عليه" [٢] .

ومــنه قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** ﴾ [٣] ، قال القاسمي : "قال أبو السعود : "وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقــيق مــا تتضــمنه من التسلية في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضــميره علــيه الصــلاة والسلام ما لا يخفى من إظهار اللطف به عليه السلام والإشعار بعلة الحكم" [٤] .

١٠- الحذف :

ومــنه حذف المبتدأ في قوله تعالى : ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ** ﴾ [٥] ، فقد أشار القاســمي إلى قول أبي السعود : "خبر لمبتدأ محذوف ، أي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من أخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون" [٦] .

وهــذا الوجه وهو الرفع على الخبرية هو الذي اختاره أبو السعود من بين وجوه الإعراب التي ذكرها .

وكذلــك فــي قولــــه تعالى : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْــجِدِ الْحَــرَامِ أَنْ تَعْــتَدُوا** ﴾ [٧] ، فقد نبّه القاسمي إلى حذف المفعول ، قال القاســمي : "قال أبو السعود : أي عليهــم وإنما حذف تعويلاً على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم" .

---

(١) النساء : آية ٥٨ .

(٢) تفسير القاسمي ، ج٥ ، ص ١٣٣١ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ١٥٤ .

(٣) الحجر : آية ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) تفسير القاسمي ، ج١٠ ، ص ٣٧٧٤ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٤ ، ص ٣٧ .

(٥) آل عمران : آية ١١ .

(٦) تفسير القاسمي ، ج٤ ، ص ٨٠١ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج١٠ ، ص ٣٤٠ .

(٧) المائدة : آية ٢ .

وقد أضاف أبو السعود في الإعراب بقوله : وهو ثاني مفعولَيْ (يَجْرِمَنَّكُمْ) أي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم إياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي" (١) .

١٣- الأمر التعجيزي :

وقد بيّن القاسمي هذه المسألة نقلاً عن أبي السعود في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِه** ﴾ (٢) ، قال القاسمي : "من باب التعجيز وإلقام الحجر كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ﴾ أو من باب المجاراة معهم – بحسب حسبانهم – حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا" (٣) .

وقد تأثر القاسمي بأبي السعود الذي أوضح الغرض من الأمر في الآية بقوله : "والأمر من باب التعجيز وإلقام الحجر ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ﴾ (البقرة : ٢٥٨) (٤) .

١٤- التكرار :

مثل قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٥) ، وهنا نجد تأثر القاسمي بأبي السعود فقد ذكر هذه المسألة نقلاً عن أبي السعود فقال : "قال أبو السعود : كرّر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها ، وهو ثواب أعمالهم" (٦) .

ومن التكرار قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي**

---

(١) تفسير القاسمي ، ج٦ ، ص ١٨٠٤ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) البقرة : آية ٢٣ .

(٣) تفسير القاسمي ، ج٢ ، ص ٧١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ج١ ، ص ٨٧ .

(٥) آل عمران : آية ١٧٠ ، ١٧١ .

(٦) تفسير القاسمي ، ج٤ ، ص ١٠٣٦ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٦٤ .

تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [1] .

فقد تأثر القاسمي في تفسيره لهذه الآية بأبي السعود فنجده يذكر هذه المسألة دون ذكر لأبي السعود قال : وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ تكرير للأمر وتذكير ببعض آخر من موجبات الامتثال به ، فإن سؤال بعضهم بعضاً بالله تعالى بأن يقولوا : أسألك بالله ، وأنشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة أوامره ونواهيه ، وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وإدخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من أسمائه تعالى وصفاته" [2] .

وهنا نجد أن هذا تكراراً لقول أبي السعود : "تكرير للأمر وتذكير ببعض آخر من موجبات الامتثال به ، فإن سؤال بعضهم بعضاً بالله تعالى بأن يقولوا : أسألك بالله ، وأنشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة أوامره ونواهيه ، وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وإدخال الروعة ، ولوقوع التساؤل به لا بغيره من أسمائه تعالى وصفاته" [3] .

١٥- الإسناد المجازي :

مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ [4] ، فقد بين القاسمي ذلك بقوله : "قال أبو السعود : أسند العزم وهو الجد إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (لقمان :١٧) ، وعامل الظرف محذوف ، أي خَالَفوا وتخلفوا" [5] .

---

(١) النساء : آية ١ .

(٢) تفسير القاسمي ، ج٥ ، ص ١٠٩٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٢ ، ص ٩٣ .

(٤) محمد : آية ٢١ .

(٥) تفسير القاسمي ، ج١٥ ، ص ٥٤ ، وانظر تفسير أبي السعود ، ج٦ ، ص ٩٠ .

١٦- الاستعارة :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ [١] ، قال القاسمي : "استعارة تبعية تمثيلية ، مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية ، أي يستر النهار بالليل ، والتركيب وإن احتمل العكس أيضاً بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الأول ، فإن ضوء النهار ساتر لظلمة الليل إلا أن الأنسب بالليل أن يكون هو الغاشي" [٢] .

فهنا نرى تأثر القاسمي بأبي السعود تأثراً بارزاً في هذه المسألة البلاغية ولو رجعنا إلى تفسير أبي السعود نجد أنه قد أخذ عنه هذه المسألة ، قال أبو السعود : "استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية ، أي يستر النهار بالليل والتركيب وإن احتمل العكس أيضاً بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الأول ، فإن ضوء النهار أيضاً ساتر لظلمة الليل ، إلاّ أن الأنسب بالليل أن يكون هو الغاشي" [٣] .

ونجد أيضاً تأثير أبي السعود في القاسمي في هذه المسألة في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [٤] ، قال القاسمي : قال أبو السعود "القصد مصدر بمعنى الفاعل ، يقال : سبيلٌ قصدٌ ، وقاصدٌ ، أي : مستقيم على طريقة الاستعارة أو على نهج إسناد حال سالكه إليه ، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه" [٥] .

---

(١) الرعد : آية ٣ .

(٢) تفسير القاسمي ، ج٣ ، ص ٢٦٤٣ .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج٣ ، ص ٤٣٨ .

(٤) النحل : آية ٩ .

(٥) تفسير القاسمي ، ج١٠ ، ص ٣٧٨٢ .

خاتمة البحث

كانـــت الـــرحلة مع أبي السعود – وذلك من خلال تفسيره – رحلة مشوقة للغـــوص في أسرار القرآن الكريم وإظهار معانيه وبيان إعجازه ، فقد حاولت أن أعـــيش فـــي الصـــفحات السابقة معه لأتحدث عن عبقرية هذا العالم الجليل الذي يستحق بحق كل إعزاز وتقدير واحترام .

فقد أشرت إلى جانب من حياة هذا العالم الجليل وتحدثت عن عصره الذي عـــاش فيه كما أشرت إلى جانب من علمه وأدبه الذي يستحق الدراسة والتحليل ، وأشرت إلى منهجه الذي سلكه في التفسير ومصادره وأسلوبه .

وقـــد عشـــت مـــع جهوده في مجال الدرس البلاغي وهو مجال دراستي ووجـــدت فـــيه العـــبقرية الفذة وخاصة في تحليله للمسائل البلاغية أثناء تفسيره للآيـــات القرآنية فهو يغوص في أعماقها ويستكشف معانيها ويبين هذه الأغراض والمعاني وهذا يدل على فهمه لأسرار اللغة والإعجاز القرآني .

كمـــا تحدثت في الفصل الأول عن مدى تأثر أبي السعود بالزمخشري في كتاب (الكشاف) الذي كان له أثر في تفسير أبي السعود ، وإن كان أبو السعود قد خالف الزمخشري في بعض المسائل وتحدثت عن هذه القضايا في مكانها مما يدل على أن أبا السعود كانت له شخصية منفردة في هذا التفسير .

وأشـــرتُ إلـــى بعـــض القضـــايا التي تأثر بها أبو السعود بالبيضاوي ، وأظهرت هذه القضايا في موضعها ، كما أشرتُ إلى بعض القضايا التي تأثر بها أبو السعود بالقرطبي وابن حيان والزجاج .

أما عن الفصل الثاني والذي تحدثت فيه عن مسائل علم المعاني في تفسير أبـــي الســـعود فقد أظهرت كثيراً من القضايا البلاغية التي كان لأبي السعود جهد كبير في إبرازها وخاصة أن علم المعاني قد أخذ حيزاً كبيراً من هذا البحث وإن كان هذا العلم يحتاج إلى مجال أكثر لدراسته في تفسير أبي السعود ، فقد كانت له

جهـود كبـيرة فـي إظهار مسائل هذا العلم وتحدثت عنها في مكانها من خلال دراستي لتفسيره وإظهار الأسرار والمعاني البلاغية لكل قضية من هذه القضايا .

كمـا أشـرت إلـى مسـائل علم البيان في تفسير أبي السعود من التشبيه وأنواعـه ، والاسـتعارة وأنواعهـا والمجاز وأنواعه وعلاقات كل نوع منها والكناية والتعريض والتلويح وبعض مخالفات أبي السعود للزمخشري وخاصة في الكناية والتعريض .

وأشـرت إلى مسائل علم البديع في تفسير أبي السعود من مطابقة ومقابلة واسـتخدام أبي السعود لهذين المصطلحين بمعنى واحد ، وبين أبو السعود مسائل هذا العلم من المشاكلة والاستطراد والتضمين واللف والنشر والتجريد وغيرها .

كمـا أشرتُ في الفصل الخامس إلى اهتمام أبي السعود بالقراءات القرآنية وإظهـار المعانـي البلاغـية مـن هذه القراءات فقد تحدثتُ عن مسألة الالتفات والاستئناف والاستفهام والتعليل والحذف والتقديم والتأخير والتغليب والعطف .

وأشـرتُ إلـى القراءات القرآنية التي فضّلها أبو السعود والتي تسير مع سياق الآية ومعناها .

كما تحدثت عن تأثر العلماء اللاحقين بأبي السعود فقد كان لتفسيره أثر في العلمـاء اللاحقين وخاصة فقد كان له أكبر الأثر في عالمين جليلين هما الآلوسي والقاسـمي والذي إن دلّ على شيء فإنما يدل على أهمية هذا الكتاب ومدى تقدير العلمـاء لعلم أبي السعود واقتدائهم به وسيرهم على منهجه وعلمه كما أشرت إلى أثر أبي السعود في القاسمي وقد برز هذا التأثر واضحاً في تفسير القاسمي .

النتائج :

* يعتبر تفسير أبي السعود من الكتب التي اهتمت بدراسة النواحي البلاغية وبيان مظاهر الإعجاز القرآني .
* لقد أظهر أبو السعود في تفسيره كثيراً من المسائل البلاغية في علم المعاني والبيان والبديع وكانت له آراء مميزة في عرضه لتلك المسائل وأظهرت عبقرية هذا العالم في إظهار المعاني البلاغية .
* خالف أبو السعود من قبله في بيان بعض المسائل وكانت له آراء مختلفة معهم ذكرت هذه المسائل في مكانها من البحث .

التوصيات :

أوصي القائمين على دراسة اللغة العربية والمتخصصين في تدريسها بدراسة كتاب أبي السعود وخاصة الذين تخصصوا في دراسة النواحي البلاغية بالاهتمام بهذا البحث لأنه قلما تحدث عنه الباحثون من قبل .

مراجع البحث

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنّاء ، وضع حواشيه أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م .

٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، د.ت

٣- أساليب بلاغية ، د. أحمد مطلوب ، طبعة وكالة المطبوعات الكويتية ، ١٩٨٠م .

٤- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٩٩١م .

٥- أسرار التكرار في لغة القرآن ، د. محمود شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٦- الإسلاميون وتركيا العلمانية ، هاني درويش ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٧- أسلوب الالتفات ، د. نزيه محمد فراج ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٨- الإشارات والتنبيهات ، محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر ، ١٩٨٢م .

٩- الإكسير في علم التفسير للطوفي البغدادي ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار الأوزاعي بيروت ، ١٩٨٩م .

١٠- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ، تحقيق وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م .

١١- البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ عاد أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م .

١٢- بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، د.ت .

١٤- البلاغة الاصطلاحية ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي ، ط٣ ، ١٩٩٢م .

١٥- البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) ، د. فضل عباس ، دار الفرقان ، عمّان ، ط١ ، ١٩٨٥م .

١٦- البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان) ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ١٩٨٢م .
١٧- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، د. محمد أبو موسى ، دار الفكر العربي ، بيروت ، د.ت .
١٨- البلاغة الواضحة ، تأليف علي الجارم ومصطفى أمين ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
١٩- البيان في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ،ط١ ، ١٩٨٢م.
٢٠- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق السيد صقر ، دار التراث ، ١٩٧٣م .
٢١- تاريخ الدولة العثمانية ، د. علي سلطان ، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، د.ت .
٢٢- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ، تحقيق د. هادي عطية الهلالي ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٧م .
٢٣- تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
٢٤- تفسير أبي السعود ، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .
٢٥- تفسير الآلوسي ، دار الفكر ، ١٩٧٨م .
٢٦- تفسير البيضاوي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
٢٧- تفسير القاسمي ، دار الفكر ، ١٩٧٨م .
٢٨- التفسير والمفسرون ، د. محمد حسين الذهبي ،دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
٢٩- التلخيص في علوم البلاغة للقزويني ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ط٢ ، ١٩٣٢م .
٣٠- جواهر البلاغة للهاشمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
٣١- خزانة الأدب للحموي ، شرح عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩١م .
٣٢- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، تحقيق د. عبد العالم سالم مكرم ، دار الشروق ١٩٨١م .

٣٣- الحجـــة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
٣٤- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٩٩٢م .
٣٥- الدولـــة العثمانية ، الثقافة ، المجتمع ، السلطة ، حسن الضيفة ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م .
٣٦- السبعة في القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ١٩٧٢م .
٣٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٧٩م .
٣٨- الصـــاحبـــي فـــي فقـــه اللغـــة لابن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ت .
٣٩- الطراز يحيى بن حمزة العلوي ، القاهرة ، ١٩١٤م .
٤٠- العقـــد المـــنظوم في ذكر أفاضل الروم ، ذيل على كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) ، طاشكبري زاده ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٥م .
٤١- العلاقـــة بين علم البديع وعلمي المعاني والبيان ، مقال للدكتور محمد شعبان علوان ، مجلة الزهراء ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، العدد الرابع عشر ، ١٩٩٦م .
٤٢- علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م .
٤٣- العمـــدة في محاسن الشـــعر ونقـــده لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م .
٤٤- فن البلاغة ، د. عبد القادر حسين ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤م .
٤٥- الكامل في اللغة والأدب للمبرّد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧م .
٤٦- الكشـــاف للزمخشري ، رتبه وصححه وضبطه محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .
٤٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، دار الفكر ، ١٩٨٢م .
٤٨- الكشـــف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د. محي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧م .
٤٩- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزّي ، تحقيق د. جبرائيل جبور ، بيروت .
٥٠- لسان العرب لابن منظور .

٥١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥م .
٥٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م .
٥٣- المطول سعد الدين التفتازاني ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م .
٥٤- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب ، ١٩٨٨م .
٥٥- معاهد التنصيص للعباسي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٤٧م .
٥٦- معترك الأقران للسيوطي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د.ت .
٥٧- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ، ٢٠٠٠م .
٥٨- المعجم الوسيط ، دار التراث العربي ، بيروت .
٥٩- مفتاح العلوم للسكاكي ، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٩٩٠م .
٦٠- من بلاغة القرآن ، د. محمد شعبان علوان ، د. نعمان شعبان علوان ، الدار العربية للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٨م .
٦١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ، ١٩٦٦م .
٦٢- هدية العارفين للبغدادي ، دار الفكر ، ١٩٨٢م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ت
تمهيد	١
حياة أبي السعود وعصره	١
مصادر الكتاب	١٠
منهج الكتاب	١٢
أولاً : ذكره لأسباب النزول	١٢
ثانياً : الاهتمام بذكر المناسبات ورعاية الفواصل	١٣
ثالثاً : اهتمامه بالدرس النحوي واللغوي	١٤
رابعاً : اهتمامه بالدرس البلاغي	١٦
خامساً : الاهتمام بالقراءات القرآنية	١٧
سادساً : الاهتمام بالمسائل الفقهية	١٧
سابعاً : اهتمامه بذكر الأحاديث الشريفة	١٨
أسلوب الكتاب	١٨
الفصل الأول **تأثر أبي السعود بالعلماء السابقين**	٢١
تأثر أبي السعود بالزّجاج	٢٣
تأثر أبي السعود بالزمخشري	٢٣
١- الاستفهام	٢٣
٢- الإلهاب والتهييج	٢٥
٣- وضع المظهر موضع المضمر	٢٦
٤- الاعتراض	٢٦
٥- الفصل والوصل	٢٦
٦- التوكيد	٢٧
٧- التشبيه	٢٨

الموضوع	الصفحة
٨- المجاز	٣٠
٩- المجاز الحكمي	٣١
١٠- الاستعارة والتمثيل	٣١
١١- الكناية والتعريض	٣٢
١٢- التجانس	٣٣
١٣- اللف	٣٥
تأثر أبي السعود بالقرطبي	٣٦
تأثر أبي السعود بالبيضاوي	٣٦
١- الاستفهام	٣٦
٢- الكناية	٣٧
٣- الإظهار في موضع الإضمار	٣٨
٤- الاعتراض	٣٩
٥- حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه	٣٩
تأثر أبي السعود بابن حيان	٤٠
الفصل الثاني **مسائل علم المعاني في تفسير أبي السعود**	٤٠
أولاً : الحذف	٤٣
ثانياً : التعريف والتنكير	٥١
ثالثاً : التكرار	٥٦
رابعاً : الاعتراض	٥٩
خامساً : التقديم والتأخير	٦٨
سادساً : الأمر وأغراضه البلاغية	٧٣
سابعاً : النهي وأغراضه البلاغية	٨٠
ثامناً : الاستفهام وأغراضه البلاغية	٨٤
تاسعاً : النداء وأغراضه البلاغية	٩٣
عاشراً : القصر	٩٥
حادي عشر : الإيجاز والإطناب	١٠٠

الموضوع	الصفحة
ثاني عشر : النعت وأغراضه البلاغية	١١١
ثالث عشر : التوكيد وأغراضه البلاغية	١١٥
رابع عشر : البدل وأغراضه البلاغية	١٢٠
خامس عشر : العطف (الوصل والفصل)	١٢٣
سادس عشر : خروج الكلام عن مقتضى الظاهر	١٢٩
١- الالتفات	١٢٩
٢- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي	١٣٣
٣- التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل	١٣٤
٤- وضع المفرد موضع المثنى	١٣٦
٥- وضع المثنى موضع المفرد	١٣٦
٦- وضع المفرد موضع الجمع	١٣٧
٧- وضع الجمع موضع المفرد	١٣٨
٨- وضع المثنى موضع الجمع	١٣٨
٩- وضع الجمع موضع المثنى	١٣٨
١٠- التغليب	١٣٩
١١- وضع الظاهر موضع الضمير	١٤٢
١٢- وضع الضمير موضع الظاهر	١٤٥
سابع عشر : المعاني البلاغية لصيغ الجمع والإفراد	١٤٦
ثامن عشر : المعاني البلاغية لصيغ الأفعال	١٥٠
تاسع عشر : المعاني البلاغية في أبنية المشتقات	١٥٣
الفصل الثالث **مسائل علم البيان في تفسير أبي السعود**	١٥٧
أولاً : التشبيه	١٥٧
أنواع التشبيه	١٥٨
١- التشبيه البليغ	١٥٨
٢- التشبيع التمثيلي أو المركب	١٦٠
٣- التشبيه الضمني	١٦٤

الموضوع	الصفحة
٤- التشبيه المفرد	١٦٤
التمثيل والتصوير والتخييل	١٦٥
ثانياً : المجاز	١٦٦
المجاز العقلي	١٦٦
علاقاته	١٦٧
المجاز المرسل	١٦٨
علاقاته	١٦٩
ثالثاً : الاستعارة والترشيح	١٧٢
١- الاستعارة	١٧٢
الاستعارة التصريحية	١٧٣
الاستعارة التبعية	١٧٤
الاستعارة التمثيلية	١٧٦
الاستعارة المكنية	١٧٧
الاستعارة التخييلية	١٧٩
علاقة التشبيه بالاستعارة	١٨٠
٢- الترشيح	١٨٠
رابعاً : الكناية والتعريض والتلويح	١٨٣
١- الكناية	١٨٣
٢- التعريض	١٨٨
٣- التلويح	١٩١
الفصل الرابع **مسائل علم البديع في تفسير أبي السعود**	١٩٣
١- المقابلة أو المطابقة	١٩٥
٢- التضمين	١٩٩
٣- اللف والنشر	٢٠١
٤- أسلوب الحكيم	٢٠٣
٥- المشاكلة	٢٠٤

الموضوع	الصفحة
٦- التجريد	٢٠٦
٧- المماثلة	٢٠٩
٨- الاستطراد	٢١١
الفصل الخامس **القراءات القرآنية والمعاني البلاغية في تفسير أبي السعود**	٢١٤
الأغـراض والمعاني البلاغية التي أظهرها أبو السعود من اختلاف القراءات القرآنية	٢١٦
١- الالتفات	٢١٦
٢- الاستئناف	٢١٩
٣- الاستفهام	٢٢٣
٤- الحذف	٢٢٦
حذف المبتدأ أو الخبر	٢٢٧
حذف المفعول أو المضاف	٢٢٨
٥- العطف	٢٢٨
٦- التقديم والتأخير	٢٣٠
٧- التعليل	٢٣١
٨- التغليب	٢٣٢
٩- القراءات القرآنية التي فضلها أبو السعود	٢٣٢
الفصل السادس **تأثير أبي السعود في العلماء اللاحقين**	٢٣٥
أولاً : أثر أبي السعود في الآلوسي	٢٣٥
المسائل البلاغية التي تأثر بها الآلوسي بأبي السعود	٢٤٠
١- وضع الظاهر موضع المضمر	٢٤٠
٢- الالتفات	٢٤١
٣- الاستفهام	٢٤٢
٤- التقديم والتأخير	٢٤٥
٥- الحذف	٢٤٦

الموضوع	الصفحة
٦- الاستئناف	٢٤٨
٧- التذييل	٢٥٠
٨- الأمر التعجيزي	٢٥٠
٩- الاستعارة	٢٥١
١٠- الكناية	٢٥١
١١- المشاكلة	٢٥٢
ثانياً : أثر أبي السعود في القاسمي	٢٥٢
المسائل البلاغية التي تأثر بها القاسمي بأبي السعود	٢٥٣
١- الالتفات	٢٥٣
٢- وضع المظهر موضع المضمر	٢٥٤
٣- الاستئناف	٢٥٥
٤- الاعتراض	٢٥٦
٥- التفصيل بعد الإجمال	٢٥٧
٦- الاستفهام	٢٥٧
٧- التذييل	٢٥٩
٨- التعليل	٢٥٩
٩- التقديم والتأخير	٢٥٩
١٠- التعريف والتنكير	٢٦٠
١١- التوكيد وأغراضه وأدواته	٢٦١
١٢- الحذف	٢٦١
١٣- الأمر التعجيزي	٢٦٢
١٤- التكرار	٢٦٢
١٥- الإسناد المجازي	٢٦٣
١٦- الاستعارة	٢٦٤
خاتمة البحث	٢٦٥
النتائج والتوصيات	٢٦٧
فهرس المراجع	٢٦٨
فهرس الموضوعات	٢٧١

Research Summary

My deep study to Mr. Abi-El-Souod book namely "Guiding the good mind to the advantages of the Holy Quran Book" was an interesting one. I have lived in his times I referred to many aspects of his science, literature which deserve study and analysis. I have talked about his style in his explanations and books he referred to and his unique style.

I lived with his efforts in the rhetorical lesson and his applications to many subjects of this lesson. I found him super genios expecially in his analysis to rhetorical questions as he goes deep in the Holy Quran sentences, explains its meanings and shows the objects and meanings which indicate his understanding to the secrects of the Quran miracle and language.

In the first chapter I have indicated that he was affected by scientists before him expecially Mr. El-Zamkhashary in his book "Al-Kashaf" and Mr. El-Baidawy in his explanatory and analysing book named "El-Baidawy Explanation".

In the second chapter I have talked about the questions of the meaning science by Mr. Abi-El-Souod.

In the third chapter I handled the rhetoric and in the fourth chapter I handled "Al-Badei" science by him. I have refferred to the Quran readings and indicated its effect in enriching rhetorical subjects in his explanations.

In the last (sixth) chapter I talked about his influence on scientists who came after him like Mr. Al-Alousi and Mr. El-Gasimy and what effect he had on them.